الهلال

أغسطس ١٩٤٨

قروش

القصص

عدد ممتاز

رحلات سريعة
إلى المراكز العالمية
TWA
TWA
TWA
الخطوط الجوية العالمية
الولايات المتحدة الأمريكية
أوربا . افريقيا . آسيا
عجل بنقل شحناتك الصغيرة أو الكبيرة
على طائرات TWA للشحن الجوى
سريعة ! يعتمد عليها !
وبأرخص سعر فى تاريخ TWA

الجزء ٨ المجلد ٥٦

الهلال

مجلة الجيل الجديد

أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
صاحباها : أميل زيدان وشكرى زيدان
رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكى بك
مدير التحرير : طاهر الطناحى

أول أغسطس ١٩٤٨ * ٢٥ رمضان ١٣٦٧

بيانات ادارية

ثمن العدد : فى مصر والسودان ٦ قروش صاغ — فى سوريا ٧٥ قرشا سوريا — فى لبنان ٧٥ قرشا لبنانيا — فى فلسطين وشرق الاردن ٧٥ ملا — فى العراق ٧٥ فلسا

قيمة الاشتراك عن سنة (١٢ عددا) : فى القطر المصرى والسودان ٦٠ قرشا — في سوريا ولبنان ٨٠٠ قرش سورى لبنانى — فى فلسطين وشرق الاردن ٨٠٠ مل — فى العراق ٨٠٠ فلس — فى المملكة العربية السعودية وسائر البلاد العربية ٨٠ قرشا صاغا أو ١٧ شلنا — فى الولايات المتحدة وكندا وكولومبيا والمكسيك والارجنتين ٦ دولارات — فى سائر أنحاء العالم ١٠٠ قرش صاغ أو ٢٠/٦ شلنا

مركز الادارة : دار الهلال ١٦ شارع المبتديان . القاهرة — مصر

المكاتبات : مجلة الهلال — بوستة مصر العمومية — مصر

التليفون : ٤٦٠٦٤ (ثمانية خطوط)

الاعلانات : يخاطب بشأنها قسم الاعلانات بدار الهلال

Aug 48
56:8

غزت شخصية « شهر زاد » ميادين الأدب الغربى .. فأوحت إلى أدبائهم ، أروع القصص والروايات .. وهذه هى النجمة المعروفة « إيفون دى كارلو » كما تبدو فى أحد الأفلام السينمائية فى دور « شهر زاد »

قصة القصة

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

ولدت مع الاسرة
ودرجت مع القبيلة

ونمت فى المجتمع القديم وبلغت أشدها فى المجتمع الحديث

وكان موضوعها أبدا هو أقدم موضوع وأخلد موضوع ، شغل به الناس وتشوقوا الى سماع الحديث فيه .. وهو – أو هى مواضيع – الحب والبطولة وعجائب الاخبار وخفايا الدنيا

ولم يعرف التاريخ قصة أقدم من القصة المصرية ، لسبب ظاهر .. هو أن المجتمع المصرى كان أقدم مجتمع عرفه التاريخ

فقصة السحرة الثلاثة ترجع الى أكثر من ألفى سنة قبل الميلاد

وخلاصتها أن الملك « خوفو » بانى الهرم الاكبر ، أرق ذات ليلة فدعى بأبنائه ليحدثوه بأعجب ما سمعوه من عجائب السحر والكهانة . فحدثه أولهم عن ساحر بلغ من مقدرته فى السحر ، أنه صنع تمساحا من الشمع . وأرسله فى النيل ، فانطلق فى الماء تمساحا حيا ليلتقم عاشقا كان يخون الكاهن الاكبر مع امرأته . وحدثه الثانى عن ساحر بلغ من مقدرته فى هذه الصناعة أنه حسر الماء عن أرض الجدول ، لتبحث فيها جارية من جوارى الملك عن جوهرة سقطت منها ، وهى تلهو على شطه . وحدثه الثالث عن ساحر يرد الرؤوس المقطوعة الى مواضعها من رقاب الحيوان ، فتعود اليها الحياة

وعرف المصريون الاقدمون قصص الاسفار والملاحين الذين ضجت بهم السفن فى البحار ، كما عرفوا قصص الكهان والسحرة ، وقصص العشاق والعاشقات

وكان للشرقيين السبق فى ميدان القصة بعد زوال دولة الفراعنة ، فظهرت القصة فى الاسكندرية وسوريا ، قبل أن تظهر فى آسيا الصغرى وسائر بلاد الاغريق ، وان كان الاغريق عرفوا الملاحم الشعرية قبل ذلك

ولم تزل قصبة السبق فى أيدى الشرقيين الى أوائل القرون الوسطى

فاستمع الناس فى مصر وسوريا وفارس الى الراوية

والمحدث ، قبل أن تقرأ القصة فى أوربا ببضعة قرون

وبدأت سلسلة ألف ليلة وليلة فى القرن العاشر للميلاد ، ولم يؤثر نظير لها فى الغرب قبل القرن الحادى عشر ، ثم ظهرت فى القرن الثالث عشر « أحاديث الغرام » للايطالى فرنسسكو بربرينو . ولعله كما يدل عليه اسمه Barbareno من أصل مغربى أو من بلاد البربر على الاجمال ، وتلاه بوكاشيو بأصابيحه العشر « الديكامرون » على نسق ألف ليلة، مستبدلا الصباح بالمساء

ثم انتقلت قصبة السبق فى هذا المضمار من يد الشرق الى يد الغرب بعد القرن الخامس عشر . ولكنه كان كانتقال الكتاب من يد المعلم الى يد التلميذ

لان سرفانتز صاحب دون كيشوت — وأكبر قاص فى القرن السادس عشر على الاطلاق — قد عاش زمنا فى افريقيا الشمالية ، وردد كثيرا من الامثال العربية فى قصته الكبرى التى نعى بها عهد الفروسية ، ولكنه مبتكر من جانب الموضوع أو من جانب القدرة على خلق الشخصيات

ويقال ان دانيال ديفوى أكبر القصاصين الانجليز بين القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر، قد وضع روايته الشائقة عن روبنسون كروزو على نسق «حى ابن يقظان»

أما القصة فى طورها الاخير ، فهى بحق وليدة المجتمع الاوربى الحديث . ولم يكن من المستطاع أن تظهر قبل ذلك ، لأنها مرهونة بأطوار المجتمع الذى ظهرت فيه

ففى القرن الثامن عشر ولدت القصة الحديثة ، وأصبح القصص فنا مستقلا عن سائر الفنون ، وأصبح موضوعا جديرا بالقراءة لغير التسلية وتزجية الفراغ ، لأنه اشتمل على الدراسات النفسية والدراسات الاجتماعية والدراسات التاريخية، وتخصص له كتاب مبرزون

وكان للقصة فى نشأتها الاولى من أقدم العصور، كبرياؤها التى تلازم كل شباب

فكانت لا تتنزل الى الكلام عن أحد من غير زمرة الابطال والامراء، ولا تتنزل الى الحكاية عن حادث غير حوادث العجائب والمغامرات ، وقلما عنيت بحديث فى الحب الا أن يكون حبا بين أمير وأميرة ، أو بين شموس وأقمار

وكان شعار القصاص القديم كشعار المصور القديم ، اذ كان يقول : « أين تجد من يرسمك ان كنت لا تجد من يراك ؟ »

وكذلك كان القصاص القديم يقول من خلال سطوره : « أين تجد من يسمع خبرك ان كنت لا تجد من يسمع باسمك ؟ »

فلا حديث عن غمار الناس ولا حديث عن معيشة كل يوم ، وانما هو حديث عن الابطال ومن هم أكبر من الابطال ، وهم المردة والارباب

ثم أدركها تواضع السن مع

الزمن ، فاذا هى اليوم تنحصر أو تكاد تنحصر فى سواد الناس من النكرات وأشباه النكرات ، واذا هى اليوم تتكلم عن الاسواق والاكواخ ، وعن حوادث الدنيا

ولعلنا نتجوز اذا قلنا انها تواضعت بعد تلك الكبرياء ، وتحولت من أصحاب السلطان الى من ليس فى أيديهم سلطان

فالواقع انها شغلت بجمهرة الشعب ، حين أصبحت جمهرة الشعب هى « مصدر السلطات » فى حكم الدساتير الحديثة ، وانها شغلت بعجائب النفس الانسانية ، بعد أن تكشفت لها عجائب وأسرار أخفى على الباحث المنقب من كل سر عجيب

فهى لا تزال موكولة بالسلطان ، وهى لا تزال موكولة بالعجائب ، ولكنه سلطان جديد وعجائب جديدة ، لم تخطر للاوائل على بال

وربما كان الاصح أن نقول انها قد امتحنت بجشع السن ولم تخلع كبرياء الشباب . فبلغ بها الطمع أن تحاول الاستئثار بكل قارىء وقارئة

وادعت لنفسها فى أواخر الزمن انها أحق من كل فن بالكتابة فيه والاقبال عليه ، وانها هى وحدها التى بقيت للأدب الصحيح ، لأنها هى وحدها التى تحيط بصور المجتمع وتعرض لمشكلات الحياة فى كل جيل

●

ولكن الادب لا يكون أدبا الا اذا كان « أدبا انسانيا » قبل كل شىء ، ولن يكون أدبا انسانيا قبل كل شىء اذا هو انحصر فى مشكلة من المشكلات فى جيل من الاجيال

فاذا استطاعت القصة أن تعيش بعد جيلها فهى أدب ، واذا هى عاشت وماتت فى جيلها فهى « حوادث محلية » فى غير صحف الاخبار ، وحاجة الناس اليها لا تعدو حاجتهم الى صحف الصباح وصحف المساء

وكل ما هنالك ان القصة ستهذب كبرياءها ، وتكفكف من جشعها ، وتكسب بذلك ولا تخسر ، لأنها تعطى ما للحاضر للحاضر وتعطى ما للبقاء للبقاء

فالقصة التى تنحصر فى عصرها تستولى على عصرها ولا نصيب لها فيما بعده من العصور

والقصة التى تعنى الانسان فى جميع عصوره لا تستأثر بعصرها ولا تفوتها المشاركة فى غيره

أو هى ستصبح — أو قد أصبحت منذ الآن — فنونا كثيرة فى أغراض شتى ، وليست بفن فرد فى غرض واحد

ستختلف — أو قد اختلفت — فى الاسهاب أو الايجاز ، وفى السمو أو الاسفاف ، وفى تعدد الجوانب أو الحيز المحدود ، وفى النقش الدقيق أو التخطيط الغليظ ، وفى شواغل الفرد أو شواغل الجماعة ، وفى الواقع أو الخيال

ولكنها — أيا كان اختلافها — ستظل كما كانت وكما هى الآن ، موكلة بالعجائب وذوى السلطان

عباس محمود العقاد

زهرة المرقص

بقلم محمود تيمور بك

أقصوصة فرعونية

— ١ —

فى اضامة من أوراق البردى العتيقة، دونت هذه القصيدة التى يبسطها شاعرها على النحو الآتى :

الى من تسقط فى يده هذه الاوراق ، أروى هذه القصة ..

انها غفل من الأعلام ، فأرح نفسك من محاولة التعرف لصاحبها

انه انسان مثلك ، صبت نفسه الى أن ينقل اليك هذا الحديث ، لعله واجد فى ذلك تسرية ، كما أنت واجد فيه مسلاة

اما أن تعلم : أوهم ما يقال ، أم حقيقة واقعة ، فليس فى ذلك ما ينقص من قدر القصة أو يزيد

أى جدوى لك فى أن تكون القصة من وادى الحقائق أو من صيد الخيال ؟

ستقرؤها فى فسحة من وقتك ، وفرصة من فراغك .. فان شاركتنى احساسى وشعورى باركتك ، وطلبت لروحك أمنا وطمأنينة فى اجتيازها برزخ الارواح ، ولجسدك سلاما ورفاهية فى ناووسه الحجرى

وان لم تقع هذه الاوراق من نفسك موقعها المؤمل .. فلا تنكر على ، ولا تلعنى اذ أضعت وقتك هباء ، واختر أن تكون سمح النفس ، كريم الخلق ، تنشد الرحمة لهذا الشاعر المأخوذ الذى صب عصارة عمره زيتا تضاء به ذبالة الأوهام !

هى قصة فتاة .. فتاة طالعت الحياة تمارس الرقص ، وتعرض فنها وفتنتها سلعة فى أسواق المواخير ...

لم تكن بذات حسن باهر ،

يجتذبك بروعة القسامة والوسامة ، ولكن روحها الحى المتألق كان يسرى فى جسدها اللدن المشيق ، فيتضوأ ، ويبث من حوله الفتنة والسحر

انك لتحس نور ذلك الروح وحرارته يشف عنهما ذلك الجسد ، كما تحس ضوء الشمس ودفئها خلف غلائل الغيوم

اذا اتفق لك أن تراها عفو النظرة ، وهى فى مألوف الرواح أو الغدو ، فانك ربما ترفعت عن أن تعاود اليها النظر ، بيد أنك ما ان تلمحها قد توسطت مدار الرقص ، وجعلت تنقل قدميها فى خفة العصفور ، وتراوح بين يديها بسطا وارخاء كأنهما جناحا طائر ، وتتأود بخصرها كانسياب الجدول الرقراق .. حتى تراها وقد تضوعت منها فتنة نفاذة

أخاذة ، وانبعثت من حواليها قبسات مشبوبة تتغلغل بحرها بين الحنايا والضلوع ...

لم تكن تتحلى بزينة بالغة ، أو تتحسن بملبس زاه ...

سرها وسحرها كمين فى ذلك الروح الوهاج ...

انه ليظل كأنما هو حبيس قمقم أحكم صمامه ، فاذا ما احتوتها ساحة الرقص تخلى الصمام عن مكانه ، وانطلق الروح كأنه بخور مسخور يشيع ولا يفتأ يشيع ، حتى يملك على الناس مسارب الأنفاس

وقد تثير شعرها فى الرقص ، وكان سبط الغدائر فاحما يتهدل كأنه سعف النخيل تعابثه نسمات الأصيل ...

انها تستعين بشعرها على التفنن فى الرقصات ، فتارة هو غدائر تتواثب على الكتفين ، وطورا هو سابح على الصدر ، وحينا هو غلالة تنسدل شفافة هفهافة توقظ الاغراء

وسرعان ما طار لها صيت ، وجرت بحديثها ألسن ، فلم يبق فى الأرجاء قاصيها ودانيها من لم يعرف « زهرة المرقص » ...

وما هى الا أن تبوأت مكانتها فى سوامر الأمراء ، ومحافل السراة ... فراحوا يتهافتون عليها تهافت الهوام على الشراب المعسول ، يعبون منه عب العطاش

وكانوا يثقلونها بأمداد من مال ومتاع ، فتثقلهم هى بألوان من دلال ومطال . لا يصدهم ملل عن التلطف والتقرب والزلفى ، ولا تأخذها هوادة ولا رحمة فى تكسب واغتنام !

وما برح نجمها يتصعد ويأتلق ، حتى كان ما ليس فى حسبان ...

لقد توارت « زهرة المرقص» عن العيون ، فاعترى الناس طائف من دهشة وأسف ...

أين ولت ؟

أما أنها ماتت ، فلا ...

لقد خلا ناووسها من جسدها المعطر .. ذلك الناووس الذهبى الذى شغلت باعداده ، وشغفت بتنميقه ، بضعة أعوام

أتراها ظعنت الى ما وراء التخوم ، تقصد الشرق الأقصى، لتروع بفتنتها أقيال الممالك ، وغطاريف الشعوب ؟

لو كان ذلك شأنها ، لترامى الى الأسماع حديثها، فان أنباءها قمينة أن تسيح بها طوافة النسيم ، وأن ترف بها أجنحة الطيور ...

وظل استخفاؤها لغزا لا يبين له وجه

هذا قصرها قد تخلت عنه ، وتلك حلاها لم تعبأ بها

عجبا لها ، زهدت فى كل شىء، وتولت،تنشدها تائهات الظنون !

وتتالت الشهور ، والناس على عهدهم يلهجون بذكر « زهرة المرقص » ولياليها الملاح، ولايملون فى شأنها السؤال والاستخبار ، يقلبون الامر على شتى وجوهه ، ويتمثلون فى استخفائها أشتاتا

من الفرض والتخمين

فمن قائل : انها برمت بحياة الظهور والترف ، فشهقت نفسها الى عيشة شظف وانزواء ، ومن ثم احتوتها مثابة كاهن من الزهاد، فى منقطع عن العمران

ومن راجم بالغيب يرى أنها لم تجد كفؤا بين الرجال ، يقدرها قدرها الحق ، فآثرت أن تكون للنيل العظيم عروسا تفنى فى أبوته الخالدة !

وهناك من كان يزعم أن رب الارباب « رع » قد أغرم بها ، فانتزعها من بين أحضان البشر، وأفرد لها عشا فى ملكوته الرحيب تحيا فيه ، وبين الفينة والفينة يهبط اليها ليتعرف : أى شىء ذلك الذى يفتتن به البشر من لذاذة ومتاع ؟ !

وكأين من قصص وأساطير أنيقة الوشى ، جميلة التنسيق ، تتناقلها الألسن فى شأن تلك الراقصة التى ارتفعت عن أعين الناس ، كأنما أدبر عنهم اله !..

— ٢ —

وذات مساء جلست لمة من الناس يتندرون أمام احدى الدور، فى حاضرة الجنوب . وساقتهم شجون الاحاديث الى أنباء «زهرة المرقص » فشرعوا يتنافسون فى تجلية ما يدور حول استخفائها من أقاويل ...

وكان بين السمار شيخ أشعث أغبر ، تقاذفته الأودية والفلوات، وعركته الاسفار والرحلات ، فأما أديم وجهه فقد كان ملوحا يضرب الى السواد ، كأنه الفخار صهدته النار . وقد عملت فيه السنون ما يعمل المحراث فى الارض من أخاديد وتجاعيد . كل خلجة من خلجاته تفصح أنه جواب آفاق، تسلمه النجاد الى الوهاد ، لاقرار له فى أرض ، ولا مقام له فى مثوى

كان الشيخ فى الحلقة سكوتا خافض البصر ، كأنما أخذته سنة من النوم ، فلما خوت وفاض الرواة من الأنباء ، وكلت ألسنة الجلاس من التحاور ، سما الشيخ برأسه ، وانفرجت أجفانه عن ومضات خابية كابية ، ثم جعل يعتصر جبهته هنيهة ، وشرع يتكلم بصوت مستضعف منهوك، قال :

انكم متسائلون عن تلك التى تلقبونها « زهرة المرقص » وانكم لتقصون من أنبائها حديثا عجبا. ولئن لم يكذبنى ظنى لتكونن تلك الفتاة هى التى شهدتها فى بعض أسفارى القصوى .. شهدتها فى مطرح نبا عن العمران، يكاد لايعتد فى عالمنا الآهل المسكون !

وعاود الرجل صمته ...

فتصدت له العيون تسدد نظراتها كأنها سهام تحاول أن تنفذ فيه لتثيره وتبعثه على مواصلة الكلام ...

وران على المجلس صمت أشبه شىء بصمت المسجى فى ناووسه ينتظر عودة الروح !

وعيل صبر الجمع ، وضاقوا ذرعا بهذا الترقب والانتظار ، فازدحمت الألسن بغتة تقتحم على

الشيخ سكتتـه ، وتدانت منـه الاجسادحتىضاقت حوله الحلقة، وأحس الأنفاس تتكاثف على وجهه ، كأنها زوبعـة هوجاء من زوابع البيد التى قاسي عنفوانهـا فى رحلاته من صقع الى صقع

فصاح الرجل وقد احتقن وجهه المعقد ، قائلا :

ـ حسبكم من تعجل !

ثم أشرع سبابته الى نجم الاق فى عرض السماء ، وقال :

ان هذا النجم أقرب لكم منالا من تلك التى تنشدونها . . !

فازداد الجمـع تألبا عليـه ، واحداقا به ، واستحثاثا له على الافضاء بما عنده

فشعر الرجل بأنفاسه تحتبس، وما لبث أن غاب عن وعيه !

فلما ذهب عنه الاغماء ، ألفى نفسـه فى بهو تترامى أرجاؤه ، ويسطع ضياؤه ، ويشيع فيه نفح الأطياب . وطالعته عمد ضخام سوامق، عليها النقوش والتهاويل . وراعته أستار من المخمل تحجب النوافذ والابواب . . . فجعل يرجع البصر كرات فى ذلك البهو الرائع ، حتى استقر نظره على منصة يعتلى عرشها رجل متلألىء فى أكسيته الزاهية ، ومن حوله حشم وأتباع

وصافحت أذن الشيخ هـذه الكلمات : «لقد ثاب اليه رشده . . قربوه ! »

وما ان نطق سيد المنصة بكلماته، حتى أحس جـواب الآفاق بأيد غلاظ شداد تحتمله ، فتلقى به عن كثب من قوائم العرش، فألفى نفسـه يهمهم : « أين أنا ؟ ماذا يراد بى ؟ »

فدنا منه رجل وثيق الاركان ، فارع القامة ، فى حلة حربية لماعة، وهو شاكى السلاح،أظهر ما يظهر من قسماته ندبة هى أثر جرح غائر فى جبينه . . وما هى الا أن قال للشيخ :

ـ أنت بين يدى الامير حاكم الجنـوب ، المحفوظ بعنـاية رب الارباب ! . . وانه لآمرك بأن تفضي اليه بما فى علمك من شأن «زهرة المرقص » . . .

فأطرق الرجـل وقتا يلملم ما تبعثر من ذكرياته ، ويجمـع شمل خواطـره ، ثم قال حائر النظرات :

ـ ليس لدى ما أضيفـه الى ما قلتـه . . . انها فى مطرحهـا القصى ، وان نجم السماء لأقرب اليكم منها منالا

فعلت صيحـة الامير وهـو ينتفض من غضب :

ـ ليس فى الوجود ما يتعذر علينامناله أيها الصعلوك الشريد . . أصدقنى : أعلى ظهر الارض هى فننشدها ، أم طواها «أوزوريس» فى ملكوته الخفى ؟ !

فأمعـن الشيـخ فى شروده ، وهمهم : « حقا ، لست أدرى ! »

فصاح الامير حازم اللهجـة : « ألم تقل انك رأيتها ؟ »

فقال الشريد وحدقتاه تدوران فى محجريهما من حيرة واضطراب :

ـ بلى . . . رأيتها . . . رأيتها

2251 1 Dec

بعينى هاتين ...
ورفع سبابته يشير بها الى كلتا عينيه !
ـ اذن هى فى قيد الحياة ...
ـ من يدرى !
وتعالت بين حاشية الامير همهمة تساؤل واستيضاح ، وتحرك الرجل الحربى صاحب الندبة الغائرة فى جبهته ، وما لبث أن رفع يديه بسوط غليظ ، وقال : « أفصح والا ألهبت بالسوط ظهرك »
فريع الرجل، وتكمش يرجف، ثم صرخ بصوت راعش :
ـ قسما برب الارباب انى لصادق فيما حدثتكم به !
وغامت الدنيا لعينيه،واستلقى على أديم الارض يستغيث هاذيا
وتقدم الرجل الحربى ذو الندبة من الامير ، قائلا له : « مخبول هذا الرجل يا مولاى . أو لعله محموم »
ـ سواء أكان مخبولا أم محموما فاننا لن نفلته حتى يطلعنا على سره فى شأن « زهرة المرقص »
وأقيم جواب الآفاق فى حجرة من حجر القصر، مخفورا بأحراس، محوطا بأسباب العلاج والتمريض، مكفولة له راحة العيش ... وما انقضت أيام حتى استعاد الرجل طمأنينة النفس ، وصفاء الفكر
وكان بين الفينة والفينة يزوره الرجل الحربى ذو الندبة الغائرة ، فى يمناه سوطه يتلاعب به،فيتحدث اليه تارة متبسطا يستدرجه ، وطورا مغلظا له فى القول يتهدده. فما قدر على طول المجاهدة والمعاناة ان يستخلص منه الا أمشاجا أشبه شىء برؤيا نائم !
عرف الرجل الحربى ذو الندبة أن جواب الآفاق رأى « زهرة المرقص» ليلة فى ضوء القمر،وهى ترقص على مرج كأنه بساط من سندس ، تحدق به نخيلات فوارع ، يجوس خلالها جدول رقراق
رآها ، ولكن كما يرى طيفا من الأطياف ، لا تأخذه العين الا لمحا
وكانت تتردد فى هذه الساعة أنغام ناى حنون ، لا يتبين له صافر ...
ولبث الجواب وقتا بمرأى من ذلك ومسمع ، لا يعلم : أطال به وقته أم قصر ؟
بيد أنه موقن أصدق اليقين أن صوتا شديدا هتف من حوله :
ـ ابتعد أيها التائه الشريد عن هذا الوادى المقدس .. تنح عنه لا تطأه بقدميك .. انج بنفسك، والا حاقت بك غضبة القدس الاعظم ، وحقت عليك لعنة الأبد !
ففر الجواب من فوره مذعورا ، مستطار اللب ، يضرب فى المفاوز والفلوات ...
ذلك قصارى ما انتهى اليه حديث جواب الآفاق فى شأن « زهرة المرقص »

ـ ٣ ـ

وجاء يوم شاهد فيه أهل المدينة قافلة تبرز من قصر الامير، على رأسها ذلك الحربى الفارع ذو الندبة الغائرة، وعن اليمين جواب الآفاق ، ومن ورائهما الأعوان ،

بينهم حملة الامتعة والأزواد

وتناهى الى المسامع أن القافلة انما تبغى سفرا بعيد الشقة ، فى مهمة ذات بال

وفصلت القافلة عن المدينة تودع السكينة والأمن بجوار النيل السعيد ، وتستقبل ذلك الخضم المسجدى من الصحراء تعانى فى قطعه ألوان العذاب

وواصلت القافلة سيرها وسراها ، تسيل بها الوهاد وتعلو بها النجاد .. فمن شمس تسلط شواظها وتلهب مواطىء الاقدام ، ومن زوابع تبسط أستار الرمال فتعشى العيون، ومن جفاف قاحل ماحل لا زرع فيه ولا ضرع، ومن ليل موحش تسرى فيه زمزمة الضوارى ، وتتخايل فيه أشباح العاديات ...

والقافلة فوق هذا العناء كله ، تمضى لغير هدف مرسوم ، الا تلك الرؤيا الحالمة التى الفت بين أشتاتها مخيلة جواب الآفاق الشريد !

وما زال رهط القافلة يمضون ويمضون ، حتى تجمعت من أيام رحلتهم أسابيع وأسابيع ... وكأنما هم فوج من أسارى حرب، افلتوا من مأسرهم وهاموا على وجوههم يطلبون ملاذا وقد عز الملاذ !

وشح الزاد، وشاع فى الاجساد هزال واعياء، وعلت الوجوه غبرة الشظف وغموض المصير

وتبادل الرفاق صمتا يردفه صمت ، واستعاضوا عن الكلام بالنظرات تنم عن تخاذل وقنوط

واستبدت بقائد القافلة جهامة وعبوس ، ولم يعد يسأل جواب الآفاق عن شيء ، فقد نضب معينه من قول يضيفه ...

لقد عاد القائد يفكر فيما ينجيه من ذلك التيه أكثر مما يفكر فى بلوغ الغاية وادراك المنشود !

لم تبق فى الركب قوة على متابعة المسير ، بل لم تبق فى نفوسهم اثارة من رجاء تشد من العزائم الخاوية

ولكن كيف السبيل الى مآب؟ أنى للقائد ذى الندبة الغائرة أن يعود مجرجرا أذيال خيبة واخفاق؟ بأى وجه يلقى الامير؟ وبأى لسان يبسط عنده العذر ؟ أينسى قول الامير فى يوم وداعه : أنه لمعد له انكالا وعذابا اليما ان هو قصر وان هو لم يبلغ ذلك المأرب العظيم ؟

فأما جواب الآفاق، فقد غشيه الذهول ، وألح عليه الضعف ، وانتهى به الامر الى أن تملكته غيبوبة أصمت سمعه وعقلت لسانه ، فظل ممدودا على محفة يتناوب حملها رفقة السفر، منهوكى القوى ، لا يكادون يستطيعون لأجسادهم حملا

وصبح يوم أقبل القائد ذو الندبة على جواب الآفاق فى محفته، يصعد نظره فيه ويصوبه ، وقد بلغ منه الغيظ كل مبلغ .. وما لبث ان أمر بالقائه على متن الرمال، تتولى رعيه !

واستأنفت القافلة سيرها ..

ولكن الى أين ؟

وكانت الصحراء تتقاضى الركب

كل يوم صريعا هالكا أو موشكا أن يهلك ، وكأنما لذ لها أن تقتنص كل يوم طعامها من تلك الاجساد التى أنضاها السفر وأضناها الكلال !

وأخيرا حان يوم ألفى القائد ذو الندبة الغائرة نفسه فردا يتنفس، لا عون له ولا رفيق ، وليس من حوله الا حطام من متاع !

وهبت عليه نكباء من ريح الصحراء أشاعت حوله الظلمة والعبوس، فأحس أنفاسه تختنق، والحياة تيبس بين أوصاله !..

وتواصلت أشهر ، والامير يرتقب عودة الركب ، يمنى نفسه بأوبة قائده المظفر، وقد اصطحب الضالة المنشودة .. ولكن الاشهر ردفتها الاشهر ، دون أن تذهب عن الامير مرارة الانتظار والترقب ودب اليأس الى قلبه ، فنسى أو تناسى شأن تلك القافلة التى أصبحت فى ذمة الظنون !

— ٤ —

وفى أمسية من الأماسى المقمرة، تحلق جمع من الناس بباب احدى الدور فى حاضرة الجنوب ، وهم يسمرون . وفى أعقاب السمر ، تسلل بهم الحديث الى شأن «زهرة المرقص» فتنازعوه بألوان من الحدس والتخمين

وكان بين الجلاس غريب فى أسمال، تعبث بوجهه التجاعيد ، ذو بشرة لوحها القيظ ، تكسوها غبرة .. وعلى جوانب وجهه يتهدل شعر غزير ، ولم يكن يأخذ بطرف من أطراف الحديث، وانما قنع بالاصغاء، مطأطىء الرأس ، كأنما تسرى فيه اغفاءة.. فما ان عرض ذكر «زهرة المرقص» ، وخاض فيه السمار، حتى جعل يرفع رأسه ، وينفض الغفوة عن جفنيه ، ويقلب فى وجوه المتحدثين نظرات كليلة عشواء.. ثم همهم فى صوت راعش :

أعن تلك الراقصة الحسناء تتساءلون ؟ أكبر ظنى أنها هى تلك الفتاة التى لمحتها فى بعض أسفارى القاصية.. انها فى مثابة لا تصل اليها قدم بشر .. انها بعيدة عنا بعد ذلك النجم السيار !

وأشار بيده الى السماء !

فما عتم الجمع أن أطبقوا عليه يحاصرونه بأسئلتهم فى الحاح ، فلاذ الرجل بصمته ، وعيناه الكليلتان تدوران فى حيرة وخبال

وسرعان ما شاع فى المدينة نبأ ذلك الغريب الذى يعرف سر « زهرة المرقص » ... فلم يلبث الرجل أن أحس بنفسه محمولا الى قصر منيف ، واحتواه بهو فسيح الأرجاء، تتراءى فيه العمد مزدانة بالرسوم والنقوش ، والأستار المخملية تكسو النوافذ والابواب ، وذلك العرش المتألق تحف به الأحراس والأتباع

وتدانى منه رجل بادن متكتل، فى حلة حربية ناصعة ، وهو يتلاعب بسوطه ، وصاح به :

— لقد سمعك الناس تتحدث عن « زهرة المرقص » ... فهلا أوضحت للامير حاكم الجنوب المحفوظ بعناية رب الارباب حقيقة ما تعلم ؟

فجعل الرجل يطوف ببصره حوله ، يحاول أن يكشف عن

2251

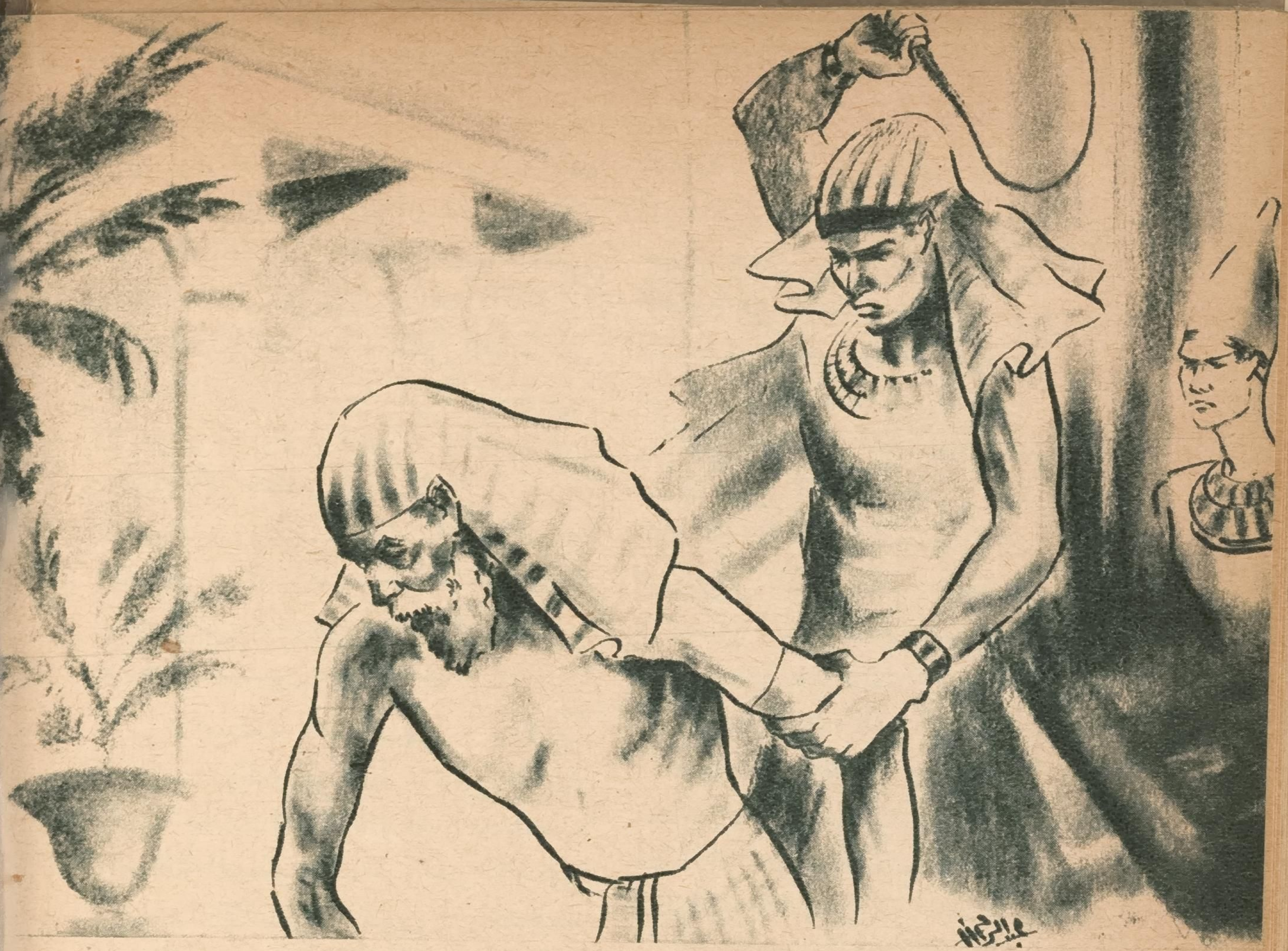

وأحس لسعة السوط من يده وهو يقول : « ألم تع ما أقول ؟ »

مخيلتـه ما ران عليهـا من ذهلة وشرود ، وشاعت على شفتيـه ابتسامة حيرى ، وهم أن ينطق ، فلم يملك . وطال صمته ، وأحس لسعة السوط من يد ذلك البدين، وهو يقول له : «ألم تع ما أقول؟»

فجمجم الغـريب قائلا : « رحماك ! »

ـ لا رحمة قبـل أن تفضى بما عندك . . .

فرفع الغريب عينه يبعث منها نظرة زائغة ، وقال :

ـ لقد قلت لـكم انها بعيـدة المنـال ، بعيـدة كنجم السماء ، ما أنتم ببالغيه !

وهوى السوط على ظهـره ، فصاح الغـريب يتضرع ، وقال الامير فى صوته الركين :

ـ أدركوه بجرعة من شراب . .

وصافح هـذا الصوت سمع الشيخ الذاهل، فأرهف له أذنيه، وخيل اليه أنه صوت ينفـذ من بعيد مخترقا طيات الأحقاب . فأخذ يستنقذ ما بقى من ذاكرته تحت أنقاض الأحداث

وجىء له بقدح مترع بالشراب المنعش، فاشتفه اشتفافا، وجعل يعبث بشـعره المسترخى على جوانب وجهـه ، وما هى الا أن استبانت فى جبينه ندبة هى أثر جرح غائر

فانتفض الامير متنحيـا عن عرشه،وأقبل على الرجل يتفحص سماته تفحص متثبت . . ثم لم

يملك أن صاح : « أهذا أنت ؟ »
وانتبه الغريب ، واتسعت حدقتا عينيه ، وجعل يرنو الى الامير ، كأنه يميط الغبار عن صفحات طال بها العهد ... ثم صاح فجأة : « مولاى ! »
وخر ساجدا ...
وحمل القائد ذو الندبة الغائرة ، وهو مغشى عليه الى احدى حجر القصر ، محوطا بألوان الرعاية والاهتمام
ومضت أيام ، والرجل طريح الفراش ، صريع الحمى . وكان الامير يعوده فى الحين بعد الحين ، فيلازم مرقده ساعة يصغى فيها الى هذيانه ، وهو يقول :
ـ انها فى واحة « رع » ... واحته العليا ، حيث الخضرة السندسية ينساب فيها الماء من لجين ، ويظللها النخيل الباسق بسعفه الفينان
يا لهذا الناى الساحر يصفر فيه رب الأرباب ، فتتخطر على ايقاعه تلك الفاتنة الحسناء !..
وامتدت الحمى بالقائد ذى الندبة ، حتى أفضت به الوعكة الى فقدان الحراك
ويوما ذهبت الحمى عن الرجل بغتة ، وعاجله صحو وهاج ، فأشرق وجهه ، وسطعت عيناه ، وسرعان ما طار النبأ الى سمع الامير ، فقدم من فوره ، واقبل على القائد متبشرا ، طلق المحيا. وتبوأ مقعده عن كثب منه ، فرنا اليه القائد فى ضجعته ، وقد ضاعت على فمه ابتسامة وديعة . وجىء له بقليل من شراب ، فصب فى فمه. وسرت فى وجنتيه انتعاشة خفيفة ، وبعد فترة لاطف الامير يد القائد قائلا : « اصدقنى ، أحقا رأيتها ؟ »
فهمهم الرجل خافت الصوت ، رزين اللهجة ، وئيد النبرات : « نعم ، رأيتها ... رأيتها بعينى هاتين ! »
وتاه ببصره فى الأفق ، كأنه يستعيد فى خياله ذلك المشهد البعيد الذى رأى فيه « زهرة المرقص »
ثم استأنف يهينم :
ـ ليست هى الآن من البشر .. انها حلم وردى تلوح أطيافه فى عالم المنام !
انها روح لطيف يسرى فى كون سماوى !
انها فكرة قدسية ترف فى ملكوت رب الارباب « رع » !
انها شعاعة لماحة تدور فى فلك الاله « آتون » !
انها عصية المنال عن هذا العالم الارضى ...
انها ...
وما هى الا أن عرت الرجل هزة ، فمال رأسه ، وتراخى جفناه ، وسكنت أوصاله
فابتدره الامير مستحثا فى تلهف ، قائلا له :
ـ تكلم .. اوضح ما تقول
ولكن القائد كان فى هذه اللحظة قد خلص بروحه من دنيا الاباطيل والأوهام ، وأصبح فى ذمة « أوزوريس » حيث الحقيقة الخالدة !

محمود تيمور

2251
1
Dec

القميص الأسود ..

- ١ -

ليلة من ليالى اكتوبر ، حالكة السواد.. وسماء حجب السحاب نجومها ، وبحرلجى يتدافع موجه ويرقص على ايقاع الرياح الداوية، وسفينة ضخمة من سفن البريطانيين تدعى «دربان كاسل» تجرى وسط المحيط الاطلسى ، لا تلوى على شىء ، ولا تكترث للموج أو السحاب أو الظلام .. اخترقت خط الاستواء منذ ساعات ، وبينها وبين الساحل الافريقى مائة ميل ، وهى تجد السير فى طريقها عائدة الى بريطانيا

و «دربان كاسل» على ضخامتها وفخامتها ، مكان محدود المدى ، ضيق المساحة جدا ، لعله اقل الامكنة صلاحا لارتكاب جريمة .

فان مجال الهرب أو الاختفاء يوشك ان يكون معدوما ، وازدحام السفينة بركابها وبملاحيها وضباطها ، يجعل الناس فيها قريبى الاتصال، بحيث يشق على الشرير ان يخفى شره ، والآثم ان يستر اثمه

ومع ذلك ، ففى تلك الليلة الليلاء ، وفى ساعة باكرة - بعد أن انتصف الليل بساعتين أو ثلاث - فتحت النافذة المستديرة

بقلم

الدكتور محمد عوض محمد بك

طغت موجة إجرام على بريطانيا العظمى ، منذ نهاية الحرب ، ليس من السهل أن نجد لها تفسيراً أو تأويلا . ولئن قيل إنها ظاهرة طبيعية بعد كل حرب ، فليس من السهل أن نفسر انتشار نوع خاص من الاجرام ، ضحيتــه دائماً امرأة فى ريعان الشباب

فى مخدع من مخادع الدرجة الاولى ، وسقط منه الى سطح اليم جسد بشرى جميل .. ولا يدرى أحد أكان الجسد حيا أم ميتا ، ولكنه على كل حال جسد امرأة ، فى الحادية والعشرين ، رزقت حظا كبيراً من الصباحة والملاحة ، ولهاشعر حالك السواد ولعينيها اتساع ودعج ، كثيرا ما خلب عقول العاجزين الضعفاء . ولم يلبث البحر الخضم أن تناول هذا الجسد الغض واحتضنه ، وعلى كثرة ما احتضن هذا الجسد من قبل ، فان هذه من غير شك هى الحضنة الاخيرة .. ومضت السفينة لطيتها مبتعدة عنه . ولو أن فى هذا الجسد الملقى من النافذة بقية من الحياة ، لما استطاعت صاحبته أن تبلغ بصياحها أذنا تسمع ، لأن ضجيج البحر حين تشقه الباخرة ، ودوى الرياح ، كفيلان باخفات ذلك الصوت الآدمى الهزيل

وذات العيون الدعجاء فتاة تدعى « ايلين جبسن » تحترف مهنة التمثيل ، ولم تبلغ فيها شأوا بعيدا . وقد سافرت مع فرقة من الفرق للتمثيل فى افريقيا الجنوبية ، وأقامت مع الفرقة تلعب دورها بقدر طاقتها ، ورجعت الفرقة الى بريطانيا ، ولم تعد معها ايلين ، فقد آثرت أن تتخلف فترة من الزمن فى بلاد اشتهرت بالذهب والماس ، فقضت بضعة أسابيع تمارس حرفتها فى بعض المسارح والاندية الليلية . ولعلها لم تكن تخلو من ميل الى المغامرات وخضوع للمغريات . بحيث لم تجد بأسا فى أن تقبل من أحد أصحاب تلك الاندية هدية من المال وتذكرة للسفر بالدرجة الاولى ، وهى التى مكنتها من ركوب تلك السفينة ، الى ذلك المصير الغريب

●

وكان فى السفينة رجل تجاوز الثلاثين يدعى جيمس كامب ، لا نستطيع أن ندعوه خادما ، لأن منصبه أرقى من مناصب الخدم ، ولعل الاوفق أن ندعوه قهرمانا .. ومهما يكن من شىء ، فان جيمس هذا رجل متزوج ، خلف زوجته فى وطنه ببلاد الانجليز ، كعادة رجال السفن . وقد أجمع الناس على وصفه بالتيه والغرور . وكان يفخر بأن له فى كل رحلة فريسة تقع فى شباك حسنه وغرامه ، وشعره المصقول بمختلف أنواع الدهون . وهذه الفريسة هى فى العادة من راكبات الدرجة الاولى ،

2251 1 Dec

ومن ضربن فى الحسن بسهم وافر

وقد رأى جيمس تلك الممثلة الناشئة تركب الباخرة ، فصح عزمه على أن تكون عشيقته فى هذه الرحلة . فأخذ يخصها بعنايته ورعايته . ويسلط عليها نظراته وبسماته وشعره المجعد المدهون ، ولعلها رضيت عن هذه الحفاوة بعض الرضى أو كل الرضى ، ولم تبد غضبا أو نفورا ، لأن جيمس أبرع من أن يأتى ما يثير الغضب أو يبعث النفور

ومن عادة السفن أن تحتفل احتفالا عظيما باختراق خط الاستواء . فتصدح الموسيقى النهار كله ، وتقام ألعاب مضحكة زيادة فى الفرح والمرح . وفى المساء يقدم للراكبين عشاء فاخر تليه حفلة راقصة . ويقف فى أثناء الحفلة اله البحر نبتون على عرشه ، فيوزع على الذين يخترقون خط الاستواء للمرة الاولى «شهادات» تدل على انهم اجتازوا الامتحان بنجاح ، وبعض الركاب ينال شهادة من درجة « حوت » ، والآخر من درجة « قرش » والثالث من درجة « قاروص » وهلم جرا . وأذكر أن كاتب هذه السطور عند ما اخترق خط الاستواء منحوه شهادة من درجة « جمبرى » وهو ما يزال يحتفظ بها ، ويدخرها للملمات

فى تلك الليلة قرر جيمس المذكور أن قد آن الاوان لاقتناص الصيد ، فهمس فى أذن الفريسة وهو يراقصها ، انه سيزورها فى مخدعها تلك الليلة ، حاملا اليها قدحا من الشراب ، تتناوله قبل أن تنام ، ولا يدرى أحد هل تقبلت منه هذا الامر بقبول حسن . ولكنا نعلم انه قد نفذ وعده ، وذهب الى مخدعها يحمل اليها الشراب ، بعد أن انتصف الليل بساعتين . واحتواهما المخدع فترة من الزمن ، لاندرى أطالت أم قصرت . ولكنا نعلم انه غادر المخدع ، وليس به أحد

— ٢ —

بعد تلك الليلة بأسبوع ، وصلت السفينة أحواض سوثامبتن ، فلم تكد تلقى مراسيها ، حتى صعد اليها فريق من رجال الشرطة ممن ينتمون الى تلك المؤسسة ذات الشهرة العالمية المسماة سكوتلنديرد ، وألقوا القبض على جيمس كامب ، وساقوه الى غياهب السجن متهما بقتل الممثلة ذات الجسد البض والعيون الدعج . واستغرق اعداد القضية خمسة أشهر كاملة ، وفى اليوم الثامن عشر من شهر مارس ، بدأت المحاكمة فى مدينة سوثامبتن ، ودامت أربعة أيام . كانت القاعة فى كل يوم منها غاصة بجموع الصحفيين والمتفرجين ، وبينهم كثير من النساء تبدو عليهن مظاهر النعمة والغنى ، وأكثرهن جئن من مكان بعيد

ليشهدن هذه المحاكمة ، وكن يبكرن فى الساعة الخامسة من الصباح ، لكى يضمن مقعدا داخل القاعة

وقد آن لنا أن نشرح تفاصيل هذه القضية ، ولعل خيرما نفعله أن نذهب بالقارىء الى قاعة المحلفين لنستمع الى أقوالهم وهم يتذاكرون ويتداولون . وعلى الرغم من أن هذه المداولات تدور سرا وراء أبواب مغلقة فاننا نفضل أن نقتحم بالقارىء هذه الابواب ، ونخرق حرمة ذلك الاجتماع السرى ، من أن نجلس به أربعة أيام كاملة نصغى الى طوائف الشهود وأقوال رجال الدفاع والاتهام

خلا المحلفون للمداولة . . فقال زعيمهم : « أريد أن أوضح نقطة لابد لنا أن نزيل ما يخامرنا من الشك فى أمرها . ذلك اننا بصدد قضية قتل ، فقدت فيها جثة القتيل ، وهى حالة نادرة ، ولكن سبق أن حكم فى مثلها ، والادلة التى بين أيدينا كافية ، فلا يغير من أوضاع القضية كثيرا أن تكون الجثة مفقودة . . ان المتهم يعترف بانه دخل مخدع المرأة ، ويزعم انه راودها عن نفسها ، فلم تعتصم . وانها بعد ذلك أغمى عليها ، فحاول افاقتها فلم يستطع ، فطار صوابه ، وخشى أن يفتضح ، ففقد رشده ، وحمل جسدها العارى فألقى به فى اليم . ولا بد لنا أن نقلب هذه الدعوى على جميع وجوهها ، حتى نرى رأى الصواب فيها »

قال بعض المحلفين : « ان هذه المرأة ليست على جانب عظيم من سمو الخلق وعفة النفس ، ولم تترفع فى حياتها عن أن تكون خليلة لبعض ذوى المال . فهى من طلاب المغامرات الجاريات وراء اللهو والمال . وفوق ذلك ثبت لدينا انها كانت تعتريها نوبات وانفعالات من آن لآن . فهى بلا شك ذات مزاج عصبى حاد . فلننظر الآن هل نستطيع أن نقرر أن مثل هذه النوبات ، واحتمال حدوثها فى تلك الليلة ، مما يؤيد كلام المتهم »

وقال محلف آخر : « لقد شهدت فتاتان بأن المتهم اعتدى عليهما غصبا ، وقد عجز الدفاع عن أن يدحض كلمة واحدة من شهادة هاتين الفتاتين . ولا بد لنا أن نسلم بأن المتهم شخص تطغى عليه الشهوة فتدفعه الى ارتكاب العنف . ولم يثبت على الفتاة انها شجعته . وليس فى سيرتها ما يدل على انها ترضى أن يكون عشيقها قهرمان سفينة . وهى التى لم تألف أن تتودد الا الى ذوى المال والجاه

« ولئن صح ما زعمه المتهم من انها أغمى عليها وهى بين ذراعيه ، وحاول افاقتها فلم ينجح ، فليس من السهل أن نصدق أن يدفعه هذا الامر لأن يلقى بجسدها من النافذة ، بل الادنى الى العقل أن يستعين بطبيب الباخرة أو ببعض أصدقائه ، أو يتركها لعلها أن تفيق من تلقاء نفسها ، أو تظل فى فراشها حتى يجدوها فى

الصباح جثة هامدة ، بعد أن ماتت موتا عاديا

« وليس هو بالرجل الغبى ، حتى يتوهم أن فقدها الرشد ، بل موتها بين يديه تهمة خطيرة . ولئن كانت طاوعته كما يزعم ، ورضيت به عشيقا ، فليس لأحد أن يؤاخذه اذا أصابها من جراء ذلك مكروه

« كلا أيها السادة .. ليس لدى أدنى شك فى أن ما حدث فى تلك الليلة ، فى ذلك المخدع ، كان عملا عنيفا ، واغتصابا اجراميا ، كالذى سبق للمتهم ارتكابه ، وقد قاومت المسكينة مقاومة لا تقل شدة وقوة عن المجهود الذى بذله . ولم تفقد الفتاة رشدها ، بل الذى فقد رشده هو المتهم ، اذ عجز عن اغرائها ، وخشى أن تصيح أو تستغيث ، فأخمد أنفاسها بعنف ، فماتت بين يديه ، فألقى بها من النافذة . انى لا أستطيع أن أتمثل هذه الجريمة فى صورة غير هذه الصورة البشعة »

قال زعيم المحلفين : « وجدير بنا أيضا أن ننعم النظر فى شهادة خادم الباخرة ، فقد شهدت بأنها رأت المرأة قبل الحادث بقليل ، وكانت خرجت من مخدعها لبعض شأنها ، ترتدى « روبا » من تحته « بيجامة » من الحرير الاسود . وقد زعم المتهم أنها لم تكن تلبس تحت الروب شيئا . وفتشت أمتعة الفقيدة تفتيشا دقيقا ، فلم يعثر لتلك البيجامة السوداء على أثر

« ان هذه الشهادة على جانب عظيم من الخطر ، لأن معناها ان المرأة ألقيت من النافذة وهى فى ثياب نومها . وهذا دليل يدحض ما زعمه المتهم ، ويثبت انها لم تذعن لرغباته . وانها قاومته مقاومة شديدة ، اضطرته لأن يعاملها بقسوة وحشية . ومن الجائز أن يكون قد ألقى بها من النافذة بعد أن فقدت الرشد ، أو بعد أن فقدت الحياة . وهو فى كلا الحالين قاتلها »

وخرج المحلفون من حجرتهم بعد خمس وأربعين دقيقة ، قضوها فى البحث والمداولة ، فسألهم القاضى : « هل تجدون ان جيمس كامب قتل ايلين جبسن فى ساعة باكرة من يوم ١٨ من أكتوبر ؟ » فأجاب زعيم المحلفين : « نعم ! » — هنالك لبس القاضى عمامته السوداء ، وأصدر حكمه باعدام المجرم شنقا

- ٣ -

وكان العدل والمنطق يقضى أن يسدل هذا الحكم الستار على فصول هذه المأساة ، ولكن المقادير شاءت غير هذا . وأبى القضاء الا أن يتدخل فى شؤون القضاء .. فانتقلت المأساة الى مسرح جديد ، لا صلة له بهذا الحادث ، ولا بالباخرة ولا بالجانى أو المجنى عليها

فقد تقدم عدد من أعضاء

برلمان بريطانيا العظمى ، بمشروع قانون يلغي عقوبة اعدام القتلة ، وذلك لمدة خمس سنوات على سبيل التجربة . وكان هذا المشروع بمثابة ثورة خطيرة فى التقاليد القضائية البريطانية ، فقد كانت عقوبة الشنق فيها لها حرمة خاصة ، ومكانة عظيمة القدر . والحكومة البريطانية لم تكن راضية عن هذا المشروع ، غيرأنها لم تر ما يدعو الى اصدار أمر الى أنصارها بمعارضته ، فترك التصويت حرا . فوافق عليه المجلس وكان المؤيدون له ٢٤٨ والمخالفون ٢٢٢ . واضطر الوزير المختص لأن يعلن أن عقوبة الاعدام ستلغى بالنسبة الى جميع المجرمين الذين أدانهم القضاء ، ولم ينفذ فيهم حكم الاعدام بعد

ومن هؤلاء المجرمين جيمس كامب ، الفتى المغرور ذو الشعر المجعد المدهون ، الذى قتل ايلين جبسن فى ساعة باكرة فى اليوم الثامن عشر من أكتوبر

محمد عوض محمد

تخلص ظريف

ادعى رجل النبوة .. فقيل له : ما علامات نبوتك ؟

قال : « أنبئكم بما فى نفوسكم ! » . قالوا : « فماذا فى نفوسنا ؟ »

قال : « فى أنفسكم انى كاذب مخادع ولست بنبى ! »

الماء والفطير

روى أن الامام « أبا حنيفة » قال : دخلت البادية ، فاحتجت الى الماء ، فجاءنى أعرابى ومعه قربة ماء .. وأبى أن يبيعها الا بخمسة دراهم . فدفعتها اليه وأخذت القربة . ثم قلت : « ما رأيك يا أعرابى فى أكلة فطير مصنوع من القمح الخالص ؟ » . فقال : « هات » . فأعطيته فطيرا ملتوتا بزيت . . وأخذ يأكل منه حتى امتلأ جوفه ، ثم عطش . فقال : «عجل بشربة ماء» . قلت : « بخمسة دراهم قدح الماء ... »

ولما أصررت على ذلك .. قبل ، ومن ثم استرددت الدراهم الخمسة . واحتفظت بالماء والقربة معى

لهيب

من قصة الشاعرة والمصور

للاستاذ محمود عماد

2251
1
Dec

كان يحلم بهواها وجناها فى فحمة الليل ، وليس له من مسعد إلا ذكراها الجميلة . وإنه لفى انتظارها وهو يستعرض النجوم وقد غرق فى اشواقه ولوعاته ، وإذا هى تقبل كما تقبل الدنيا الباسمة بآمالها ومسراتها ، فيلتقى لهب وجده برائع جمالها فيخر ساجداً ، فتحنو عليه كما تحنو الآلهة

مر يوم على المشوق فلما ... أقبل الليل أجمل استقبالا
وخلا يعرض الأزاهر ألوا ... نا ويزجى رسومه أشكالا
جاهدا ما يمل شغلا واما ... وقف الشغل راح يشكو الملالا
وهو فى كل لحظة يلحظ الأبوا ... ب ما ان يرى عليها خيالا
فاستوى يائسا وقال غررنا ... كيف تنسى ذات المطال المطالا ؟
ثم أهوى الى الرسالة يستو ... ضح أسطارها ، هدى أم ضلالا؟
واذا دقة على دفة الشر ... فة جالت بمسمعيه ، فجالا
وارتمى خارج المكان فلم يبـ ... ـصر سوى نفسه ، فدار خبالا
وانثنى راجعا وفى النفس ما فيـ ... ـها وفى العين دمعة تتلالا
غير أن شد ما جثا حين ألفا ... ها بأيوانه تميس اختيالا
وهى ترنو لغير شىء وقد أو ... لته صدا مزورا ودلالا
ثم لما قضت من الصمت ما شا ... ءت وساء الفتى مع الصمت حالا
نومته بنظرة وبأخرى ... أيقظته ، وأقبلت اقبالا
فانبرى يفرغ الأزاهر أسما ... طا عليها ويلثم الأذيالا
وأرادت به الذى قد أرادتـ ... ـه فألقت وشاحها ادلالا
وبدا جيدها وما حمل الصد ... ر ، فما شئت روعة وصقالا
مثلما قلص الكمام عن الزهـ ... ـرة فاسترسلت شذى وجمالا
او كما مزقت غلائلها الشمـ ... ـس فأغضت لها العيون كلالا
ضل رشد الفتى فأقبل يرعا ... ها كما لو رعى البخيل المالا
ومضى يعرض الصبابة شرحا ... ومضت تعرض الصبا اجمالا

ورأت طرسها اليه فهمت ... تشعل النار تحته اشعالا
وتلاقى اللهيب والخد فيها ... مثلما صادف المثال المثالا
فاذا شعلتان فى فحمة الليـ ... ـل قد امتازتا لظى واشتعالا
ثم قالت له وقد خبت النا ... ر : كذا جئت أضرب الأمثالا
ان حبى شرارة ، فلهيب ، ... فرماد ، فهل تطيق احتمالا ؟
قال : بل أرتضى هواك هوانا ... وأرى ذلتى به اجلالا
قالت : الآن يا فتى دنت بالحسـ ... ـن وآمنت بالهوى فتعال ! !
ثم غابا بجوف سيارة قو ... راء لم تأل فى الظلام انسلالا
يحسب العاشقان حين تولت ... لم يحسا لسيرها اخلالا
انها فى الكرى وأن المرائى الـ ... ـكثر أطياف حلمها تتوالى

جولة أبلغتهما ظل قصر   طاول السحب فى العلاء فطالا
صاحت : انزل فقد حللت (بقصر ال   بوم) ، واحمد بسوحه الترحالا
فرأى منزلا غريا ، وبستا   نا جنيا ، وغادة مكسالا
قال : ان الذى أرى من نعيم   فوق شأو الخيال مهما استطالا
ان يكن فى اسم ذلك القصر شؤم   فبحسبى نزيلة القصر فالا
طلع البدر بالضياء على الرو   ض ، وحيا نسرينه الميالا
وعلى ضفة الغدير حبيبا   ن سعيدان قد أطالا اعتزالا
ينقذان الزهر الغريق من الما   ء ، ولا يألوان عنه نضالا
ورآها تعارض الماء بالكف   كما عارض الزلال الزلالا
قال : يا ويلتا تنحى بعيدا ،   أنت منه ، وقد خشيت اتصالا
فتسامت تطيل فى البدر تحد   يقا وقد سددت اليه النبالا
قال : هلا جنبته أن تصيبي   ه فينقض من علاه اختلالا ؟
فثنت عطفها عليه ومالت   خوط بان سرى النسيم فمالا
ثم نامت فقال : قد نامت الفت   نة ، لكن فعلها ما زالا
ظل يغرى بخدها طرفه الثا   قب ، ما ان يود عنه انتقالا
ويرى شعرها تداعبه الر   يح فيحكى ذيولها استرسالا
وجفونا تكاد أهدابها تط   بع فى ماء خدها أمثالا
جمع النوم بينها فتلاقت   وكذا النوم يجمع الضلالا
يا لعوب القوام والطرف ما أسر   ع أن قد رضيت سيما الكسالى
نمت عنى تصنعا ثم لما النو   م أضحى حقيقة لا خيالا
نمت عن نفسك الكبيرة واعتض   ت من الحذر والصدود امتثالا
أنت فى قبضتى ، وطوع يمينى   فاذا شئت نلت منك منالا
غير أنى اذا هممت بك أنحل   لهول المقام عزمى انحلالا
لست أدرى وأنت يقظى ووسنى   أى حاليك لى أقل نوالا
أنا من رهبتى ومن عزة الحس   ن أرى جرأتى عليك محالا
يا ليالى اللقاء طولى على الص   ب وأفنى الشهور والأحوالا
أنت مهما غلوت فى الطول قصر   ت وان بز طولك الأجيالا
سوف ان زلت لا يخالك الا   بارقا لاح فى الظلام وزالا
خفضى ، خفضى خطاك فان الص   ب مغف وأجملى اجمالا
هو كالطفل نام بعد بكاء   وأرى الخطو يوقظ الاطفالا
انها نومة كما خدروا المع   تل حينا فما أحس اعتلالا
أيها الوالهون حياكم الحس   ن وبياكم الاله تعالى
ان تكونوا بلذة فاغنموها   سوف يبقى اكثارها اقلالا
ان عمر النخيل فى بسطة العي   ش كعمر الورود فاخشوا الزوالا
لا تقولوا قد أقصر النحس عنا   فلياليه قد يجئن طوالا

محمود عماد

2251

من قصص المروءة ..

في ميادين القتال

يتوسط الحدائق الغناء ، بجامعة كورنيل بأمريكا ، نصب تذكارى نقشت عليه الكلمات الآتية : « الانسانية فوق الأمم » . وقد اتخذ ثلاثة من الكتاب هذه العبارة عنواناً لكتيب ، ضمنوه قصصاً وجيزة واقعية ، جرت حوادثها خلال الحرب العالمية الأخيرة .. ونقتطف للقراء هنا بعض هذه الأقاصيص التى يبدو منها ذلك الشعاع المضىء من غريزة الخير فى الانسان

كنت مراسلا حربيا لصحيفة « الديلى اكسبرس » فى نورماندى ، حينما نفد الماء من معسكر الجرحى ، ولم يبق أمام القائد الا أن يختار بين أمرين : فأما أن يموت الجرحى عطشا ، أو يلجأ الى القائد الالمانى فى معسكر الاعداء . ولم يفكر طويلا قبل أن يوفد رسولا الى قائد العدو ، يتوسل اليه أن يأذن لرجال الصليب الاحمر فى معسكر الحلفاء أن يحملوا ماء من بئر الالمان الى جرحاهم . ولم يقتصر القائد الالمانى على تلبية هذا الرجاء ، ولكنه فوق ذلك بعث مع الرسول الى قائد الحلفاء زجاجة من « الكونياك » هدية منه اليه مع تحياته . وقد أذن لى الرقيب أن أنشر الشطر الاول من هذه العاطفة الانسانية ، ولكنه أبى على الشطر الثانى الخاص بزجاجة « الكونياك » ، حتى لا ينسب للألمان هذا القدر من حب الخير . ولو أن الرقيب سمح بنشره ، فاننى أؤكد أن الصحيفة كانت مع كل ذلك تهمله ، لأن هذا النوع من الاخبار كان لا يتفق وسياستها المرسومة

أليس هذا الحادث دليلا قاطعا على أن الخير ــ كالشر ــ طبيعة كامنة فى نفس الانسان ، وان الجندى مهما يبلغ من السذاجة ، يفرق بين

« الحرب » و « القتل » ؟. لقد شاهدت طيلة السنوات التى قضيتها فى ساحات القتال عددا يذكر من هذه الحوادث ، التى تنهض دليلا على أن شمعة الفروسية والبطولة والشهامة الانسانية لا يخفت ضوؤها ، مهما تهب عليها عواصف الحرب

[عن الاذاعة البريطانية فى ٥ اكتوبر سنة ١٩٤٤]

كانت نار الحرب بالغة أشدها بين الايطاليين وفرقة من جيش جنوبى افريقيا ، حينما أقبل جندى ايطالى يحمل راية بيضاء ، ووراءه سيارة تحمل خمسة من الجرحى .. وسرعان ماخفتت أصوات المدافع والقنابل ، وألقى الجنود حرابهم . وقد دهش قائد الحلفاء ، حينما تبين له أن هؤلاء الجرحى لم يكونوا من الاعداء ، وانما كانوا من الطيارين البريطانيين الذين أسقطت طيارتهم فى ميدان الايطاليين بعد أن ألقت عليهم قنابلها . ولما لم يكن عند الايطاليين من الاسعافات الطبية ما يمكنهم من علاج الجرحى ، فقد حملوهم الى زملائهم فى معسكر جيش جنوبى افريقيا لاسعافهم . واعترافا بهذا الجميل ، حملت سيارة العدو بأدوات الاسعاف الطبية وأرسلت مخفورة الى مقر العدو

[عن الديلى ميل فى ٨ يناير سنة ١٩٤٢]

أغرقت غواصة ألمانية باخرة انجليزية فى المحيط الاطلسى فى أوائل الحرب العالمية الاخيرة ، وقد نجا جميع ركابها سوى أربعة ، أصيبوا بشظايا القنابل اصابات خطيرة . ولما أنزلوا فى قوارب النجاة دنا الضابط الذى كان يقود قارب الجرحى من غواصة العدو ، فما كان من ربان الغواصة الا أن أظهر نهاية العطف .. فقد أسعف الجرحى بالاربطة والعقاقير ، كما قدم لسائر الركاب تسعة أرغفة من الخبز . ولم يكتف ربان الغواصة بذلك ، بل بعث فورا الى مستر تشرشل رسالة لاسلكية (SOS) بين فيها موقع السفينة الغارقة بالضبط ، قبل أن يغادر المكان . ولم تمض ١٣ ساعة على الحادث حتى أنجدت قوارب النجاة الجرحى ، تلبية لرسالة العدو

[عن صحيفة التيمس البريطانية فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٩]

2251
1
Dec

وهذه حادثة لجنديين من جنود بريطانيا كانا يحملان « نقالة » عليها جندى جريح فى ميدان من ميادين الحرب فى آسيا . وفجأة سمعا خشخشة وفرقعة زناد ، فتوقفا عن السير . . واذا بجندى يابانى طويل القامة يخرج من الاجمة الكثيفة وبندقيته مصوبة نحوهما . وقبل أن يضغط على الزناد ، وقع نظره على الجريح ، فرفع يده عن الزناد ووضع بندقيته على كتفه ، وتوارى مسرعا وراء الاشجار

[عن لشستر ايفننج ميل فى ١٩ مايو سنة ١٩٤٤]

كانوا ثلاثة فى طائرة ألمانية من قاذفات القنابل ، وقد حاولوا اغراق سفينة بريطانية تجارية . . ولكن مدافعها المضادة للطائرات ، أسقطت الطائرة ، وأصابت رجالها الثلاثة باصابات خطيرة . وحاول رجال السفينة البريطانية انقاذ الالمان الثلاثة ، بالقاء حبال يمسكون بها ، ولكن شدة الاصابات والاعياء وهياج البحر ، كلها حالت دون ذلك . بيد أن أحد الضباط خاطر بحياته وألقى بنفسه فى اليم ، وهو يعلم أن الامواج الصاخبة قد تدفع به الى جانب السفينة وتحطمه . ولكنه قاوم الامواج وربط الاعداء الثلاثة بطرف الحبل ، وعاد فتسلق سلم السفينة ، وعاونه رفاقه على شد المصابين الى ظهر الباخرة

[عن صحيفة المتيس ٣ يونيه سنة ١٩٤١]

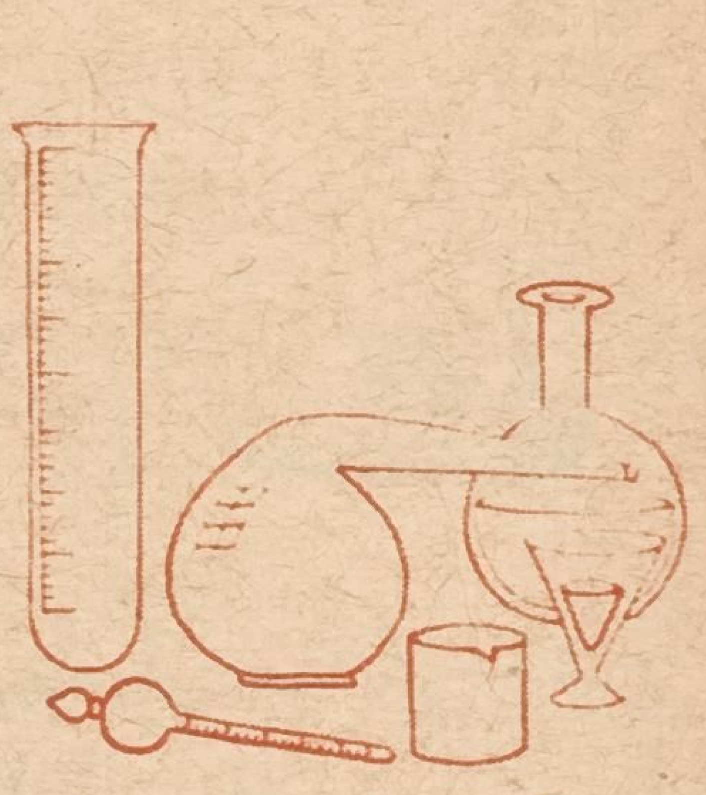

لما استولى الجيش اليابانى على شنغهاى ، أصبحت كمية الانسولين فى المدينة على وشك النفاد . فعهد الى بريطانى أن يعد جهازا لتحضير مقادير منه لمصلحة الصحة فى بلدية شنغهاى . ولكنه عجز عن ذلك لافتقاره الى قطعة معينة ، حاول عبثا العثور عليها ، اذ استولى اليابانيون على جميع الاجهزة الطبية التى كانت للبريطانيين . فخطر له أخيرا أن يستعين بأستاذ ألمانى فى مدرسة طب ألمانية هناك . فما كان من الالمانى الا أن أعاره جهازا ، قائلا : « قد نكون أعداء ، ولكننا فى سبيل الانسانية اخوة »

[عن الكرستيان باسيفست فبراير سنة ١٩٤٣]

حدثنى طبيب حربى ألمانى أن آخر سفينة غادرت تونس كانت مستشفى حربيا ألمانيا . ولم تسر طويلا حتى أرغمتها مدمرة بريطانية على العودة الى بيزرتا – التى كانت فى حوزة الحلفاء حينئذ . وهناك فتشت بكل دقة . ولما كان كل شيء فيها عاديا ، اعتذر الضابط الذى عهد اليه التفتيش ، وقال انه فعل ذلك لأنه فى حالة مماثلة سابقة ، اتضح له أن سفينة مستشفى ايطالية كانت تحمل ذخيرة

وقبل أن يؤذن للباخرة الالمانية بالسفر وزع البريطانيون على الجرحى والاطباء الوسكى والشكولاتة والسجائر . وكانت أربطة الجرحى ليست على ما يرام ، فغيروها وضمدوا لهم جروحهم ، وأرسلوا وراء السفينة مدمرة بريطانية تحرسها الى أن كادت تبلغ شاطىء ايطاليا [عن كتاب « وراء الستار الحديدى » سنة ١٩٤٤]

من رسالة كتبها جندى انجليزى فى التاسعة عشرة من عمره الى والديه فى مدينة ليدز بانجلترا ، يصف لهم ما حدث له عند ما جرح فى نورماندى : « جرحت يدى اليمنى وساقاى ، فحملنى أسير ألمانى فى مستشفى الصليب الاحمر فى نورماندى الى الشاطىء مسافة ٧٠ ياردة ، ثم نظر الى وابتسم . ووضع سيجارة فى فمى ، وأشعلها ، ثم وضع « الولاعة » فى جيبى . وبعد ذلك مزق قميصه الابيض ، وصنع منه أربطة ضمد بها جروحى . وأخيرا قبلنى وعيناه مغرورقتان بالدموع ، ومضى يعنى بسواى من الجرحى »

[عن يوركشر ايفننج بوست ١٣ يونيه سنة ١٩٤٤]

الزرع والحصاد

قال الحجاج لامرأة من الخوارج : « والله لأعذبنكم عذابا ولأحصدنكم حصدا »

قالت له : « أنت تحصد ، والله يزرع .. فانظر أين قدرة المخلوق من قدرة الخالق ! »

شهر زاد .. كما تخيلتها الآنسة عزيزة عيد

الشخصية التي أثارت في نفوس الناس على مر العصور أجمل الصور وأروع الأخيلة

شهرزاد ..

بقلم الدكتورة سهير القلماوى

« وصار الملك شهريار كلما تزوج من فتاة .. قتلها فى ليلتها. ودام على هذه الحال ثلاث سنوات .. فضج الناس وهربوا ببناتهم . ثم ان الملك أمر الوزير أن يأتيه بفتاة كعادته . فخرج الوزير وفتش ، فلم يجد فتاة .. فتوجه الى منزله ، وهو غضبان مقهور خائف على نفسه من الملك

« وكان للوزير بنتان ذاتا حسن وجمال وبهاء .. الكبيرة « شهر زاد » ، أما الصغيرة فاسمها « دنيا زاد » . وكانت الكبيرة قد قرأت الكتب والتواريخ ، وسير المتقدمين ، وأخبار الامم الماضين. حتى قيل انها جمعت ألف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالأمم السالفة والملوك الخالية والشعراء. فقالت لأبيها : « ما لى أراك متغيرا حاملا الهم والاحزان ؟ » فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام، حكى لها ما حدث له مع الملك . فقالت له : « بالله يا أبت زوجنى من هذا الملك .. فاما أن أعيش ، واما أن أكون فداء لبنات المسلمين وسببا لخلاصهن من بين يديه » فقال لها : « بالله لا تخاطرى بنفسك »، فقالت : « لا بد من ذلك »

●

هكذا تقدم لنا « الليالى » تلك الشخصية التى أثارت فى نفوس الناس على مر العصور خيالات وصورا .. شهر زاد ابنة وزير ذات حسن وجمال ، وذات ثقافة واسعة .. تطوعت يوما أن تخاطر بحياتها لتنقذ بنات جنسها وأخذت على عاتقها أن تهذب نفسا بشرية شاذة ــ لا بالموسيقى ولا بالغناء ــ وانما عن طريق القصة والادب بما يحويانه من موسيقى وغناء ، يعرفهما الذين يعشقون القصص الشعبى بخيالاته الباهرة وصوره الساحرة

وظلت « الليالى » تحمل هذا الاطار الجذاب ، اطار شهر زاد ، فكل سحر يطالعنا فيها انما هو من فنها وسحرها ، وكل جميل من صنعها وخلقها . فوقف العلماء يقولون : « ومن شهر زاد تلك ؟» فأجاب الفنانون : « هى رمز الفن.

قصتها قصة الحياة البشرية طبعت بطابع الفن» وقالت العامة : « هى شهر زاد وكفى » . ولكن العلماء يعيدون التساؤل : « ومن أين جاءت هذه الفتاة بالخيال والفن ؟ »

وقد كانت قولتها : « لأكونن فداء لبنات المسلمين » مفتاحا للاجابة عن هذا السؤال عند المستشرق الهولندى «دوجويه»، فقصة « أستير » المعروفة فى التوراة تشابهها من هذه الناحية. اذ تطوعت كل منهما لانقاذ بنات جنسها من طاغية . فقد وجد دوجويه نص « ابن النديم » فى وصف اطار الف ليلة وليلة، يشير فيه الى « حمى بنت بهمن » فبحث فى التاريخ الفارسى القديم، فوجد أن « أم بهمن » تسمى «أستير» أو ما يشبه هذا الاسم ، بينما كانت زوج بهمن يهودية تسمى أحيانا شهر زاد وأحيانا دنيا زاد . بل قيل أن حمى الابنة كانت تسمى شهرزاد أيضا . ومن هنا خرجت فكرة هذا المستشرق من أن القصتين — قصة شهر زاد وقصة أستير — تنبعان من أسطورة فارسية قديمة بسبب التشابه القوى بينهما

●

وأثار بحث « دوجويه » هذا ضجة لاتصال الموضوع بالدين اتصالا كبيرا . وكثر مفندو رايه ومعارضوه ، مدللين على أن الشبه الذى يزعمه ، شبه لا يعتد به لانه شبه ظاهرى . فالقصتان تختلفان فى الطريقة التى اتخذتها كل من البطلتين فى القيام بهذه التضحية . أما تشابههما فى مغزى الفداء أو التضحية ، فشبه مشترك بين قصص كثيرة جدا . ثم ان تشابه الاسماء لا يدل على شيء لاحتمال التحريف، ولشيوع الاسمين فى فارس القديمة

ومن هنا نرى أن العلماء انفسهم أحسوا أن أهم ما يميز قصة شهر زاد وشخصيتها، هو هذا السلاح الذى اتخذته لتفتدى به بنات

طلبنا من بعض الفنانين أن يصوروا « شهر زاد » كما يتخيلونها .. وعلى هذه الصفحات ننشر طائفة من انتاجهم . وقد زينا غلاف العدد بالصورة الجانبية . وهى لتمثال من صنع الأستاذ عباس فرج الشيخ

هكذا تخيل الاستاذ محمد
عبدالرحمن شخصية شهر زاد

جنسها .. سلاح الفن تجاهد به ليخفف من عنف الطاغية

وظلت قصة شهر زاد تثير اعجاب العامة فى الشرق .. يطربون لها ويعجبون بها ، ويرددون قصتها وما روته من أقاصيص الغرام فى لذة وشغف ، حتى انتقلت « الليالى » الى الخاصة عند الغربيين فأثارت فى نفوسهم خيالات وصورا جديدة .

واستقبلت قصة شهر زاد فى فرنسا أولا ثم فى باقى بلدان أوربا بالحماس والترحاب . ودخلت على الادب الغربى ، فاذا باسمها يغزو ميادين الادب ، بل ميادين الفنون كلها من موسيقى ورسم ونحت، بل يجاوز ذلك فيغزو الحياة اليومية العادية فى مظاهرها الفنية .. فاذا متاجر انيقة تسمى باسمها الذى أصبح يطلق أيضا على البضاعة التى يراد لها الرواج

ولكن أثرها فى الموسيقى والادب فاق كل أثر، لان الموسيقى والادب أقدر على تصوير الفن الذى أوحت به شهرزاد من غيرهما من الفنون .

وقد نال باليه شهر زاد الذى الف حول سمفونى « رمسكى كورساكوف Korsakov » من الشهرة والذيوع ما كفل له الحياة الى اليوم . ومايزال جوهره الخلاب ينقل أنغام الموسيقى الرائعة عبر الزمان أجيالا ، فنجد فيها أنغاما غامضة حالمة فى جو عجيب من السحر والخيال يحاول أن يرسم ما هيأته شهر زاد من جو فنى حول الملك الطاغية

ويأتى الادب ، فتوحى له شهر زاد بخيال سابح حالم غير محدود، واذا بالكتاب فى مختلف العصور والبلدان يستلهمون من وحى شهر زاد . ولكن فرنسا التى كان لها السبق فى اذاعة فن شهر زاد وسحرها ، هى التى كان لها السبق فى هذا الميدان أيضا. فهذا « جوتيه Gautier » يكتب عن الليلة الثانية بعد الألف ، حيث تأتى شهر زاد الى الكاتب طالبة انقاذها بقصة جديدة ، لان الملك لم يعف عنها

وقد سار على نهجه الكاتب الامريكى « ادجار الن بو » فكتب عن شهر زاد فى الليلة الثانية بعد الألف ، فوصف كيف قتل الملك شهريار الفاتنة العظيمة لانها استمرت تقص عليه قصصها ، وقد اشتاق بعد طول الليالى أن ينام ليستريح من الملل والسأم

●

والف هنرى دى رينيه Henri de Regnier فى سنة ١٩٣٠ قصة شهر زاد بعد الألف ليلة ، قتل فيها البطل شهريار، وتفردت شهر زاد بالحكم من بعده فسئمت البذخ والقصور والبساتين التى تعيش فيها، وراحت بدورها تعيد قصة شذوذ زوجها طالبة قصاصا يعينها بقصصه على احتمال سأم الحياة ، والا عاقبته بقطع أذنيه .

وتظفر آخر الامر بشاب وسيم يأتيها فى قافلة غريبة فتحبه . ثم يظهرها الكاتب فى نفس المجموعة

تمثال لشهر زاد .. من صنع الأستاذ فتحى محمود

شهر زاد .. للمثال كامل جاويش

من القصص، وقدخانها حبيبهامع فرنسية جاءت على متن طائرة من فرنسا الى بغداد.

وتسرب أثر «دى رينيه» هذا الى كتابنا المحدثين ، فكان له الفضل فى عودة شهر زاد الى الشرق وطنها الاول ، لتوحى الى أهله بما لم توح به الى غيرهم. فما كادت شهر زاد تعود الى مصر، الى الشرق وطنها الاول حتى عادت تلهم كتابه وقصاصيه من جديد. واذا كاتبان من كتابنا يؤلفان معا « القصر المسحور » مستوحيين شهر زاد ، واذا طه حسين ينفرد باخراج كتاب عن أحلام شهر زاد ويضع توفيق الحكيم قصته المعروفة « شهر زاد »

هذه هى باكورة وحى شهر زاد فى نحو من عشرة أعوام. ترى ماذا سيأتى به وحيها من جديد ؟ وماذا سيتحفنا به الكتاب من تجديد لسحرها وفنها العجيب ؟ اننا لا نزال على عتبة الجنة الساحرة ، لم نر من نورها الا الشعاع البعيد !

سهير القلماوى

ماذا تحب المرأة فى القصة .. وماذا يحب الرجل ؟

بقلم الدكتور امير بقطر

لم تذكر المراة قبل الرجل فى هذا العنوان تأدبا .. ولكن لأن القصة أو الرواية الى قلب المرأة أقرب ، والى طبيعتها أحب . المرأة أكثر انطواء على نفسها من الرجل ، وأشد ميلا للوحدة ، ومناجاة الذات، ومحاسبة الضمير . وفى حوادث القصة المتسلسلة ، وعناصرها المحبوكة .. تجد المراة مرتعا خصيبا ترعى فيه هذه الصفات ، وتنساب فيه طبيعتها حرة طليقة

ان المرأة — بوجه عام — تحب الرجل فى القصة ، كما أن الرجل يحب المرأة فيها . ولعل ذلك سبب فشل القصة التى لا تعالج مسألة تكون كل من المرأة والرجل طرفا فيها . وقد شاهد كاتب هذه السطور منذ سنوات فى لندن رواية تمثيلية بديعة ، محكمة التأليف ، توافرت فيها سرعة الخاطر ، وحضور البديهة ، وحلاوة النكتة، وتعدد المفاجآت . وقيل ان عيبها الوحيد أن جميع الادوار فيها ، على كثرتها ، كانت النساء . غير أن شيئا واحدا كان بارزا فيها ، لا يخفى على كل من يراها ، وهو ان الحديث فى جميع الادوار ، كان يدور حول محور واحد ، لا يكاد يتغير — الرجال . وكانت جميع النكات والعبارات الفكاهية التى ضج لها النظارة بالضحك — كانت كلها منصبة على الرجال ، أو علاقة النساء بهم . وقد أخرجت الرواية بعد ذلك فى السينما ، وظهرت على الشاشة البيضاء، ورآها الكثيرون فى احدى دور الصور فى القاهرة .. ولكنها لم تصادف النجاح الذى أصابته على المسرح فى لندن ، لان المخرج فاته أن قوتها كانت فى حديث ذلك الجيش الجرار من الممثلات عن الرجال ، ومغامرات الجنسين فيها ، فحذف أكثره معتمدا على قوة التمثيل وحده ، وما فيه من اشارات وحركات

●

اما اذا خرجنا من التعميم الى

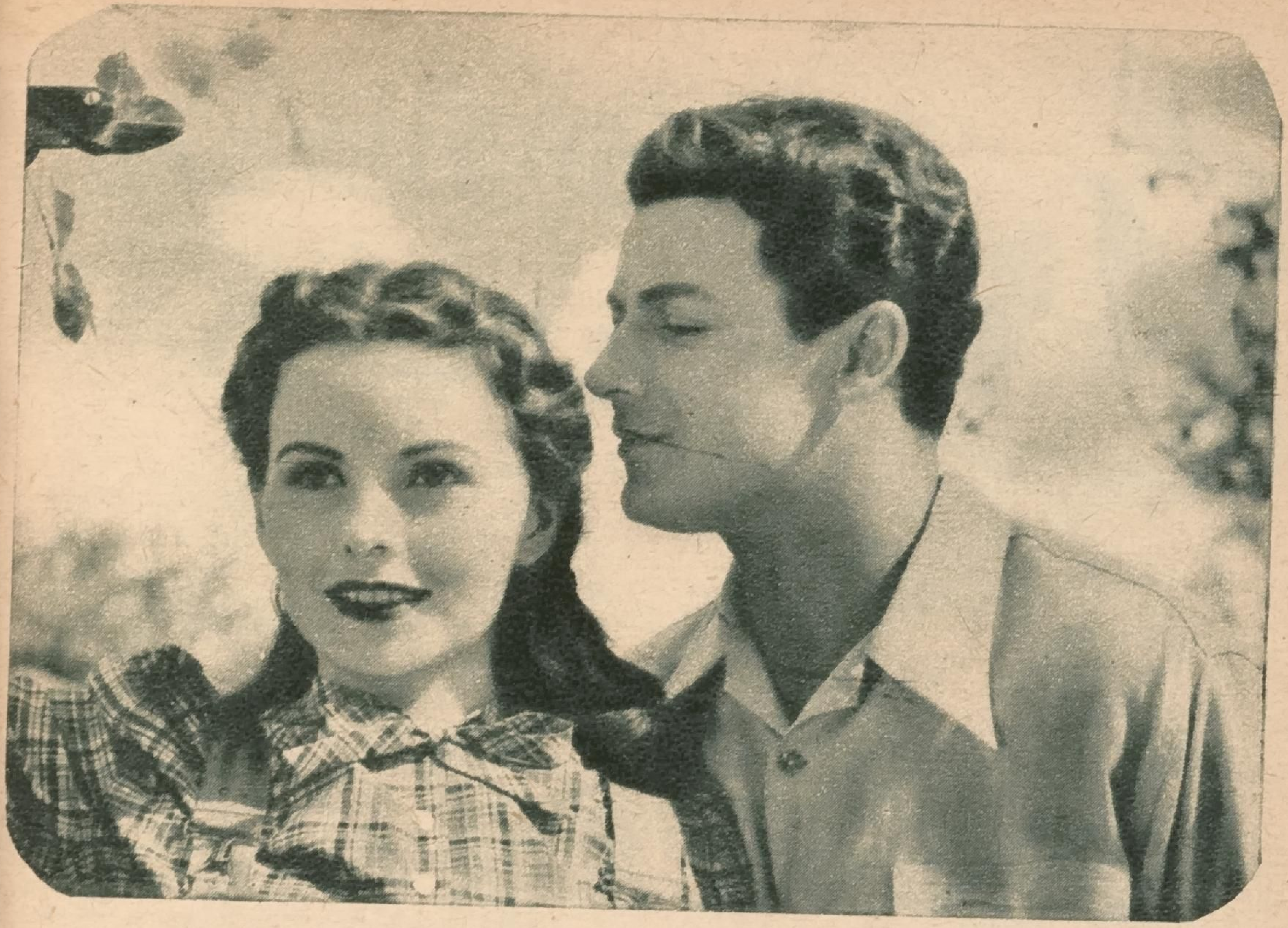

المرأة اكثر استسلاماً من الرجل للخيال والأحلام ..

التخصيص ، وجدنا فروقا جوهرية بين المرأة والرجل، تبدو آثارها فى القصة . ومن البحوث الطلية التى قام بها جماعة من علماء الاجتماع، انهم جندوا عددا كبيرا من الرجال والنساء ، وطلبوا اليهم أن يندسوا فى الاندية والاجتماعات العامة ، وينتشروا فى سيارات النقل والقطارات ، ويدونوا فى مذكراتهم الموضوعات التى يتحدث عنها النساء ، والموضوعات التى يتحدث عنها الرجال . وبعد أن توافرت لديهم المواد التى تصلح أساسا لاستخلاص النتائج ، تبين لهم ان احاديث المرأة تكاد تنحصر فى شيئين ، اولهما الرجال ، وثانيهما الملابس وأدوات الزينة ، وان احاديث الرجل تكاد تنحصر فى شيئين ، أولهما العمل ، وثانيهما المال . ولسنا نبعد كثيرا عن الصواب اذا قلنا ان ما توصل اليه هؤلاء العلماء فى التفريق بين هذين النوعين من الاحاديث، هو عين ما يمكن أن نتوصل اليه فى التفريق بين ما يعنى به الرجل فى القصة وما تعنى به المرأة

وهناك بالطبع عوامل أخرى ، يتوقف عليها ما يحب الرجل او المرأة فى القصة .. فى مقدمتها السن ، وما يشغل البال فى الحين الذى تقرأ فيه القصة . فالرجل فى متوسط العمر يسترعى نظره النجاح فى الاعمال ، والتفوق على الاقران ، والاحتفاظ بالعزة والكرامة الذاتية ، والزوجة المستقرة فى الحياة الزوجية ، المطمئنة البال قد تستهويها الذرية

وأثاث البيت ، والعلاقة بين أفراد الأسرة . والاطفال الذكور قبل سن الحلم أو بعده بقليل لا يعنون بالقصص أو الروايات الغرامية ، وانما تلذ لهم الحوادث الفكاهية ، والرياضة ، والالعاب البهلوانية ، وأعمال البطولة

●

ومن العوامل التي تفرق بين المرأة والرجل ، نظرة كل منهما الى قيم الحياة وموازينها ومقاييسها . فعند المرأة كل ما يتعلق بالمسائل الاجتماعية ، والدينية ، والذوق السليم : هو الذى يحدد هذه القيم ،والموازين ، والمقاييس . أما الرجل ، وان كان يعنى بهذه المسائل أحيانا ، فان المسائل النظرية ، والسياسية ، والاقتصادية هى التى تسترعى أنظاره أكثر من كل شيء عداها

والمرأة فى قراءة القصة ، حتى المستهترة ، تعجب بالصفات السامية ، والمثل العليا ، وعلى الأخص التعاون والخدمة الاجتماعية، وما ماثلها من المسائل التى قلما يعبأ بها الرجل . وليس معنى هذا أن المرأة تفوق الرجل خلقا ، فقد يكون هذا صحيحا فى بعض الصفات ولكنه ليس صحيحا فى مجموعها . فقد اتضح من التجارب العملية التى أجراها علماء النفس والتربية على طلاب المدارس الثانوية من الجنسين ، ان الذكور والاناث يستوون فى الغش والكذب والسرقة ، بالرغم من أن الاناث أكثر اعجابا عادة بالاخلاق الحميدة من الرجال، واشد ميلا للاشمئزاز من كسر التقاليد المرعية، ونواميس

يعنى الرجل في القصة بالمغامرة والحياة العملية الشاقة

2251

الفضائل المتفق عليها

ومن المسائل المتفق عليها ، ان المرأة من سن الثانية عشرة فما فوق ، اقل ثباتا واستقرارا فى وجدانها وعاطفتها من الرجل . فقد اتضح من دراسة عشرات الالوف من طلاب الجامعات من الجنسين ، ان أعراض الاضطرابات النفسية ، واختلال التوازن العصبى بين الاناث منهم ، تزيد بمقدار عشرين فى المائة عنها بين الذكور . ويستنتج من ذلك أن المرأة تكون أشد تأثرا وكراهية للحوادث العنيفة الصاخبة فى الرواية ، من الرجل ، لانها تثير أعصابها ، وتزيد نفسها اضطرابا ، ولكنها فى الوقت عينه ، تكون أكثر استسلاما من الرجل للخيال والاحلام التى تصورها القصة عادة . ومن المبادىء المسلم بها ، ان المرء كلما كان متزنا ، مستقر الوجدان ، سليم الاعصاب ، قل اعجابه بالخيال . وكلما زادت أعراض الاضطرابات النفسية فيه ، اشتد تعلقه بالاحلام التى يبدع القصاص أو الروائى فى تصويرها ، والقصور التى يشيدها له فى الهواء

ولهذا يمكن ان نقول بوجه عام ، انه كلما كان الانسان — رجلا كان او امرأة — مرتاح الضمير ، سليم الوجدان ، كان أبعد عن الامعان فى قراءة القصص والروايات ، وكلما كان مضطرب النفس ، تساوره المخاوف والشكوك والهموم محطم الاعصاب ، جنح الى الهرب من الحياة الواقعية ، وتعلق بأهداب الخيال ، اما بقراءة القصص والروايات والامعان فيها ، أو بتعاطى المسكرات والمخدرات ، أو بالاصابة بمرض نفسانى . وقد يخيل الى القارىء لأول وهلة ان هذا بعيد عن المنطق ، ولكن العلم الحديث بين لنا بأدلة قاطعة ، أن الرجل — أو المرأة — الذى لا يستطيع تحريك ذراعه ، أو يفقد حاسة السمع أو النظر ، أو يصبح مقعدا ملازما فراشه ، بالرغم من سلامة ذراعه ، أو اذنه أو عينيه ، أو سائر بدنه من كل مرض عضوى — هذا الرجل لا يختلف بتاتا عمن « يدمن » قراءة القصص ، أو يستسلم للمسكر أو المخدرات . ان كلا من هؤلاء يحل مشكلا من مشاكل الحياة على طريقته الخاصة . ولعل هذا يزيدنا ايضاحا ، ان قارئات القصة من النساء يفقن بكثير أمثالهن من الرجال ، لان الاضطرابات النفسية فى الاناث تزيد عنها فى الذكور ، كما سبق القول

ويعنى الرجال فى القصة بحوادث الاكتشاف ، والاختراع ، والمغامرة ، والبطولة ، والشجاعة ، والتغلب على المصاعب البدنية الشاقة ، وركوب الاخطار ، كقطع الفلوات والصحارى ، وصيد الوحوش الضارية ، ومصارعة الثيران ، وشن الغارات والحروب ، واقتحام البحار الهائجة والامواج الصاخبة ، وارتياد الأصقاع القطبية المتجمدة ، واختراق الغابات

والادغال ، وتسخير القوى الطبيعية . ومتى جاوز الرجل متوسط العمر أو اقترب منه ، خفت رغبته فى هذه الاشياء رويدا ، وبحث فى الرواية والقصة عن الحياة العملية فى التجارة والكسب والمال، والنجاح فى ميادين الاعمال ، ومتى أوشك على الشيخوخة ، فاما أن يعجبه فى القصة التقاليد المرعية ، والشمائل الكريمة، والمبادىء الخالدة، وأما أن « يرتد » وتعود اليه سن المراهقة الثانية فيبحث عن المراة والحب والغرام ، كما يعود لهب الشمعة الى الاشتعال والتوهج قبل أن يخبو نهائيا باحتراق الشمعة

وتعنى المراة فى القصة فى أكثر أطوار حياتها بالشؤون المنزلية ، والأزياء ، والزينة ، والزخارف ، والاشياء الجمالية ، وتسترعى أنظارها فى الرواية المهن والاعمال والحوادث التى تتصل اتصالا مباشرا بالخدمات الاجتماعية ، خصوصا ما تعلق منها برعاية الاطفال وتربيتهم، واغاثة المنكوبين واطعام الجياع ، ومعالجة المرضى ، وتعزية الحزانى

واذا ما عدنا بالذاكرة الى بعض القصص والروايات الشهيرة ، اتضح لنا ما تعجب به المراة فيها وما يعجب به الرجل . فقصة السندباد البحرى ، وروايات «طرزان» ، ورحلات ابن بطوطة، وغزوات جنغيز خان، والاسكندر، ونابوليون ، وأمثالها — كلها أحب الى قلوب الرجال وطبائعهم، منها الى النساء . وعلى النقيض من ذلك نجد قصص « فلورنس نايتنجيل » أولى الممرضات فى تاريخ التمريض ، ورواية «الأخت البيضاء » وأمثالها ، أحب الى النساء منها الى الرجال، للأسباب سالفة الذكر

ولعل أكثر القصص والروايات نجاحا ، هى التى تصور المراة كما يحبها الرجل أن تكون — جميلة مفرطة فى الجمال ، شديدة الحساسية، حيية، خفرة، أنيقة، ممعنة فى التمنع، رقيقة الوجدان، كلها أنوثة ، مستهترة الى حد يغرى الرجال، ثم تفلت من أيديهم قبل أن ينالوا منها وطرا. وأكثرها نجاحا هى التى تصور (فى الوقت عينه) الرجل كما تحبه المراة أن يكون — قوى البدن والنفس ، شديد الوثوق بذاته ، معتزا بكرامته، مغامرا ، ناجحا فى عمله، يخدم المراة ولكنه لا يجبن أمامها كله رجولة

وهناك أمر آخر جدير بالاشارة اليه ، هو أن ميول الرجال فى القصة وغيرها متعددة ، متنوعة ، متباعدة ، تكاد تنتشر على طول الخط من أدناه الى أقصاه . أما ميول النساء فعلى تنوعها، متقاربة جدا ، متشابهة ، تكاد تتجمع كلها حول الوسط . ومعنى هذا ان النساء أكثر تشابها بعضهن ببعض فى الميول والصفات ، من الرجال

امير بقطر

2251

قلامة ظفر!

بقلم الأستاذ ميخائيل نعيمة

«.. صدقنى ياصاحبى ان ليس فى الارض ما يستحق أن تلح فى طلبه ، فالعالم كله لا يساوى قلامة ظفر . وقد تساوى قلامة ظفر كل ما فى العالم ..»

كلفنى أحد جيرانى القرويين ابتياع حاجة له فى المدينة . وأنذرنى انها ، على تفاهتها ، نادرة الوجود ، وليس فى المدينة كلها غير رجل واحد قد استقل بصنعها. وهو لا يصنعها الا عند الطلب . وأعطانى اسمه واسم الشارع الذى فيه حانوته

اهتديت الى الشارع بعد تفتيش ممض فاذا به ممر ضيق مظلم بين شارعين واسعين ، واذا الحانوت الذى أفتش عنه يكاد يكون ثقبا فى جدار . فما أظن ان طوله يتجاوز الاربعة من الاذرع وعرضه الاثنين . الا انه ، على ضيقه ، كان يزدحم بشتى الخردوات من أقفال ومفاتيح وأمراس وأزرار وغيرها بحيث يتعذر على الداخل أن لا يمسها بأطراف ثيابه فيمسح بعضا من الغبار الراقد عليها

دخلت الحانوت ، فلاح لى فى مؤخره رجل متوسط العمر جالس الى مائدة صغيرة وفى يده الواحدة مقص وفى الاخرى قطعة من النسيج ، وأمامه خشبة صغيرة فيها ثقوب متفاوتة الحجم وقد انحنى فوقها وراح يقيس النسيج عليها . حييته فرد على التحية من غير أن يرفع بصره الى . وعند ما ذكرت له حاجتى أجابنى ببرودة متناهية ، وهو مكب على ما بين يديه :

— هل وقتك من ذهب ؟

فقلت متكلفا برودة كبرودته :

— ولا من « صفيح »

— اذن عد الى بعد ساعتين

عدت بعد ساعتين ونصف الساعة واذا الرجل جالس حيث كان، يعالج بالمقص قطعة النسيج والخشبة . واذ سألته عن الحاجة التى ساقتنى اليه ، أجابنى ببرودته السابقة :

— عد بعد ساعتين

ما شئت — وأنا المحتاج اليه لاهو الى — ان أؤنبه على استخفافه بى . وقد ندمت على قولى له مازحا ان وقتى أرخص على من الصفيح . الا اننى ما أخفيت عنه امتعاضى . فما التفت الى ، ولا اعتذر .. بل كرر ما قاله منذ هنيهة : « عد بعد ساعتين »

وانقضت الساعتان .. فعدت الى الرجل وقد صممت ألا أخرج من عنده الا والحاجة فى يدى . أما اذا اتفق وخذلنى للمرة الثانية، فقد أعددت للأمر عدته . وعدتى كانت خطبة بليغة صنفتها وأنا فى الطريق الى الحانوت .. وحشوتها الكثير من ديناميت التقريع والتبكيت . الا اننى ما احتوانى ذلك الوكر الضيق حتى بادرنى الرجل بقوله :

— أما عندك من حاجة تقضيها غير هذه الحاجة ؟

قلت : « بل عندى حاجات وحاجات .. ولكن هذه الحاجة هى أولها وأهمها الآن . لأنها ليست لى بل لجار من جيرانى . وأنا حريص ألا أعود الى بيتى بدونها »

— ما دامت لها هذه القيمة عندك فعد الى بعد ساعتين تجدها فى انتظارك

تعوذت بالشيطان ورحت أفتش عن الديناميت الذى أعددته لمثل تلك الدقيقة الحرجة ، فما وقعت له على أثر . لقد خانتنى ذاكرتى وخاننى لسانى . ولم أجد ما أقوله للرجل غير: « أرجو منك ألا تخيبنى هذه المرة . فأنا من قرية بعيدة طريقها وعر وكثير المخاطر . ولا بد لى من العودة قبل غروب الشمس »

وعند ما رجعت بعد ساعتين وجدت الرجل جالسا مكانه وقد انصرف الى تقليم أظافره بالمقص الذي كان فى يده . أما قطعة النسيج والخشبة فقد اختفتا من أمامه وحلت محلهما صحيفة عربية مبسوطة بطولها وعرضها ، وعلى جانب منها علبة من الكرتون الاسمر. وعلى غير ما عودنى من قبل ، هش الرجل بى وأشار الى كرسى مقابل لكرسيه ، وبمنتهى اللطف قال لى :

ــ تفضل .. استرح . سأقضى لك حاجتك ان شاء الله حالما أفرغ من تقليم أظافرى . الا تريد أن تقلم أظافرك ؟ هاك مقصا

●

وللمرة الاولى رفع الى عينيه الصغيرتين المستديرتين ، فلمحت فيهما بريقا يتحير بين بريق الابتسامة وبريق الحدقة وقد بللتها دمعة . ولكن الرجل ماكان يبكى . وتفشت تلك الابتسامة الغريبة فى أسارير وجهه النحيل المستطيل ، فبدا غريبا عن كل ما ألفته فى حياتى من وجوه البشر

ما بقيت أدرى بعد ما سمعت من الرجل وما رأيت فى أى ميزان أزنه وبأى لسان أخاطبه. والغيظ الذى كانت مماطلته لى قد أثارته فى داخلى ، اخذ يتحول الى ما يشبه الشماتة بنفسى والاعجاب به . فقد كان يفعل ما يفعل ويقول ما يقول غير آبه بسخطى او رضاى ، وغير مشكك فى انه يقول ويفعل الصواب بعينه . لذلك ما اهتديت الى جواب أحسن من قولى :

ــ شكرا ياصاحبى.. أظافرى ليست فى حاجة الى التقليم . ولكننى فى أمس الحاجة الى الانصراف .. فياليتك تصرفنى ثم تعود الى أظافرك

ــ بل يا ليتك تقلم اظافرك ثم تنصرف

ــ ولكن أظافرى مقلمة

ــ قد تكون الاظافر التى على أصابعك مقلمة .. أما أظافرك الاخرى فيبدو لى انك لا تعيرها ما هى جديرة به من اهتمامك ؟

ــ وأى أظافر تعنى ؟

ــ أعنى الاظافر التى فى العين والفكر والقلب

سكت على مضض لعله يكف عن الحديث فينتهى من أظافره وينهى لى حاجتى . ولكنه ما سكت هنيهة الا ليعود الى الكلام :

ــ الذئب لا يقلم أظافره لأنها سلاحه فى الدفاع عن نفسه وفى تمزيق فريسته . ويقلم الانسان أظافره لأنها تزعجه ، ولأن له سلاحا غيرها يستعين به فى الدفاع عن نفسه وفى تحصيل قوته .

والذئب لا يخجل بشراسته . واذا جاع فتك حتى بأخيه أو أبيه . وهو فى الحالين غير ملام . أما الانسان فيخجل بشراسته ويتحاشى الفتك بأخيه أو أبيه . وان هو تشارس مع أخيه أو فتك به ، لامه الناس اذا هو لم يلم نفسه . ومعنى ذلك ان الشراسة والشراهة وحب الفتك وما يرافقها من بغض وجشع وغضب وانتقام وسواها ، هى كلها أظافر تليق بالوحش ولا تليق بالانسان . فلا بد من تقليمها لمن شاء أن يكون انسانا وأن يعيش مع الناس فى سلام.. ألا توافقنى فى ذلك ؟

كان الرجل يكلمنى وعيناه على أظافره وعلى المقص فى يده . وكان كلما وقعت قلامة على الصحيفة أمامه ، التقطها بتأن ووضعها على مهل فى علبة الكرتون بجانبه . وكنت أرقب كل حركة من حركاته وأصغى الى كل كلمة من كلماته ، فما أكاد أصدق عينى وأذنى . لقد أدهشنى أن أسمع مثل ذلك الكلام من مثل ذلك الرجل فى مثل ذلك الحانوت . الا اننى ، والحاجة التى جئت من أجلها ما برحت تساور أفكارى ، التفت الى ساعتى فاذا النهار يلفظ أنفاسه . فانتفضت كالملسوع وهممت بالنهوض . فما كان منه الا أن ألح على بالانتظار قليلا بعد ، وأردف قائلا:

– واللجاجة ظفر لابد من تقليمه .. صدقنى يا صاحبى أن ليس فى الارض ما يستحق أن نلج فى طلبه . فالعالم كله لا يساوى قلامة ظفر. وقد تساوى قلامة ظفر كل العالم

فأجبته بلهجة القانط : « ولكن الحاجة التى كلفتك صنعها هى الآن عندى أثمن ما فى العالم.. أفلا تلطفت وأنجزتها بأسرع ما تستطيع ؟ »

– هاكها يا صاحبى .. لقد أنجزتها بعد دقيقتين من مجيئك فى الصباح . ولكننى شئت أن أمتحن معدنك

وناولنى الحاجة متممة على أكمل وجه . حينئذ ما ملكت طبعى ورحت أمطره وابلا من التقريع لأنه استخف بى واسترخص وقتى الى ذلك الحد ولكن الابتسامة ما فارقت وجهه فكأنه ما سمع تقريعى ولا اهتم لغيظى

– امتحنتك فما اجتزت الامتحان

– وما شأنك منى لتمتحننى؟ ان أنا غير عابر سبيل فى حياتك

– حسبى أن ألتقيك مرة لأعرف انى التقيتك مرات من قبل وسألتقيك دهورا بعد .. فسبيلنا واحد . والرفيق مطالب برفيقه

– وهل تمتحن كل زبائنك ؟

– لا كل زبون انسان ، ولا كل انسان جدير بالامتحان

– أفما كان الاحرى بك أن تخرج من هذا الوكر الضيق الى العالم الاوسع ، وتعلم الناس فن تقليم الاظافر المنظورة وغير المنظورة ؟

ـ بلى . لو أننى أتقنت فن التقليم .. ولكننى ما أزال أتعلم . وكيف لمن لم يتعلم ان يعلم ؟

ـ اراك تحرص كل الحرص على قلامات اظافرك ، فتجمعها على مهل وتضعها فى العلبة بجانبك .. اهى مغالاة منك فى النظافة، ام ان لك فى تلك القلامات شؤونا أخرى ؟

طرحت سؤالى بغير اكتراث .. ولكن تأثيره فى الرجل كان فوق ما كنت أتوقع . فقد رفع الى بصره وسمره فى وجهى .. ثم تنحنح كما يتنحنح المغنى قبل الانشاد والخطيب قبل الخطابة ، وقال وهو يقطع الكلام تقطيعا :

ـ ان تقليم الاظافر عندى هو ضرب من العبادة . فأنا ما قلمت أظافرى الظاهرة الا قلمت معها اظافرى الخفية . واظافرى الخفية هى خطاياى . فكل قلامة من اظافرى هى شاهد على خطيئة منى ارتكبتها . والخطايا تنمو كما تنمو الاظافر سواء بسواء . وانا حريص الا تضيع قلامة واحدة من قلاماتى . وقد اوصيت ان تدفن معى ، لأمثل يوم الحشر امام الديان وخطاياى شاهدات على . ونصيحتى اليك ـ خذها مجانا ولوجه الله ـ أن تفعل ما افعل

●

عندها بدأ يخامرنى شك فى سلامة عقل الجالس تجاهى .. فقلت :

« انها لنصيحة غالية من غير شك . وسأعمل بها من الآن فصاعدا . الا اخبرتنى من الذى تلطف بها عليك قبل أن تجود بها على ؟ أم انها خطة ابتدعتها بنفسك لنفسك ؟ »

ـ بل سبقنى اليها والدى رحمة الله على ثراه . وانا ورثتها عنه . وقد بلغ به الحرص عليها ان مات على المشنقة فى سبيل قلامة ظفر من اظافره .. أما قلت لك ان قلامة ظفر قد تساوى كل ما فى العالم ؟

قلت وكادت الدهشة تعقد لسانى : « قلامة ظفر تؤدى الى المشنقة ؟ .. لا أكاد اصدق »

ـ بل صدق .. ففى العالم ما هو أعجب من ذلك .. كان والدى نجارا بارعا وانسانا تقيا. وكان يجمع قلامات اظافره مثلما اجمع قلامات اظافرى . ودرى بذلك الجيران .. فجاءه يوما الى دكانه زمرة من الاولاد الاشقياء ووجدوه منهمكا فى تقليم اظافره . وطارت قلامة ووقعت على الارض. فالتقطها ولد من الاولاد وأطلق ساقيه للريح . فما كان من والدى الا ان اختطف قدوما كان بجانبه ولحق بالولد وهو يصيح : « هات القلامة والا رميتك بالقدوم » .. فما وقف الولد . ورماه والدى بالقدوم فارداه . فما صدق القضاة ، ولا صدق احد أن رجلا تقيا يقتل ولدا من اجل قلامة ظفر . اما حبل المشنقة فصدق .. وعانق والدى عناق الصديق للصديق

وتوقف الرجل عن الكلام عند نهاية قصة والده المحزنة .

فاهتبلتهاسانحة نادرة للانصراف ونهضت لأشكر له صنيعه ومواعظه ، وألقيت قطعة من النقد على المائدة أمامه . ووضعت يدى فى يده مودعا . فضغطها ضغطا آلمنى حتى كدت أصرخ . وحلق بى طويلا ثم سألنى بلغة انكليزية لا غبار عليها :

— هل أنت قوى ؟

قلت وقد حيرنى سؤاله على قدر ما حيرنى وجود جواب مناسب : « أناكما ترانى .. جسم ناحل ، لو توكأت عليه لانهدم » . وما أن سمع جوابى حتى هزنى هزة عنيفة وصاح :

— لست اعنى قوة الصلب والساعد .. تلك للدببة وللثيران . أعنى قوة السلطان على النفس .. هل أنت سلطان نفسك ؟ وان أنت لم تكن سلطان نفسك ، أفترضى أن تسلطن عليك حاجة زهيدة كالتى جئتنى من أجلها اليوم ؟ قوة السلطان على النفس — تلك هى القوة ! وكل ما عداها أظافر للتقليم

وضرب المائدة بجمع كفه ضربة رقص لها كل ما على المائدة . ومنه علبة الكرتون التى بلغ بها الترنح أن ارتمت الى الارض وبعثرت كل ما فيها من قلامات الاظافر . فاكفهر وجه الرجل ، وجحظت عيناه واعترته رعدة . ثم ارتمى على الارض وراح يفتش عن القلامات بيديه ورجليه ويجمعها واحدة واحدة فتسللت الى الشارع وصوته المتهدج يقرع أذنى :

« ويلى .. ويلى ! خطيئتى كبيرة .. خطيئتى كبيرة .. »

ميخائيل نعيمة

ايمان

كانت بدوية فقيرة تقيم فى خباء من شعر ، ضربته فى مكان مهجور بالصحراء .. وحول الخباء بستان صغير ، تعيش على ما ينتجه من زرع . وذات ليلة ، غامت السماء وأرعدت وأبرقت ، ثم تساقط برد أفسد الزرع . فلما هدأت العاصفة .. أخرجت الاعرابية رأسها من الخباء ، ونظرت الى الزرع وقد ذوى .. ثم رفعت رأسها نحو السماء ، وقالت : «اصنع يا الهى ما شئت .. فان رزقى عليك ! »

2251

صفقة خاسرة !

بقلم الدكتور احمد زكى بك

ليست هذه القصة من نسج الخيال .. وانما هى بعض ما كتبه قلم الزمان الكبير فى ركن صغير من سجل التاريخ العظيم . هو سجل يجمع بين الحدث الصغير والحدث الكبير ، ويضم الى عظائم الأمور التافه الحقير .. وهذا الذى نحكى ليس من عظائمها

ذلك لأنه يختص بشابين من شباب تلك الأمة التى يعد سكانها بالملايين ، أربعمائة أو فوق ذلك قدرا . تلك الأمة العتيقة .. دولة السماء ، التى تعرف بالصين . ولم يكن الشابان من أولاد الأمراء . ولم يكونا من أبناء القواد ، ولا حتى من أبناء الحكماء .. والحكمة فى الصين ، على ما يريدنا كتاب الغرب على أن نعتقد ، كثيرة رخيصة . وانما كانا شابين ، لم يتصلا بمال ، الا النزر الذى يتصبب من الجبين عرقا . ولم يتصلا بعلم ، الا علما تعطيه الطبيعة فى حقول الأرز وعند أجرانه . ولم يتصلا بعاطفة ، الا العاطفة التى تغمر قلب كل صينى شاب ، أعنى حب الأسرة . ولم يتصلا بأمل الا ذلك الأمل الذى يشغل عقل كل صينى ، أن يدبر ويحتال ليسبغ على أبويه من صنوف الارزاق ، شيخين عاجزين ، ضعف ما أسبغا عليه صغيرا عاجزا

●

والتقى الشابان فى القرية عند قهوة أفيون صغيرة ، جاءاها ليتزودا لذويهما منها أجود ما تجود به من تلك البضاعة . وما التقيا حتى تبادلا التحية الكثيرة والسلام الجم ، فى أدب بالغ . وتساءلا عن الأب والأم ، والجد والجدة ، وتساءلا مرارا . فلما اطمأنا الى ذلك اطمئنانا كبيرا ، أخذا يشكوان الزمان وقحط الأيام . وكان فى القهوة رجل صينى ، ظاهر الثراء ، جلس على سجادة فخمة ، يهيىء للتدخين جهاز أفيونه فى احتفال كبير .. وكان يتسمع فى جد واضح ما يقول الفتيان . فلما بلغا من حديثهما ذاك المبلغ ، اعتزم الرجل أن

> وأطلت من السفينة وجوه غائرة هالها أن تبلغ القسوة من الانسان هذا المبلغ ، وصاحوا والدموع تنهمر ، وليس للدمع من راء ، ولا للصراخ من سامع ..

وشحن الرجال شحن الخراف فى سفينة عتيقة . .

يتدخل . قال :

— أيها العزيزان . . ان الحق ما قلتماه ، فالزمن لاشك شديد ، والايام مجدبة ، وكيف ترضي الروح وتطمئن ، والمعدة فارغة ؟

فأجاب الفتيان معا :

— ما أصدق ما تقول ياسيدى

وأسر الفتى الى صاحبه يقول :

« ان هذا السيد الغريب لا شك احد الفلاسفة العظام ، لأنه ينطق بالحكمة »

وتبادل الرجل العظيم والفتيان التحايا ، ثم تبادلاها ، وأكد الفتيان للرجل العظيم انهما من الضعة بحيث لا يبلغان من الارض الى اطراف ثوبه*. وعندئذ بدا للرجل أن الأوان آن ليفتح للشابين المسكينين خزائن حكمته وان يكشف لهما عن اقرب الطرق ليغترفا من نعيم الدنيا ، لنفسيهما ، ولأبويهما الكريمين

ذكر لهما ان نعيم الحياة يوجد فى جزيرة بعيدة فى البحر ، يسكنها رجال شقر ، كأنهم الزبانية ، يعرفون بالبالنديين — هكذا تسمى الصين الهولنديين — ولهم مزارع للدخان فيها هائلة ، تأذن لهم باعطاء

3351 1 Dec

اجرائهم اجورا عالية .. هذا لمن أعانه الحظ فكان لهم أجيرا

وجرى الحديث من فمه لذيذا ، وجرى مغريا . فلم يكن صاحبنا بالفيلسوف ، ولكن رجلا محترفا عمله اصطياد الرجال

وعرف الفتيان هذه الجزيرة ، فقد سمعا عنها مرارا . وسمعا عن رجال من الصين ذهبوا اليها فعملوا على الاجر المريح ، وفاض منه فضل غير قليل أرسلوه الى أهلهم اعانة لهم على العيش . ولكن غاب عنهم ما بين عامل وعامل من فرق . غاب عنهم عامل يتقدم الى العمل حرا ، فيؤجر عليه أجرا مناسبا شرعيا ، وبين عامل يأتى فى شحنة من الرجال هائلة ، يرسلها هؤلاء الوكلاء الى تلك المستعمرات ارسال النخاسين الارقاء الى سوق تباع فيها الناس وتشترى

تردد الفتيان أول مرة ، ولكن لم تمض ليلة قليلة حتى بلعا الطعم كما بلعه من قبلهما سائر الاسماك . وأعطى الرجل كلا خمسة وثلاثين دولارا فضة ، وأعطى لهما من أجورهما مقدما ما يفى باقامة كيان الاسرة الفقيرة بضعة أشهر . أخذا هذا وهذا ، وأعطيا بدلا منه لهذا الرجل جسما لهما وروحا

●

وفى الصباح الباكر أخذا يضربان الارض مشيا ، ووجهتهما ميناء كانتون . وهو ميناء يكفى ذكر اسمه للدلالة على سوء سمعته . وما بلغا الميناء حتى شحنا مع رجال آخرين عديدين ، شحن الخراف ، فى سفينة عتيقة لاشك قضت القرون تقطع البحار وتجدد الزمن وهى على عهدها القديم ، سوء تصميم وقلة راحة وفساد هواء

ورصوا الرجال مائة على طابق السفينة الاعلى ، وهو صغير ، رص السردين . ورصوا المائة الاخرى فى الطابق الادنى ، فلقوا من ضيق المكان ، وقذره ، واحتباس الانفاس فيه ، ما يذهب بصواب المهذب العاقل . ولكن هؤلاء كانوا قوما غير مهذبين . وهم من أمة عرفت الصبر على المكاره ، واعتادت أن ترى النازلة تنزل فى البيت أو فى الجار فلا تبالى ، ومن فضائلها النادرة أنها لا تتألم مما يتألم منه سائر الخلق

وتحركت السفينة لتخرج الى البحر .. وما خرجت حتى بدأت تحدث بها الاحداث . فقد أصاب الرجال دوار البحر فلم يبق فيهم رجل لم يفرغ . والافراغ يذهب بحرمة الرجال على السعة ، فكيف به على الضيق . وبقيت المحنة ثلاث ليال ثم أقلعت . وعندها استطاع الرجال أن يرفعوا رؤوسهم الى السماء بعد أن ظلت مخفوضة الى الارض . وبدأ يأكل الجوعان

وأكل الجميع الا اثنين ، بقيا على السفينة جامدين لا يتحركان . وجمع القبطان مجلسه ، وذكر لهم

ان الرجلين مريضان ، وانهما فى سبيل الموت ، والموت على السفينة لايستحب ، وعدا هذا ففيه الشؤم . وكان من عادة أمثال هذه السفن انها ترسو فى طريقها فى جزائر صغيرة غير عامرة ، تلتقى عندها بسفن للزيت ، فتتزود بالوقود رخيصا. ورست السفينة عند احدى هذه الجزر ، وقيل للرجلين انزلا. ففرحا أول الامر فرحا شديدا ، أن ستمس رجلاهما الارض . ولكن ما كادا يعلمان أى أرض هى ، حتى صاحا يستغيثان . وأبحرت السفينة تاركة اياهما لموت بطىء محقق .

ونظر ركاب السفينة الى الرجلين بعيون جامدة . ان الامر لا يعنى منهم أحدا . وعدا هذا ، فهم جميعا خرجوا لغاية مرجوة ، ولم يشأ أحد منهم أن يسىء الى رجائه بعمل قد يعده أصحاب رجائه طائشا . انهم جميعا جزء من صفقة ، رأى مدبرو أمرها انه قد وجب لنجاحها التضحية باثنين من الرجال . فماذا فى هذا ؟ ان هؤلاء الصينيين ، مدبرى هذه الصفقة ، لم يفعلوا أكثر من مدبرى صفقات كثيرة مثلها فى أمم أكثر ثقافة ، وأكثر غنى. فيها يضحون، لا بالرجلين، ولكن بالرجال عشرات ومئات وألوفا . فكل ما يعاب على هؤلاء الصينيين فيما فعلوا انهم كانوا أكثر صراحة ، وأقل لباقة ، من أضرابهم فى امم أخرى

●

ومضت السفينة فى سبيلها ليلا ، ومضت نهارا ، والريح معها . فما قاربت بوغاز «ملقه» حتى سكنت الريح واحتر الجو. ونال العطش من الرجال . وكانوا أفرغوا حوض الماء الاول ، فاضطروا الى فتح الثانى . وما فتحوه حتى نابت النائبة

ففى نفس المساء مرض ثلاثة من الرجال . وما هى الا ساعات حتى ماتوا جميعا . وكان موتهم من السرعة بحيث لم يستطع ارباب السفينة أن يصنعوا بهم ما صنعوا بزميلين لهما سبقا . فاضطروا الى قذف أجسامهم فى البحر لتأكلها كلابه . وقام بقذفها رجال تراءى فى أعينهم الذعر مجسدا ، فلم يكن بينهم من لم يعرف أعراض « الموت البارد » كيف تكون

ليس بين الصينيين شىء يخيف ، ويشيع الهلع ، كداء الكوليرا . وهو اذا وقع فيهم على الارض تفرقوا فيها وانتشروا ، فنشروا الداء حيثما ذهبوا . ولكن هؤلاء الرجال كانوا على سفينة ، فلم يكن فى الامكان انتشار . من أجل هذا قبعوا على سطح السفينة ، وفى جوفها ، وسكنوا ، سكون الاصنام. واخفى كل راسه بين ركبتيه ، وليس فى هذا الرأس غير فكرة واحدة ، وسؤال واحد : على من يكون الدور فى السقوط ؟

وكان سؤالا لم يطل جوابه .. فلم تأت ظهيرة اليوم الثانى حتى

2251

سقط ستة . ولم يأت مساؤه حتى سقط عشرون . وجاء الصباح بشمس محرقة ، كانت تدق رؤوس المرضى كأنها مطارق الحديد والحديد أحمر . والريح ساكنة ، ووجه البحر صفحة ملساء كصفحة الزيت ، تشقه السفينة شقا بما عليها من بضاعة خاسرة

ومضت ساعات تحركت بعدها الريح موافقة . ونظر القبطان فرأى ساحل سومطرة . وكان نصف البحارة مات أو هو فى سبيل الموت . وكان نصف الركاب مات كذلك أوهو فى سبيل الموت . وممن لم يصبهم الداء قوم أصابهم الجنون

وأدرك القبطان أنه لن يؤذن له بالدخول الى تلك الميناء التى أبصر ، فعرج يبحث عن ميناء أصغر وأحقر . ووجده بعد ساعات . وبدأ الامل واضحا فى الخلاص . وتكوكب الرجال على ظهر السفينة ينظرون الارض وعيونهم تجرى بالدموع

ولكن تكوكبهم على ظهرها ، ثم قلة عدد الايدى الماهرة فى تحريك السفينة ، جعل مجراها مضطربا . فأثار هذا الريبة فى ناظريها من رجال السلطة الهولنديين فى الميناء . فخرجوا اليها بالزوارق . وصاح صائح من أحد الزوارق ، يترجم بالصينية عن سيده : « ما الخبر يا هؤلاء ؟ »

ولم يكن فى حاجة الى جواب سؤاله . فقد أجابت عنه الجثث الكثيرة الراقدة . صرخت السفينة بكل ما فيها تعلن بلاءها للرياح الاربع

ووجب على السفينة أن تخرج من الميناء وتمضى الى سبيلها .. ولكن أى سبيل ؟ !

وأطلت من السفينة وجوه غائرة هالها أن تبلغ القسوة من الانسان هذا المبلغ . وصاحوا وصرخوا ، والدموع تنهمر ، وليس للدمع من راء ولا للصراخ من سامع . وأشاح الضابطان فى الزوارق بوجوههم ألما من واجب كان لابد من أدائه . قالوا ان ما بهذه السفينة من داء لابد ذاهب بسكان الجزيرة كلها لوأنهم هبطوا فيها .. ولم يكن بالجزيرة محجر

●

ومضت السفينة لاتدرى لها وجهة . وخطرت للقبطان فكرة نيرة . انه لم يستطع أن يخدع الهولنديين، فلعله يخدع الانجليز، واذن فسبيله الملايو

وجاءت ليلة حالكة ، فقد فيها القبطان مساعده الاول . وفى تلك الليلة أيضا جاء دور فتيينا ، ذلكما اللذين تركا القرية يطلبان الرزق ، ويطلبان لأبويهما الخير

ولنقدمهما الآن للقارىء فهذه هى الفرصة الاخيرة للتقديم . أما الاول فكان اسمه حاكيم ، وأما الثانى فكان اسمه سوكيم . وأصاب الداء سوكيم ، وكان قوى البنية، فغالبه مغالبة أذاقته

كأس الألم مترعا .. ونظر الى صديقه حاكيم ، فلوى عنه وجهه . لم يعد سوكيم له صديقا. لم يعد الا ضحية أخرى من ضحايا « الموت البارد »

واقتربت السفينة من الساحل مرة أخرى. فأمر القبطان رجاله أن ينظفوا السفينة من كل أثر حتى لا تكون هناك ريبة . وعاد يقول : «من كل أثر .. أسمعتم ؟» وأخذ الرجال يلقون بالجثث الى البحر . فلما فرغوا من الموتى ، بدأوا ينظرون الى المرضى. فصاح بهم القبطان : « من كل أثر .. » فأخذوا يلقون بالمرضى ، فمنهم من قاوم ، فخدش وعض واعترك ، وبعض أسلم كأنما يحمل الى سرير . وكان آخر من ألقى به من المرضى سوكيم . وصاح بصديقه لينجو به مما فيه ، فما رد له الصديق صياحا . ورموا به الى البحر .. فجرت فى ظهر صاحبه مما رأى رعدة

ونظر اليه فى البحر فاذا به يصرخ فجأة ، وقد علا فمه رغاء كثير . ونظر فرأى فى الماء وراء صاحبه ست زعانف سوداء ، فعرف سر ما أصرخه

●

واقتربت السفينة من الميناء المطلوب ، ميناء كلانج . ودخلته ومن حولها فرقة تخفرها لم تخطر لها ببال ... اجسام الموتى الطافية . كانت الريح سكنت ، ولكن تحرك الماء . وحمل التيار السفينة وما حمل البحر . دخلت الميناء وعلى ظهرها البراءة، ومن حولها التهم

وكان الهولنديون أبرقوا للانجليز فعلموا بالذى فيها

فما أسرع ما أحاط رجال الميناء بالسفينة . وحرصوا أول شيء على جمع الجثث الطافية . ودفنوها مع جير كثير. ثم قادوا السفينة الى حيث المحجر. وفيه أنزلوا الاحياء . ومات فى المحجر منهم ثلاثة ، وصح الآخرون . ورأوا الحياة من بعد ما رأوا الموت . وعرفوا الامل من بعد ضياع الامل

وعمل حاكيم فى منجم على غير ما قدر . وكسب كثيرا وأرسل الى القرية ما فاض

ووقف ذات يوم وهو مستند الى فأسه ، يذكر ما كان . وذكر صديقه فى القرية ، وذكره فى الطريق الى كانتون ، وذكره فى السفينة ، وذكره فى الماء ، وحين تناوشته الاسماك ، وظل ساهما ساعة لم تطل . ثم رفع فأسه عاليا وهوى بها يدق الارض

احمد زكى

لقمان الحكيم

سئل لقمان يوما : « ممن تعلمت الحكمة ؟ »
قال : « من الجهلاء .. فكلما رأيت عيبا فيهم ، تجنبته »

وليم شكسبير

« لو خيرت بريطانيا بين التخلى عن جانب من مستعمراتها والتخلى عن مؤلفات شكسبير .. لما ترددت فى اختيار الاحتفاظ بآثار شكسبير » [توماس كارليل]

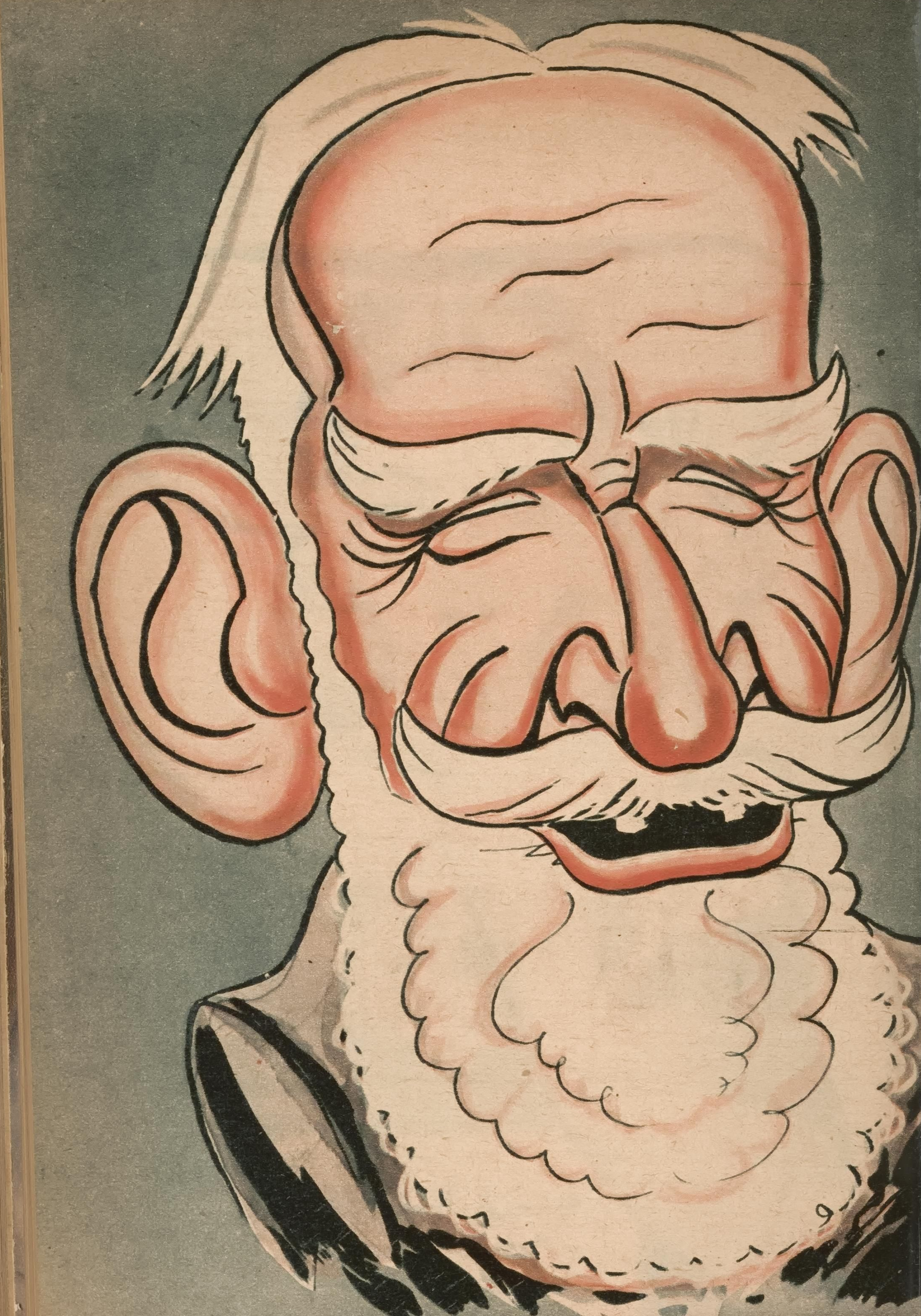

جورج برنارد شو

«إن برنارد شو قديس ، وحكيم ، وبهلوان .. وإذا كان لا يستحق الاحترام، فانه على كل حال قد استحق اعجاب أبناء هذا الجيل » [تشرشل]

2251

« مطلوب آنسة فرنسية
للاهتمام بتربية فتى صغير » ـ
ظهر هذا الاعلان في إحدى الصحف
فمن نشره ، وماذا كانت النتيجة ؟

جنون الحبّ

جعلت «مونك مرتيل» تنظر حواليها معجبة بذلك الشاطىء الذى يتقدم الزورق نحوه مسرعا فوق الامواج الخفيفة . وسألها الرجل القابض على المجاذيف :

ــ هل تنوين الاقامة طويلا فى بلادنا أيتها الآنسة ؟

ــ لا أدرى . . انى قاصدة الى بلدة فى الداخل . . .

وتمهلت الفتاة برهة ، ثم قالت :

ــ لاشك فى أن البحارة أمثالك سعيدون فى هذه البقعة من الارض !

لم يفهم الرجل لماذا تعتقد تلك الفتاة الغريبة انه سعيد وان زملاءه البحارة سعداء . فسألها :

ــ لماذا ؟

ــ لانكم تعيشون بين هذه المناظر الخلابة !

وأشارت الى الشاطىء حيث الغابات الجميلة والاشجار الباسقة

وهز الرجل رأسه ، لان هذه المناظر التى ألفها ، فى تلك الجزيرة الصغيرة ، لم تعد تثير فى نفسه أى شعور . وأردفت الفتاة :

ــ أرجو أن تعنى بحقائبى وأنت تنقلها من الزورق الى المرفأ

ــ اطمئنى . فهذا عمل نتقنه هنا . . !

قفزت مونك مرتيل الى البر ، وقفز وراءها الرجل ، ووضع أمامها الحقائب سليمة . وسألت الفتاة :

ــ ألا توجد سيارة تستأجر فى هذا المرفأ ؟

ــ ابحثى عن صديقنا «فريد» صاحب الحانة القريبة . فهو الوحيد الذى يملك سيارة لنقل السائحين

ــ ومن يدلنى على حانته ؟

ــ الحمالون

ــ شكرا

ولحقت الفتاة بالحمالين الزنوج ، الذين أوصلوها بعد دقائق الى حانة فريد . . .

*

قطعت السيارة الصغيرة الطرقات الجبلية ، يقودها فريد نفسه ، الذى لزم الصمت ولم يتكلم أكثر من مرتين . . المرة الاولى لطلب أجرة السيارة مقدما ، والمرة الثانية عندما وقفت السيارة أمام منزل ريفى

منعزل ، فقال فريد :

ـ هـذا هو منزل المسيو لينيو !

استغرقت الرحلة أكثر من ساعة . ووصلت مونك الى ذلك المنزل ، فترجلت ، واستقبلتها بالباب سيدة متقدمة فى السن ، ترتدى ثيابا بيضاء ، فسألتها الفتاة :

ـ مدام لينيو ، أليس كذلك ؟

ـ نعم يا ابنتى ، مدام لينيو بنفسها ...

ثم فكرت المرأة قليلا ، وقالت مخاطبة مونك ، وهى تنظر الى الحقائب :

ـ أنت بائعة متجولة يا ابنتى؟

ـ بائعـة متجـولة ؟ كلا يا سيدتى ! أنا الآنسة مونك مرتيل !

ـ مونك مرتيل ؟

من تكون مونك مرتيل هذه ؟ ان مدام لينيو لاتعرفها ، ولاتذكر هذا الاسم ، ولا تفهم ما الذى دعا هـذه الفتاة الى زيارتها فى بيتها المنعزل ..

ـ أواثقـة أنت يا ابنتى من أنك تقصدين الى هنا ، الى هذه الدار ، الى بيت مدام لينيو ؟

ـ نعم يا سيدتى ! نعم يا مدام لينيو ! أنا المعلمـة التى طلبتهـا للاهتمام بتربية ابنك !

وتضاعفت دهشة مدام لينيو ، فقالت فى شىء من الذهول :

ـ ما هذه المهزلة المضحكة !

وساد صمت قصير ، علا فيه الاحرار وجه الفتاة .. ولـكنها ملكت نفسها ومدت يدها وهى ترتعد الى حقيبتها الصغيرة ، وأخذت منها خطابا وضعته أمام أنظار مدام لينيو ، وهى تقول :

ـ يدهشنى يا سيدتى أن تخونك الذاكرة الى هذا الحد ، بعد أن بعثت الى بهذا الخطاب ، تطلبين منى فيه أن أسرع الى هنا ...

أخذت مدام لينيو الخطاب من يد مونك ، وألقت نظرة عليه ، وقالت بدهشة متزايدة :

ـ لكننى لم أكتب اليك هـذا الخطاب أيتها الآنسة ، ولا علم لى به على الاطلاق !

وقرأت الخطاب مرة بعد مرة ، وأضافت قائلة :

ـ ان هـذا التوقيع ليس توقيعى ... لقد قلدوه ... ان كاتب هذا الخطاب على الآلة الكاتبة وضع اسمى فى ذيله بخط يده

تحول احمرار مونك الى شحوب ، ووقفت مرتجفة لا تفوه بكلمة . غير أن مدام لينيو أشفقت عليها ، فأمسكت ذراعها ، وأدخلتها الى البيت ، وقادتها الى الشرفة المطلة على الحديقة ، وهى تقول :

ـ لا تضطربى أيتها الآنسة .. فالمسألة ليس فيها ما يدعو الى ذلك . وهى لا تعدو أن تكون مزاحا ، فان شخصا قليل الذوق اراد أن يلهو بك ، فكتب اليك هذا الخطاب . واننى لآسفة لأنه استخدم اسمى لهذا الغرض ، فاشتركت أنا فى المهزلة عن غير قصد وبلا علم منى . وسنعالج

هــذا الامر ونهتك الستار عن الحقيقة . ولكن قولى لى أولا : «كيف وأين تلقيت هذا الخطاب ؟»

فرفعت مونك مرتيل عينين تغشاهما الدموع ، ونظرت الى وجه مدام لينيو الذى ارتسمت أمارات العطف عليه ، وروت قصتها فقالت :

ـ أنا يتيمة يا سيدتى .. فقد ماتت أمى ، ومات أبى ، دون أن يتركا لى شيئا ، فأصبحت فقيرة معدمة . وأردت أن أعمل لأعيش ، فنشرت فى جريدة « نوميا » اعلانا أبديت فيه استعدادى للاهتمام بتربية الاطفال والاولاد والسهر على تعليمهم . وطفت المدينة أطرق الابواب وأعرض نفسى كبائعة ، أو كاتبة ، أو وصيفة ... فان نوع العمل لم يكن يهمنى ، وانما كان يهمنى فقط أن أجد ذلك العمل أيا كان لأضمن قوت يومى . كنت أريد أن أعيش فقط ... وذات يوم ، تلقيت بالبريد خطابا من جزيرة «هبريد» والخطاب موقع عليه باسم « مدام لينيو» من بلدة تانا ، وهى تعرض على أن أكون مربية لابنها بشروط طيبة ، وتلقيت مع الخطاب مبلغا من المال لنفقات السفر . وذلك الخطاب هو الذى قرأته منذ لحظة يا سيدتى . هل كان فى وسعى أن أتردد لحظة فى القبول ؟ وكيف يمكن أن أشك فى الخطاب ، وفى النقود المرسلة ؟

فى هذه اللحظة ، فتح الباب ، ودخل شاب قوى البنية جهورى الصوت طويل القامة ، وصاح قائلا :

ـ أماه !..

ثم رأى الفتاة فوقف مندهشا وتمتم معتذرا ... لكن مدام لينيو ضحكت وخاطبت الفتاة مشيرة الى الشاب :

ـ ابنى الوحيد !.. تقدم يا هنرى ... تقدم لكى أعرفك على مربيتك !

ـ ماذا ؟..

زادت دهشة الشاب ، ولم يفهم ما تقصده أمه ، وخيل اليه انها تمزح .. ولكنها أخذت الخطاب من مونك مرتيل ، وأعطته لابنها طالبة منه أن يقرأه ليدرك كل شىء . فقرأ الشاب الخطاب ، واستغرق فى الضحك

ـ هذا غريب ! غريب جدا !.. لقد قلت لى أكثر من مرة يا أماه اننى أخالف قواعد التربية المثلى فى بعض تصرفاتى ، ولكننى ما كنت أظنك ستكلفين مربية بالاشراف على ، وأنا فى الخامسة والعشرين من العمر !

ولـكنه فطن الى اضطراب الفتاة ، فخاطب أمه سائلا :

ـ قصى على الحادث .. ما هذا ؟

ـ هذه الفتاة يا بنى ضحية مزاح سمج . ويجب ألا نضحك ، بل ينبغى أن نرثى لحالها

وقصت الأم على ابنها حادث الفتاة والاعلان والخطاب . فقال هنرى :

ـ هل كان الخطاب مرسلا من بلدة تانا هذه ؟ وحوالة البريد ،

هل كانت مرسلة من مكتب تانا أيضا ؟

— نعم ... اننى لم أحتفظ بالظرف ، ولكننى قرأت خاتم المكتب واضحا عليه

— فلا يمكن أن يكون مرسل الخطاب اذن أحد المقربين اليك.. الا تعرفين أحدا فى تانا ؟

— أبدا ..!

وهنا تناولت الفتاة من حقيبة يدها قصاصة من جريدة :

— هذا هو الاعلان الذى نشر فى الصحف

قرأ هنرى الاعلان : « مطلوب فتاة فرنسية للاهتمام بتربية فتى صغير » ، ثم قرأ الخطاب ، وأمعن النظر فى التوقيع : « مدام لينيو ! »

— أيا كان فاعل هذا «الفصل البارد » ، فاننى لا أدرك الفائدة منه ، أو الغرض الذى هدف اليه ، ولماذا أراد أن يبعث بك الى هذه الجزيرة ، والى هذه البلدة بالذات

فقالت مدام لينيو :

— المسألة كلها مزاح ثقيل !

وبكت مونك مرتيل :

— مزاح ثقيل ، نعم..وصادر عن شخص قاسى الفؤاد.. فماذا يكون مصيرى فى هذه الجزيرة ، التى لا أعرف فيها أحدا ، ولا يعرفنى أحد !.. والسفينةالتى جئت بها لا تعود الى هنا قبل ثلاثة أسابيع !

فربتت مدام لينيو على كتف الفتاة ، وهدأت من روعها قائلة بصوت رقيق :

— لست وحدك هنا يا ابنتى. ففى هذه الاسابيع الثلاثة ستكونين فى ضيافتى ...

والتفتت الى ابنها :

— فى ضيافتنا ، أليس كذلك يا هنرى ؟

— نعم يا أماه ..

*

مرت الايام فى منزل أسرة لينيو حيث حلت مونك ضيفة على الأم وولدها ، وكانت الفتاة تخرج كل يوم مع الشاب للطواف فى الحدائق والمزارع المحيطة بالدار، والتى كان هنرى يشرف على زراعتها واستغلالها . وكان فى طوافه مع الفتاة يشرح لها كيفية العمل ، ويروى لها كيف اشترى أبوه تلك المساحة من الارض فى جزيرة هبريد ، وكانت قاحلة جرداء ، فجعل منها جنة فيحاء. وكانت الفتاة تهتم بحديثه،وتهتم بشخصه خاصة !

أسبوع ! عشرة أيام ! اثنا عشر يوما .. ! الوقت يمر ، ومونك مرتيل تحصى الايام الباقية ويزداد قلقها ساعة بعد ساعة .. ستمر الاسابيع الثلاثة بسرعة ، ولا بد بعد ذلك من الرحيل !

وفى صباح ذات يوم ، كانت مونك تسائل نفسها — كما كانت تفعل كل يوم — كيف السبيل الى البقاء !

ناداها هنرى كعادته ، فلحقت به ، وبدءا طوافهما بين الاشجار والرياحين

وقالت مونك وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة فيها شيء من المرارة وخيبة الامل :

— ستنتهى الاسابيع الثلاثة قريبا !

لم يجبها هنرى فى الحال . . بل سكت لحظة ، ثم قال :

— ان تانا بلدة صغيرة أشبه بالسجن ... نعم انها سجن جميل ، ولكنها سجن على كل حال . لو بقيت فيها طويلا لداخلك الضجر يا مونك !

— الضجر ؟ لماذا ؟ . . لن يداخلنى الضجر هنا . . !

ولكنها ندمت على تسرعها فى الافصاح عن رغبتها فى البقاء . . وأرادت أن تصلح ما فات فقالت :

— آه . . لو كانت توجد دار للسينما فى هذه البلدة !

— اذن لغدت الحياة أكثر مرحا مما هى الآن !

وفطنت مونك الى أن شيئا من الاضطراب استولى على الشاب ، وان يده ارتجفت وهى تلمس يدها ، وان الحديث عن الرحيل وعن السينما لم يرقه كثيرا

وساءلت نفسها : « هل طرق الحب قلبه ، أم لم يطرقه بعد ؟ »

*

عاد الشابان الى البيت ، وكانت مدام لينيو منصرفة الى بعض الشؤون المنزلية، فأسرعت مونك الى المكتبة وحبست نفسها فيها

أرادت أن تبقى وحدها ، فى عزلة تامة ، وفى مكان تستطيع فيه أن تفكر فى هنرى، وفيما هى مقدمة عليه فى الايام التالية . . وأى مكان أصلح لهذا كله من مكتبة هنرى ، حيث صفت الكتب بنظام ، وحيث يقضى الشاب كل يوم بضع ساعات من وقته ، فى الدرس والمطالعة ، بعد أن تأوى أمه ومونك الى حجرتيهما ؟

مرت الفتاة بيدها على مسند المقعد الذى يجلس عليه ، مقعده هو ، وجلست أمام المكتب الذى يعمل عليه وجعلت تقلب الاوراق والملفات والكتب ، التى تقلبها أصابعه كل يوم ساعات تلو ساعات

لكنها شعرت فجأة بضيق فى صدرها ... وأدركت مونك مرتيل انها دفعت نفسها فى طريق غير قويم ... فزالت الابتسامة عن شفتيها ، وتمتمت قائلة :

— لا . . لا . . لا يحق لى أن أفعل هذا !. . ان ما أفعله يخالف لمبادىء النبل والشرف !

وطفرت دمعتان من عينيها ، فرفعت يدها تمسحهما فى اللحظة التى دخل فيها هنرى الى مكتبه، فرأى الفتاة تبكى !

— مونك !. . ما بك ؟

لم ترد عليه .. فانحنى على كتفها وكرر السؤال :

— ما بك ؟ ولماذا تبكين ؟

فالتفتت الفتاة اليه فجأة ، وقالت :

— آه ، لو كنت تعلم ! لو كنت

تعلم لما رثيت لحالى ... بل لاحتقرتنى يا هنرى !

فقبض بيديه على كتفيها وأجاب بلا مواربة :

– اننى أعلم يا مونك !

فانتفضت الفتاة ، وحدقت فيه البصر :

– لا يمكن .. هذا محال .. أنت تعلم ؟

– نعم ، أعلم كل شيء ! فقد أردت أن أكشف السر عن ذلك الخطاب الذى أرسل اليك باسم والدتى ، فقمت ببحث واستقصاء دقيقين ، لدى ادارة البريد فى الجزيرة . وكانت النتيجة واضحة جلية لا شك فيها .. لم يرسل خطاب من مكتب البريد فى تانا ، ولا من أى مكتب آخر فى الجزيرة كلها . ولم تصدر حوالة مالية من تلك المكاتب الى مدينة نوميا فى الاشهر الثلاثة الاخيرة . فالنقود لم ترسل اذن اليك من تانا أو من أية بلدة أخرى فى جزيرة هبريد . ومنذ يومين ، رأيتك تنسخين قائمة حساب لوالدتى ، فدهشت للشبه العظيم بين خطك وخط الشخص الذى وقع على الخطاب باسم والدتى . فأدركت يا مونك أنك أنت كاتبة الخطاب ، وانك اختلقت مسألة الحوالة المالية اختلاقا ... فهمت هذا ، ولكن الشيء الذى لم أفهمه ، ولم أحاول أن أفهمه ، هو السبب الذى دعاك الى هذه الخدعة !

بدت على مونك مرتيل دلائل اليأس ، وخارت قواها ، وهى تقول :

– هنرى ... كان بودى أن أذهب عائدة الى نوميا دون أن أطلعك وأطلع والدتك على حقيقة ما حدث ! كان هذا خيرا . . ولكن ، ما دامت الظروف لم تساعدنى على انقاذ الموقف بمظاهر كاذبة ، فاننى سأقص عليك مأساتى ، وسأكون معك صريحة كما كنت أنت معى صريحا . نعم . . لقد أصبت . . لم تصلنى رسالة من والدتك ، ولم يصلنى منها حوالة مالية ! . . وكل هذا اختلاق فى اختلاق ! ففى الصيف الماضى كنت أنت فى نوميا ، وحضرت حفلة ساهرة فى أحد الفنادق . رأيتك فى تلك الحفلة ، وحاولت أن ألفت نظرك الى . لكنك كنت مشغولا بغيرى . وكان المدعوون رجالا ونساء يحيطون بك . لم تنتبه أنت الى ، ولكننى أنا انتبهت اليك . سألت بعض الاصدقاء فحدثونى عنك ، عن حياتك فى تانا ، عن أعمالك ، عن صفاتك . هل أحببتك منذ تلك اللحظة ؟ هل شعرت نحوك بعاطفة غير عاطفة الحب ؟ لا أدرى .. وانما الذى أعلمه ، هو اننى أقدمت على فعلتى هذه دون أن أفكر فى عواقبها ، فنشرت اعلانا فى الصحف ...

سكتت مونك مرتيل ... فشجعها هنرى على المضى فى حديثها ، فاستأنفت رواية المأساة :

ـ نشرت الاعلان فى الصحف. وكتبت الخطاب على الآلة الكاتبة، ووقعت عليه باسم أمك ، وجمعت كل ما تبقى فى جيبى من نقود ودفعت أجرة السفر ، ثم ادعيت ان الخطاب كان مرفقا بحوالة مالية . وصلت الى هنا ... فاستقبلت بالترحاب ، وفتحت لى أمك بيتها وذراعيها . ومرت الايام ... ماذا كنت انتظر وآمل ؟ أن أثير فى صدرك عاطفة الحب نحوى ؟ أن أستهويك وأوقعك فى حبائل غرامى ؟ لقد شعرت بعد فوات الوقت بأننى أقدمت على عمل جنونى ، واننى كنت على خطأ ، وان ليس لى الحق فى أن أنتزع الحب انتزاعا من صدر شاب لا يحبنى .. فالحب لا يقتنص بالقوة والعنف . اننى خسيسة ذميمة .. اشعربذلك وادركه . لقد كنت عازمة على الاحتفاظ بسرى ، والرحيل عن هذه البلدة بغير أن أفوه بكلمة تخون عواطفى وتلقى النور على حقيقة أمرى . وكان عزائى الوحيد أن أترك فى نفسك أثرا طيبا وذكرى حسنة للفتاة التى استضفتها ثلاثة أسابيع . لكن الاقدار شاءت غير هذا، فكشفت السر أنت قبل أن أبوح به أنا . فانفضح أمرى ... سامحنى !

أصغى هنرى بهدوء وسكون لاعترافات الفتاة ، ثم أخذ يديها بين يديه وقال :

ـ اذن هذا ما حدث ، أيتها الفتاة الطيبة القلب ؟ !

وضمها الى صدره واستطرد قائلا :

ـ أتظنين اننى سأحمل موجدة عليك بسبب كذبة أقدمت عليها ، وقد فتحت أمامنا نحن الاثنين أبواب السعادة ؟ اننى أحفظ لك أطيب الجميل يا مونك على ذلك العمل الذى تسمينه جنونيا . فقد رأيتنى فى تلك الحفلة الساهرة، ولكننى لم أرك ولم أنتبه اليك ، وهكذا مررت بالقرب من سعادتى دون أن أشعر بها ، ولولا جرأتك، لما كنت أنا الآن أسعد الناس !

سكت هنرى .. واذا بالجرس يدق داعيا أهل البيت الى العشاء، ودخلت مدام لينيو فرأتهما معا، فقالت :

ـ أما انتهى العاشقان بعد من التناجى ؟

كان صوت الأم التى أدركت كل شىء ، ايذانا بأن مرحلة جديدة قد بدأت فى حياة ابنها وحياة الفتاة التى أرادتها الاقدار رفيقة له فى تلك الحياة . فتبادل هنرى ومونك قبلتهما الاولى، بينما كانت الأم تبتعد متجهة الى قاعة الطعام . وتمتم هنرى فى أذن مونك

ـ حبيبتى !

[عن « جورج فيدال »]

هدايا الهلال

في
سبتمبر
واكتوبر
ونوفمبر
وديسمبر

لم تدخر مجلة الهلال وسعاً فى العناية بقرائها على الدوام ، فهى تطلع عليهم كل شهر بالشائق المبتكر المفيد ، كما أنها تقدم لهم أعداداً ممتازة تحوى أنفس الموضوعات وأطرفها . .

وقد أرادت أن تضاعف من عنايتها بقرائها ، فأعدت لهم أربع هدايا ثمينة للأشهر الأربعة المقبلة . وهى صور أنيقة لأربعة من أعلام الأدب فى الشرق العربى ، وهم : أمير الشعراء أحمد شوقى بك (هدية سبتمبر) ، والآنسة مى (هدية أكتوبر) ، وحافظ إبراهيم بك (هدية نوفمبر) ، ومصطفى لطفى المنفلوطى (هدية ديسمبر) .. وقد طبعت هذه الصور طبعاً جيداً بعدة ألوان بحيث أصبحت تحفة نفيسة فى المكتبة العربية

نجوم لها قصص !

ما أكثر المآسى التى تختفى وراء أنوار هوليود الساطعة . . إن لكثير من النجوم قصصاً ، تمتزج فيها الدموع بالابتسامات . وعلى هذه الصفحات نقدم ثلاث قصص لثلاث نجمات ، واجهت كل منهن الجماهير بابتسامة ، وإن كانت فى قرارة نفسها أبعد ما تكون عن الابتسام !

١ ـ أسيرة المخدرات

اشتركت « بفرلى شو » النجمة الذائعة الصيت ، فى سن الثامنة عشرة ، فى مسابقة للفوز ببطولة الجمال فى الولاية التى كانت تعيش فيها بأمريكا .. وبعد ذلك بقليل رشحت نفسها للفوز بلقب « مس أمريكا » . وقبل أن تبلغ التاسعة عشرة من عمرها تعاقدت معها احدى الشركات السينمائية المعروفة ، فارتفعت الفتاة الى مصاف كبار الممثلات

واحتفالا بها أقام لها أصدقاؤها والمعجبون بها وليمة فاخرة فى أحد فنادق نيويورك الكبيرة ، وهنا نترك لها المجال لتروى قصتها ، وما جرى لها فى تلك الحفلة الساهرة :

« كان القائمون بهذه الحفلة لفيفا من الممثلين والممثلات .. كمن الشيطان فى صدورهم ، فلم يراعوا تقليدا ، ولم يرعوا حرمة . وكنت فى ذاك الحين ساذجة جاهلة ، فخيل الى أن التهتك والاستهتار والاندفاع الى ألوان المتعة واللذة ، من مقتضيات العصر الحديث . ورأيت أحدهم يتطوع بحقن كل الحاضرين بنوع من المخدرات . ولما جاء دورى خفت فى بادىء الامر ، ولكنى لم أجرؤ على الرفض ، لئلا يقال اننى أتصنع الحشمة ، وأرتدى قناعا من الحياء الكاذب . وما كادت هذه الجرعة تأخذ طريقها فى الوريد ، حتى شعرت بموجة من السرور والابتهاج تشع فى نفسى . ومنذ ذلك الحين أصبح الهروين والمورفين لا يفارقانى لحظة واحدة ، بيد اننى كنت شديدة الثقة بقوة ارادتى ، ظنا منى أن فى وسعى نبذها متى شئت

« وبعد ثلاثة أشهر أصبحت أسيرة المخدرات وأمتها الذليلة المطواعة .. وأصبح كل عصب من أعصابى ، وكل جزء من

بفرلى شو .. أسرت الجماهير بفنها .. وأسرتها المخدرات بسلطانها

جسمى ينادى فى طلب المخدرات، فاذا حاولت عصيان أوامرها ، وعدم الاستجابة لرغباتها ، أصابتنى نوبة من الجنون ، فأنطح الحائط برأسى ، وأطعن نفسى بمدية ، وينتابنى عذاب قاتل ينتهى بتغلب الشر على الخير ، وانهزام الارادة أمام العدو القاتل الجبار

« وتطورت الحالة من سىء الى أسوأ ، ففقدت كل شهية للأكل، وكل رغبة فى النوم ، واضطررت الى دخول المستشفى للعلاج ، فلم يجد علاج ولم يفلح دواء .

وغادرت المستشفى وتركت عملى نهائيا ، ورحت أهيم على وجهى ، أسعى الى الكهوف والسراديب ، والمخادع السرية القذرة التى يرتادها المدمنون

« وبينما كنت ذات يوم خارجة من زقاق حقير فى أحد الاماكن المهجورة فى مدينة بوستن ، وقد لعب المخدر برأسى ، أمسك بى رجال البوليس ، ثم حكم على بقضاء سنتين فى اصلاحية المدمنين ، كدت أجن فى خلالهما ، وقد طار عقلى شعاعا . وبكيت وتوسلت اليهم بكل ما لدى من قوة ، أن يمنحونى جرعة تهدىء أعصابى ، فلم أجد الا آذانا صماء

« وبعد اطلاق سراحى تزوجت ، ثم اتهمت بتهمة كنت بريئة منها فطلقت . ولما لم أجد عملا عدت الى الادمان ، وسجنت المرة بعد المرة .. وفى المرة الخامسة عيرنى الجندى المنوط بحراستى بقوله : ان المدمن لا يتوب .. فتحديته ، ولجأت الى الله مستغيثة .. وقد كنت لا أومن به ، وبدأت أكافح وأناضل وأصلى . وكان الكفاح شديدا مضنيا .. ولكنى كنت قد عقدت النية على أن أنتصر هذه المرة .. وأعاننى الله ، واجتزت المحنة !

« وأخيرا غادرت السجن انسانا جديدا ، واشتغلت محررة فى صحيفة ، أكتب المقالات والنصائح لمدمنى المخدرات . ثم وهبت نفسى لمساعدة أولئك البؤساء ، واتصلت بطبيب الصحة وتعاونت معه على خدمتهم .. فأصبحت أواصل ليلى بنهارى فى زيارة اصلاحيات النساء ، اللاتى استجبن لشيطان الغواية .. وأسدى اليهن النصح والارشادات . وصرت أجد لذة كبيرة فى أن أقضى ساعات طويلة مع المدمنين ، أتحدث اليهم ، وأشجعهم على فتح صدورهم لى ، وسرد قصصهم على مسامعى

« ومن العبارات التى اعتدت أن أرددها أمامهم ، ووجدت أن لها صدى فى نفوسهم ، قولى لهم : لقد روضت نفسى على نسيان الامس ، لأن الامس لا يعود . أما الغد فقد لا يجىء .. لهذا أوجه كل همى الى اليوم ، وأعيش للحاضر . وبهذه العقيدة قضيت على عدوى .. وبهذه العقيدة يستطيع كل واحد منكم أن يقضى على عدوه »

٢ — تعيش ٧ سنوات فى أكذوبة !

تروى هذه القصة النجمة السينمائية ديل ايفانز ، وفيها تتحدث عن سر أخفته ٧ سنوات !

●

ليس أشق على فتاة من أن تعيش بهوليود فى أكذوبة لمدة سبع سنوات .. ولكن هذا ما فعلته ..! فقد اضطررت الى أن أقدم ابنى لأصدقائى ومعارفى على انه أخى الاصغر !

وقد حدث فى حفلة أقيمت فى

ليلة عيد الميلاد أن حضرت نجمات من صديقاتي ومعهن أبناؤهن وبناتهن .. فشعرت بالالم يحز في نفسي عند ما التقت نظراتي بنظرات ابني !

وذهب بعد هذا الى الخدمة العسكرية . وكم كان بودي أن أنظر الى الناس في تيه وفخر ، وأقول : « هذا هو ابني » .. ولكني لم أجرؤ

وأخيرا قدر لعذابي أن ينتهي .. فقد كنت أستمع الى الراديو ذات ليلة وكانت المذيعة تقدم نشرة اخبارية عن هوليود وكواكبها . وفجأة ذكرت اسمي ثم استرسلت تذيع عني خبرا وقع فوق رأسي كالصاعقة ..

قالت : « ان الفتى الذي يعيش معي في بيتي ابني وليس أخي ! »

صعقني كشف السر وأذهلني ، في حين نظر هو الى — وكان معي — نظرة اشفاق . ولكنني عند ما أفقت من الصدمة حمدت الله على أن هذه الاكذوبة قد انتهت

ولأكشف الآن عن سبب التجائي اليها ..

في عام ١٩٢٦ .. كنت في الرابعة عشرة من عمري ، أعيش مع أهلي في ولاية أركنساس . ووقعت وقتها في غرام شاب من طلبة المدارس العليا اسمه توماس فوكس ، فتزوجت منه في يناير عام ١٩٢٧ . وفي أواخر العام انجبت ابني توم فوكس الصغير . ولم يلبث زوجي أن مات بعد مولده بسنتين ، فاضطررت الى أن أعمل لأكسب عيشي

وذات يوم استدعاني مدير شركة التأمين التي كنت أشتغل بها ، وظننت انه سيطردني ، ولكني عند ما دخلت الى مكتبه ، قال لي : انه سيقدمني للاذاعة في الراديو — اذا كنت أجيد الغناء — مع احتفاظي بوظيفتي في الشركة

ونظرا لانشغالي في الاذاعة ، فقد تكفل أهلي بتربية ابني الذي سافر معهم الى ولاية تكساس . وشعرت بعد مدة قصيرة انني لا أطيق فراقه ، فاعتزلت عملي ، ولحقت به

ولكني عدت الى الاذاعة ثانيا ، واصطحبته معي هذه المرة الى بلدة « والاس » التي كنت أذيع من محطتها . وفي هذه البلدة التقيت بموسيقار قدم لي معاونات كثيرة ، وانتهت علاقتنا بالزواج

وحدث أن سمع أحد رجال هوليود صوتي في الاذاعة ، فجاءني يقول : ان شركة بارامونت تبحث عن فتاة تظهر أمام بنج كروسبي في أحد أفلامه ، وطلب مني بعض صوري واسطواناتي

فلما استدعيت للسفر الى هوليود في عام ١٩٤١ ، حذرني مندوب الشركة من أن أذكر شيئا عن ابني ، لئلا يؤثر ذلك على مستقبلي في السينما ، واقترح علي أن أقدمه على انه أخي

وهكذا ابتدأت أعيش في هذه الاكذوبة مرغمة . ثم تعاقدت مع شركة فوكس للظهور في أحد أفلامها ، وظللت أحتفظ بالسر الذي كان يتوثب الى الانطلاق من صدري . وكنت في نفس

ديل إيفانز .. انتهى عذابها عند ما افتضح سرها !

الوقت أعيش فى خوف من أن يكشف أحد مخبرى الصحف السر فيذيعه

وافترقت عن زوجى بعد ذلك بالطلاق ، ثم انضممت الى شركة « ريبابليك » التى لا أزال أعمل معها . وكان ابنى يعيش معى طوال هذه المدة فى هوليود على انه أخى !

ولكن كل أكذوبة مصيرها الافتضاح .. وهكذا أراحتنى محطة الاذاعة من عبء الاحتفاظ بسر كان يؤلمنى بقدر ما كان يخيفنى

٣ ـ غراميات لانا تيرنر

لم تتحدث هوليودعن غراميات نجمة من نجومها ، كما تحدثت عن غراميات لانا تيرنر ، التى تم زواجها أخيرا من أحد أصحاب الملايين فى أمريكا

وليست هذه هى المرة الاولى التى تتزوج فيها الممثلة الفاتنة ، فقد سبق لها أن تزوجت ثلاث مرات . ولها من زوجها الثالث ابنة فى الثامنة من عمرها

وكان أول من اقترن اسمه باسمها من بين نجوم هوليود ، الممثل المعروف ترهان بك .. وقدكان غرامهما مضرب المثل فى عاصمة السينما . وكان رأى الاثنين قد استقر على الزواج ، وحددا له موعدا . ولكن هوليود فوجئت قبل الموعد بأسبوعين بانتهاء كل علاقة بين العاشقين !

وسافرت لانا بعد ذلك الى « أريزونا » لتخفف عن نفسها وقع هذه الصدمة

ولم يمض وقت طويل حتى بدأ اسمها يقترن باسم النجم المعروف تايرون باور .. فقد التقى الاثنان فى حفلة أقامها أحد المنتجين ، ولازم كل منهما الآخر طوال السهرة

وفى حفلة أخرى التقيا ثانيا ، وكان حديثهما عن الادباء ومؤلفاتهم .. وأبدت لانا اعجابها بمؤلفات جبران خليل جبران ، بينما أثنى تايرون على مؤلفات سومرست موم . وكان ميلهما المشترك الى الادب والقراءة سببا فى اشتعال جذوة الحب بينهما

وسرعان ما انتشرت اشاعة قرب زواجهما . وعزز هذه الاشاعة سفرها الى المكسيك مع تايرون الذى قصدها لتصوير بعض مناظر فيلم جديد له

وشوهدا بعدئذمعا فى مجتمعات هوليود . وقد صرحت لانا وقتها لاحدى صديقاتها من الصحفيات قائلة : « بالطبع أريد أن أتزوج ثانيا ، فأنا أريد أطفالا آخرين يؤنسون وحدة ابنتى »

وفجأة سافر تايرون فى رحلة بطائرته زار فيها بعض أقطار أوربا ، ثم طار الى السودان ، ورجع قافلا الى أمريكا .. وكانت لانا فى استقباله بالمطار ، فذهبا الى بيت أحد الاصدقاء حيث دار بينهما حديث طويل لم يعرفه أحد .. ولكن الجميع عرفوا نتيجته .. وهو افتراقهما

وهكذا انتهت قصة غرام أخرى .. لتفسح الطريق بعدوقت ليس بالطويل لقصة جديدة .. فقد التقت لانا فى نيويورك بالمليونير بوب توبنج ، الذى دعاها لقضاء رأس السنة هى وأمها وابنتها فى مزرعته بولاية « كونكتكت »

وشعرت لانا بأن بوب يوليها اهتماما غير عادى .. وقد أهداها هدايا ثمينة ، وجعل يعطف على ابنتها

لانا تيرنر .. شغلت هوليود بأنباء غرامياتها المتعددة

وكان بوب منفصلا عن زوجه ولكن اجراءات الطلاق لم تكن قد تمت بعد ، وعلمت زوجه بعلاقته بالنجمة الحسناء ، فلم تقبل الطلاق الا بعد أن وصل المبلغ الذى عرضه عليها الى نصف مليون دولار !

وقد تم الزواج الجديد من غير أن يعوقه عائق .. فكانت المرة الرابعة التى تتزوج فيها لانا تيرنر ، كما كانت المرة الرابعة أيضا التى يتزوج فيها بوب توبنج ! فهل تكون المرة الاخيرة لكل منهما ؟ من يدرى ؟ !

على شط النيل

قصة بحرية ، تهديها الكاتبة

السيدة بنت الشاطىء

إلى لداتها وأترابها ، ممن عرفن
هذه المنطقة الساحرة ، وشدون
بأغانيها ، وأصغين فى طفولتهن
إلى قصصها وأسمارها
تحية وذكرى !

نشأ فى الفضاء الطلق الفسيح ، ودرج أيامه الاولى لاعبا بزوارق من ورق ، ممتطيا ظهر الماء ، فلما شب عن الطوق ، شاقه أن يغلب النهر ويسبح فيه الى الشط البعيد ، لكن أباه كان يمسكه ويروى عليه مآسى ذلك اليم المرهوب

ثم جاء يوم كل فيه ساعدا الشيخ ، فأسلم الزورق لفتاه ، واقام بكوخه يريح شيخوخته المتعبة ، اثر جهاد طويل

كان الفتى الملاح ، ينهض من فراشه فى خفة قبل أن تشرق الشمس ، فيحمل طعامه فى سلة صغيرة ، وينطلق الى الشاطىء حيث يعمل فى زورقه الصغير

ولم يكن له ولأبيه غير كوخ فقير قرب النهر ، فيه حشية من قش الارز، ومصباح ضئيل، وبعض الاوانى مبعثرة هنا وهناك، ثم .. هذا الزورق العزيز الجميل

وكان «زكى» برغم ذاك الفقر، سعيدا مرحا ، لا تكاد الابتسامة الصافية تفارق وجهه الصبى . وهو قد جاوز العشرين من عمره لكنه يبدو كالطفل الساذج ، لا يعبأ بما حوله ، ولا يفكر الا فى عالمه ذاك المحدود . وقلما نظر الفتى كسواه الى القصور القديمة المشيدة على الشاطىء ، حتى ايقن زملاؤه انه غرير ساذج ، واشفقوا عليه من يقظة مفاجئة ، يرى معها الحياة بما فيها من هموم وآلام !

•

اقبلت الفتيات الى الشاطىء

يحملن الاوانى والثياب ، وشمرن عن أرجلهن وسوقهن . ونزلن الى الماء ينظفن ما حملن من أوان ويغسلن ما معهن من الثياب ، بينماترتفع أصواتهن تارة بالضحك وتارة بالغناء

وكن حريصات على التبكير فى الحضور ، حريصات على الابطاء فى العودة ، يرينها فرصة للمرح الحلو واللهو البرىء . وقد ألقى اليهن — بالتلقين تارة وبالايحاء أخرى — أن بين الفتية الملاحين أملهن المنشود فلذ لهن أن يغدون الى النهر كل صباح ، يعرضن مهارتهن فى العمل ونشاطهن فى الخدمة ، ويتسابقن فى المباهاة بما يشترين من حلى ، بالنقود التى يربحنها من الغزل والتطريز وشغل « المناديل »

وكان ذووهن يبعثون بهن الى النهر ، توفيرا لثمن الماء . فكل غدوة من هذه الغدوات ، قد توفر عشرة مليمات ثمن قربتين يحملهما السقاء

وهكذا كانت تشهد «دمياط» فى كل صباح ، هذا المنظر الرائع البديع ، منظر الصبايا المرحات بثيابهن الزاهية ، ورؤوسهن المتوجة بمناديل بديعة الوشي والتطريز ، وأرجلهن الصغيرة العارية ، أوالمستترة بغلالة رقيقة شفافة من الماء ، يملأن الافق مرحا وضجة وغناء

ويكادالرائى يحسب انه يشهد منظرا فى احدى قرى الريف ، لولا هذه الاناقة التى لا تجدها فى بنات القرية ، وتلك النعومة التى تفردت بهافتيات السواحل، ولولاهذه القصور القديمة المشرفة على النهر ، تكاد تخبرك — لو تكلمت — كم أقامت على مشاهد جميلة رائعة ، وكم رأت من جرائم تسترها المياه وتسدل عليها غطاء من الابهام ، وكم من جثث استقرت هناك فى الاعماق، فرارا من الحياة ، أو تسترا على جريمة ، أو انتقاما من انسان !

•

ويأبى مرح « زكى » الا أن يشمل أمور العيش أيضا ، فأنت ترى الملاحين وقدغادروا زوارقهم وتفرقوا فى الشوارع والطرقات الآتية من المدينة ، يبحثون عن مسافرينقلونه الى الشط الغربى حيث يوجد القطار — ولم يكن « الكوبرى » قد أنشىء بعد — على حين يظل « زكى » فى زورقه لاهيا ضاحكا ، لا يبغى مسافرا ولا ينشد راكبا . وبينما يصيح الملاحون : « هل من مسافر ؟ » يرتفع صوت « زكى » مترنما بأغنية عزيزة له ، فتدع الصبايا ما بأيديهن ويصغين الى نغماته وهى تجلجل فى الفضاء ، فتصفق لها الامواج ، وتخفق بها الامواه ، وتتشربها الانسام

ولقد يحدث أن يبدأ الفتى فى أغنيته — وله فى ذلك ميعاد يحدده كل يوم ، وجه يرمق مطلعه — فيتمهل المسافرون ويقفون على الشاطىء الغربى منصتين فى شجو وذهول ، حتى يوقظهم صفير القطارمن نشوتهم الذاهلة ، فيمضون اليه وفى أعينهم طيف

الفتى الاسمر فى سترته البحرية الزرقاء ، وفى أسماعهم صوته الجميل يغنى :

يسعد صباح الحبايب
دا الهوى أصل العجايب
يا نازلين البحر تملم
أنا مستعد ابعت ركايب
واجب علينا نصبح
يا قمر بين الكواكب

فتضطرب الفتيات وتتطلع كل منهن الى زميلاتها متسائلة ، عدا واحدة منهن كانت تتشاغل بما بين يديها ، منحنية على المياه لتخفى وجها قد اصطبغ بحمرة قانية ، شبيهة بتلك التى تلون وجنات بنات النخيل بعد أن ترشف ماء النيل فى موسم الفيضان !

لقد كانت « عائدة » تحس انها التى يغنى لها الفتى ويعنيها « بالقمر بين الكواكب » ، ولقد نما حبهما فى رعاية النهر المبارك ، نقيا كالهواء ، رحبا كالفضاء ، صافيا كالسماء ، جياشا كالموج . وكثر لقاؤهما هناك فى الصبحيات الباكرة ، يستقبلان الاشعة الاولى راجفين مبتهلين ، يغنى لها وحدها أغنيته العزيزة ، فتصغى اليه مبهورة الانفاس خافقة القلب ، حتى تترامى اليهما أصوات الغاديات الى النهر ، فتتلهى بغسل أوانيها ، ويضرب هو بمجدافيه فى عرض النهر ، وصوته يجلجل فى الفضاء شجى النغم :

واجب علينا نصبح
يا قمر بين الكواكب

●

ثم انقطع شهورا لا يرى ..

وانزوى زورقه فى ثنية من الشط تغشاه كآبة ووحشة ، وكان أبوه الشيخ يحمل نفسه ويمضى اليه سعيا وراء الرزق ، فاذا وهنت قواه أغفى فى الزورق صامتا يجتر أحزانا مجهولة لا يعرفها سواه

ونسجت حول غياب الفتى الملاح أقاصيص ..

قيل : عشقته احدى جنيات البحر ، من بنات ملوك الماء ، فاستدرجته ومضت به الى مملكة أبيها فى أعماق اليم !

وقيل : تعلق به أحد الشيوخ من تجار الشام الذين يفدون على دمياط فى مراكبهم الشراعية ، يحملون الزيت والخشب والحرير ، ويعودون بالارز والسكر والمصنوعات المحلية . وكان الشيخ عاقرا فما زال بالفتى حتى أغراه بالرحيل معه ، واعدا اياه بأن يجعله الوريث الوحيد لتجارته الواسعة ، وأملاكه العريضة

وقيل : بل أمسكته أرملة ثرية عجوز ، كانت تعيش وحدها فى أحد هذه القصور العتيقة المشرفة على النهر ، وقد مات زوجها منذ عشرين عاما ، وترك لها — مع الثراء الفاحش — غلاما نزح الى الغرب حين بلغ مبلغ الرجال ، وبقيت الأم العجوز .. لأفاعيل الفراغ ، وتصاوير الوهم ، وتهاويل الوحشة ، وأكاذيب السراب ، وأساطير الاشباح ... وأراجيف الناس ! !

وقيل ... وقيل ...

ولم تكن بنات الشط يدرين أى هذا الذى قيل حق ، وأيه خيال !

●

وكثر تخلف « عائدة » عن الغدو الى النهر ، فلم تعد ترى مع أترابها الا فى فترات قليلة متباعدة ، وبدا عليها شحوب وهزال ، وزايلها ما عرفت به من مرح ونشاط . وكانت اذا جاءت الى الشط ، توجهت الى الزورق المهجور فقبلت يد الاب الشيخ ، ثم أخذت تعينه بقدر ما تسعفها قواها الواهية .. تنظف الزورق ، وترتب حشاياه ، وتغسل الاغطية ، وتملأ « القلة » ثم تكر راجعة .. بطيئة السير ، متعثرة الخطو ، تترنح ضعفا واعياء

الى أن حبستها الحمى فى دارها ، فلم تخرج الا الى القبر ، وتحامل الشيخ فشيعها الى مأواها الاخير ، وعاد من بعدها يبكى ..

●

ثم كانت المفاجأة الكبرى ..

رئى « زكى » عشية ماتت عائدة ، يدب الى الشط واجما مهزولا ، يسأل عن موعد الدفن ، فلما علم أن كل شىء قد انتهى ، دلف الى زورقه ساكتا لا ينطق ، جامدا لا يتحرك

وأحاط به زملاؤه الملاحون يفتقدون فيه الصبى الغرير الضاحك الذى عرفوا ، فلقيهم منه مخلوق آخر .. واهن القوى ، مستنفد الحيوية ، بادى الهزال ، منقبض الاسارير

وتسامعت الفتيات بنبأ عودته ، فتسللن الى النهر واحدة بعد الاخرى ، تحدو بهن أمان أرهقها الانتظار ، وتترنح على شفاههن كلمات حفظنها — من كثرة ما أعدنها — لتحية العائد العزيز

وسعى معهن طيف « عائدة » — فى هزاله وضعفه — يلتمس القاء نظرة مودعة على أطلال عالمه المنهار

وقد رق جمود الفتى لحظة ، وهو ينقل بينهن نظرة متسائلة ، ثم ما لبث بصره أن شرد عنهن ، وراح يعدو — فى أسى مجنون — وراء الطيف الذى ولى وغاب ...

فتراجعت الفتيات فى خيبة وذعر ، ثم عدن من حيث جئن ، واجمات مطرقات ، كأنهن قد شيعن عزيزا مات ...

وقال سامر الحى فى تلك الليلة :

« .. وهكذا أطلق الفتى من سجن الارملة العجوز ، بعد أن أقام فيه ما أقام أسيرا ، لا يملك سبيلا الى الفرار . حتى عاد الابن من بلاد الغرب ، فأنكر مكان الفتى من أمه ، وطرده من قصر الآباء والجدود .. ثم أطلق فى اثره نذر الشر ، وصيحات الوعيد !

« وفرغ لأمه : يسقيها كأس العقاب ، فى سجنها المرهوب ! »

●

وحمل نسيم الصبح على أجنحته الندية الناعمة ، نغمات الاغنية القديمة ، ترجعها فى الفضاء قيثارة خافتة حزينة ، ملؤها نحيب وشجن ، فعدا الرفاق الى صاحبهم يتساءلون ، ونفضت بنات الحى أيديهن من عمل الصباح ، وهرعن

الى النهر ، وتطلعت من وراء الستائر السميكة المسدلة على نوافذ القصر الكبير ، عيون جامدة النظرات ..

ولكن الاوان قد فات ..

وتوارى « زكى » تحت الماء ، وعبثا حاول رفاقه ان ينقذوه ، فقد تشبث بالموت ، وتشبث الموت به

وبسطت الشمس أشعتها الحنون على المياه المضطربة اثر جهاد المنقذين ، ثم هدأ الموج وسكن الماء سكون الموتى ، وحدقت الجدران - جدران القصور العتيقة المطلة على النيل - لتقرأ الاسم الجديد وتضمه الى الاسماء التى وعتها منذ شيدت حارسة على النهر ، ولم يبق من اثر للفتى الا بقية صدى من أغنيته النائحة ، ثم هذا الزورق يترنح من هول الصدمة ويكاد يتبع صاحبه الى جوف اليم

●

وسكن كل شىء بعد حين ..

وانتشرت الزوارق الرشيقة على سطح الماء تحمل الركاب بين الشاطئين ذاهبة آيبة ، بينما كانت رؤوس النخل الباسقات المتجمعة فى ضاحية « السنانية » ، تنحنى فى بطء ووجوم على شاطىء النيل الغربى ، كأنها تحيى الغريق العزيز ...

بنت الشاطىء
من الأمناء

الحجاج والدرويش

ظهر فى بغداد درويش ، زعم الناس أنه مستجاب الدعوة .. فاستدعاه الحجاج بن يوسف مرة ، وقال له : « أدع لى بالخير » . فقال الدرويش بعد أن رفع وجهه الى السماء : « اللهم اقبض روحه » . فصرخ الحجاج فى وجهه غاضبا : « بحق الله ما هذا الدعاء ؟ » . فقال الدرويش : « هذا الدعاء خير لك ولكافة المسلمين ! »

المريض والبيطار

أصيب قروى ساذج بمرض فى عينيه .. فذهب الى طبيب بيطرى وطلب منه أن يعالجه .. فوضع الطبيب فى عين الرجل ما يضعه فى عين الدواب من دواء ، فعميت عينه ..

فلما رفع الامر للقاضى ، قال له : « ليس على الطبيب من اثم .. اذ لو لم تكن حمارا ما ذهبت اليه ! »

صراع الروح والجسد

هل انتصرت روحها التى يسودها الطهر والتسامى على جسدها الانسانى بما فيه من غرائز ومغريات ؟

بقلم
الأستاذ عباس علام

— ١ —

قال الدكتور سعد بك طبيب الاعصاب المعروف :

سميرة هانم ..؟ رحمة الله عليها .. لقد كانت زهرة ناضرة. وكم يضم التراب من زهرات ناضرات كان مقدرا لها أن يطول بقاؤها على أغصانها ، يستمتع الناس بشذاها الذكى ، ويتأملون سر تركيب ألوانها ، ويسبحون باسم الخالق لما أبدع فى تكوينها

ما زلت أذكرها طفلة فى ثوبها القصير ، اذ ترانى مقبلا على قصرهم فتصيح متهللة : « عمى. عمى الدكتور » وكنت طبيب عائلتها وصديقا حميما للمرحوم أبيها ، وقد ولدت نحيفة وزادتها الدراسة نحافة. وكان مطلوبا من طبيب العائلة أن يصف لها ما يزيد فى وزنها ، ويجعل جسمها مكتنزا باللحم وبشىء من الشحم ، جريا على «الموضة» التى كانت سائدة وقتئذ .. ولكن الطبيب عجز ، ودواءه فشل

وعندما فاتحنى المرحوم طاهر باشا برغبته فى طلب يدها من أبيها ، كانت هى لم تبلغ الثالثة عشرة من عمرها، وكان هو قد جاوز الخمسين ، فثرت فى وجهه وقلت له : « ألا تخشى الله يا رجل ، فتتزوج بمن هى فى سن حفيدتك؟» . فلم يغضب لثورتى عليه وخشونة ما وجهته اليه ، بل أجابنى على طريقته الهادئة اللينة : « وهل قلت لك ، سأتزوجها ؟ . انى سأطلب يدها من أبيها فاذا أجابنى بالقبول ، فمعناه أنها هى تقبل .. ولا يمكنك أنت أو غيرك أن تتهمونى بأنى أثرت عليها بمالى أو نفوذى ، فان ثروتها الشخصية الموروثة عن أمها — دعك من ثروة أبيها — تفوق ثروتى ، وأن نفوذ أبيها وسلطانه فوق نفوذى وسلطانى»

وتقدم لخطبتها عدد من الشبان

الذين من سنهـا وفى مثل جاه أبيها وثروته ... الا أنهـا تبعا لنصيحة أبيها آثرت عليهم طاهر باشا .. وكان زواجها منه حديث المجالس ومثار القيل والقال، حتى لقد نظم بعضهم قصيدة شبـه فيها أباها بتجار الرقيق وأنه طرحها فى المزاد فباعها لمن دفع أعلى ثمن

ولقد تنبأ الجميع لهذه الزيجة بالفشل العاجل، الا أنى أقرر ،بناء على ما لمسته بنفسى ، انها كانت زيجة صالحة مباركة . لقد تحولت طبيبا لعائلتهما بعد أن كنت طبيبا وصديقا لكل منهما . وبحكم صلتى هـذه كنت أحوم حول القصر الذى نقله الله لهما من فردوس السماء الى الارض وكانت أبوابه مفتوحة لى أدخله غير مستأذن ، وأجوس خلاله وأسمع كل ما يجول فيـه ويجرى . وبوسعى أن أشهد أمام الله والنـاس أنى شممت بأنفى واستطعمت بلسانى لذة الهنـاء الذى كان يرفرف عليهما بجناحيه

كان الخبيث الذى نظم القصيدة وشبه أباها بتجار الرقيق ، قد بعثهـا اليهـا بطريق البريد .. فحدثتنى عن فضول النـاس وبذاءتهم ، ثم قالت تخاطبنى : « أليس الزوج هـو الوصى على زوجه نيابة عن أبيهـا ؟ فما لهم يريدوننى أن أتخـذ وصيا على غلاما من سنى هو فى حاجـة الى وصى عليه ؟ ألست ترانى على حق يا عمى ؟ »

جرى هذا الحديث فى مستهل حياتهما الزوجية، فقلت فى نفسى : « اذا كانت تخاطبنى بلقب «عمى» وأنا أصغر من زوجهـا ، فبماذا عساها تخاطبه ؟ ! » ... لذلك أجبتهـا وأنا أفرغ نصيحتى فى قالب الدعابة : « لاتنسى أن الشيخ اذا جلس فى حضـرتك تذكـر شبابه وندم على ما فاته من أيامه، وأنه يمقت من يذكره بأنك صغيرة بالنسبة اليـه . فكيف اذا كان التـذكير صادرا منك أنت !.. حذار اذن أن تنادينى « يا عمى » مرة أخرى ! »

هل أنا قدمت لك فى أوصافها أنها كانت نادرة الذكاء ؟.. اذا لم أكن ، فان ما أرويه عن حديثنـا هـذا يكشف لك عن ألمعيتهـا وبداهتها

خطفت ما أعنيه خطفا من الهواء، وأطلقت ضحكة كان لها فى أذنى وقع الموسيقى الناعمة، وأجابت : « أما عنك فستظل عمى، ماعشنا أنا وأنت ... أما «عنه» فسأعوده على أن يكون بالنسبة الى «توتو» و « زيرى » و .. وكل شىء ! »

— ٢ —

وظلت سميرة تعامل زوجهـا كحبيب وعشيق ، وتنظـر له كأب شفيق فتعتبر اشارته أمرا، عليها واجب العمل به . وزادت كمـالا ورصـانة فوق ما أعرف عنها من كمـال ورصـانة ، فلم يوجه اليها نقـد طوال حياتهـا الزوجية ، ولا أخذ عليها تصرف

يدعو الى الكلام فى حقها أو حق زوجها. ولعل طاهر باشا أراد أن يضرب لها المثل على الفرق بين زواجها من شاب يقضى على هنائها بالتضييق عليها وبين زواجها من شيخ مثله يكون لها نعم الزوج ونعم الأب فى وقت واحد .. فجعل يستصحبها فى رحلات الى سوريا وتركيا وأوربا. واذ كان – كما كان أبوها أيضا – من أنجب تلاميذ السيد جمال الدين الأفغانى ، فقد أخذت هى تكتب فى الصحف محبذة الآراء الحرة التى نادى بها الشيخ محمد عبده كما تشيعت لقاسم أمين ، وأخذ زوجها يروج لما تكتب ويشايعها فى تأسيس الجمعيات واقامة الحفلات ، داعية لحرية المرأة واشتغالها بالامور العامة . وكان ذلك منه ومنها أعجوبة الزمن ، فأقفل فى وجهيهما قصر الخديو عباس ، وجعلت جريدتا اللواء والمؤيد تتناولانهما بالنقد والتجريح

ولقد أنجبت له ولدهما حسينا بعد عام من الزواج ، ثم اعتلت صحتها عقب الوضع فرفضت أن يطببها غيرى . ومن الغريب أنى كنت الطبيب الطبيعى لمرضها لانها كانت تشكو حالة شخصتها بأنها حالة عصبية ، وظللت أعالجها نحو عامين ، ثم انقطعت عن دعوتى لبيتها أو الحضور لعيادتى ، فقلت فى نفسى لا بد أنها شعرت بأنها لم تعد فى حاجة الى طبى ودوائى ...

وترملت ولما تبلغ العشرين من عمرها ، وكانت هذه آخر مرة رأيتها فيها اذ تقدمت اليها مواسيا معزيا . وعرضت عليها استعدادى لخدمتها ليس كطبيب فقط – بل كعم أو والد ، وكأخ للمرحوم زوجها

لم أرها بعدئذ .. ولكنى كنت أرى صورتها فى الصحف وأقف على أخبار نشاطها الاجتماعى ، وقد تضاعف هذا النشاط عقب وفاة زوجها .. ومر على ذلك أكثر من خمسة عشر عاما

– ٣ –

على الرغم من تقدمى فى السن – اذ بلغت الثانية والسبعين من عمرى – فان لى ذاكرة أعتز وأباهى بها ... لذلك لم أكن فى حاجة الى من يعرفنى بالفتى الذى دخل على فى عيادتى ومد يده لمصافحتى

ابتسمت ابتسامة يسميها البعض ماكرة ، وما هى الا ابتسامة الاعتزاز بذاكرتى ، وبادرته بالسؤال :

– ألست ابن المرحوم طاهر باشا ..؟

– أجل ، واسمى حسين

– هل تعرف أن المرحوم والدك كان زميلى من عهد الدراسة ، وأننا ظللنا صديقين متلازمين الى أن اختاره الله لجواره ..؟

– عرفت ذلك من والدتى

– تفضل فاجلس .. ولهذه المناسبة ، كيف حال والدتك فان لى عامين لم أسمع أو أقرأ عنها ؟

– من أجلها جئتك ، فقد

قضت العامين الاخيرين مريضة ، وهى تجتاز الآن أزمة صحية عصبية . وعرضنا عليها أن ندعو طبيبا فرفضت ، وظلت على الرفض الى أن شددنا عليها صباح اليوم .. فرضيت بشرط أن يكون الطبيب هو حضرتك

ــ هلم بنا اليها اذن

وخرجنا معا وظللنا طول الطريق صامتين ... كنت أفكر فى الماضى ، وفى « سميرة » ذات الثوب القصير التى كانت تدعونى عمها، وفى يوم فاتحنى طاهر باشا فى الزواج منها ، وفى ثورتى عليه. وهنا تذكرت أن له ابنة من زوجه الاولى تزيد سنها على سن سميرة هانم، والدة الفتى الجالس الى جانبى فسألته : « وكيف حال أختك رامزة هانم ؟ » أجاب : « هى على احسن حال ، وأصغر أولادها تزوج فى الاسبوع الماضى » فقلت ضاحكا : « وخاله ، ألم يتزوج بعد ؟ » فأجابنى : « لن أفكر فى الزواج قبل أن أتم دراستى الجامعية . وأمامى على اتمامها ثلاثة أعوام »

ووقفت بنا العربة أمام قصرهم، فاستقبلنا فتى آخر حسبته ابن أخته رامزة هانم .. وكادت ابتسامة الاعتزاز بذاكرتى القوية تومض على شفتى، لولا أن حسينا قدمه الى بقوله : « صديقى وزميلى فى الكلية محمد رأفت »

وتهامس الفتيان .. ثم دعانى حسين الى الدخول عند أمه

رأيتها على مثل ما كانت منذ خمسة عشر عاما .. نحيلة القوام، ناضرة الوجه ، غير أنها اليوم فى سريرها فى حالة تشبه الغيبوبة. قست الضغط ، وفحصت القلب والصدر والكبد ، ثم سألت ابنها :

ــ ما شكواها ..؟

ــ لا شىء غير أنها تعتريها هذه الحالة كثيرا فيصيبها الاغماء ويطول أو يقصر ، وأحيانا يكون الاغماء مصحوبا بتشنج أو تيبس. وعلامة عودتها الى الوعى أنها تتأوه وتتألم وكثيرا ما تبكى. أما فى حالة الصحو فتكون دائما مكتئبة حزينة ضيقة الصدر ، وهى لاتنام نوما هادئا عميقا . وقد ضعفت قابليتها للطعام ، أو عدمت فى الواقع ، فهى ــ بعد الحاح شديد منا ــ تكتفى بجرعة من اللبن أو الأوفالتين

وعادت المريضة الى وعيها أثناء الحديث فجعلت تئن ، ثم تحول الأنين الى صراخ مكتوم وبكاء

اقتربت منها وحييتها ، ثم سألتها : « ألا تذكرين وجهى ؟ » فسألتنى هى : « رأفت؟ . .ألست رأفت ؟ » أجابها رأفت : « لا يا تيزه .. هذا هو الدكتور سعد بك الذى طلبته » وأردت أن أمازحها ، فقلت لها : « أيختلط عليك العجوز الكركوب بهذا الغلام الناعم ؟ » . فعضت شفتها ، واستغرقت فى البكاء

ولما أخذت أصف العلاج اللازم لها والنظام الذى يجب أن تسير عليه، صاحت : « النوم يادكتور ..

82

النوم قبل كل شيء .. أريد النوم الهنيء . أكتب لى مورفين » .. قلت : «مورفين ..؟ولماذا لاسمح الله،وأنت فى حالة عادية؟ » قالت : « شكواى فى أنى عندما تحين ساعة النوم يستعصى علىأن أنام» قلت : « أنا أعرفك مؤمنة بالله ، وأنك تحفظين الكثير من آى القرآن الكريم .. فعندما تريدين أن تنامى ، اطفئى النور واغمضى عينيك واقرئى آية وأعيدى تلاوتها فتنامى باذن الله » . قالت : «انى أفعل ذلك وأقرأ طويلا وأعيد القراءة .. ولكنى لا أنام »

التفت لولدها حسين وسألته : « هل سبق لطبيب آخر أن وصف لها المورفين ؟ » . أجاب : « لم يفحصها أحد غيرك،وهى لا تعرف المورفين الا بالسماع »

خطرت على بالى فكرة .. سألتها : « لماذا تصرين على ألا يعالجك سواى ؟ » أجابت : «لانك طبيبى مذ كنت طفلة .. هل يسيئك هذا ؟ » : قلت : « على العكس ، بل هو يشرفنى .. ولكن افرضى أنى فى حاجة الى استشارة طبيب آخر من المختصين بالامراض النسائية .. » . قاطعتنى بلهجة الطفلة العنيدة وقالت : « لا لا لا .. لست فى حاجة الى طبيب أمراض نسائية » قلت : « فلتكن طبيبة .. وقد أصبح لدينا بفضل جهودك عدد من الطبيبات المتخصصات .. » فسكتت

واستأذنت فخرجت .. وعند سيارتى ، قلت لولدها حسين : « لا بد من فحص والدتك من الوجهة النسائية ، فالذى تشكوه هو الهستيريا .. ويخيل الى أن منشأ الهستيريا عندها أمر نسائى . فعليك أن تقنعها بالاستعانة بطبيب أو طبيبة فى الامراض النسائية ، واتركوا لها اختيار من تشاء . وليكن كلامكم معها بالتلطف والحيلة .. وعلى ذكر هذا ما قرابة صديقك رأفت بكم ؟ » أجاب : « رب أخ لك لم تلده أمك .. انه ليس من أقربائنا ، ولكنه شب معى وكان يدخل بيتنا من عهد الطفولة ، ووالدتى تعده ولدا ثانيا لها ، وهو يعدها أمه الثانية »

وودعت حسينا وأنا أفكر فى شأن أمه وما تقاسيه

— ٤ —

بعد بضعة أيام جاءنى خادم يحمل الى رسالة مكتوبة من سميرة هانم تدعونى بها الى الذهاب اليها على عجل ، فهى تريدنى فى خلوة ولاتجد وقتا أكثر مناسبة من هذا الوقت

هرولت اليها .. فوجدتها جالسة فى الحديقة ، واستقبلتنى بابتسامة مشرقة كطلعتها ودعتنى الى الجلوس . وكان فى يدها كتاب « رفاييل » .. ولما جعلت أتأمل فيه ، قالت انها تحب أن تقرأ كثيرا من مؤلفات لامارتين ، وان أحب كتبه اليها هو هذه القصة ، وانها تحب « الصوفية » المتجلية فيها .. ثم انتقلت فجأة الى

حديث آخر ، فقالت : « اسمع يا دكتور »

قاطعتها : « قولى ، عمى »

قالت : « لقد كان هذا ندائى اليـك وأنا طفـلة لم تشب عن الطـوق .. أما وقد أصبحت عجوزا كما ترى .. »

قلت : « عجـوز !؟.. أنت عجوز ؟.. ألا تعرفين كم سنك الآن ؟ »

أجابت : « ان رأفت يدعـونى « تيزه » .. »

قلت : « ذلك لأنه ... »

قاطعتنى : « لأنه من سن ولدى حسين ، بل هو أصغر منه بعام أو أكثر .. ثم دعنا من هذا .. تريد أن أدعوك عمى؟.. فليكن.. اسـمع يا عمى : انى أعلم أن حالتى ميئـوس منهـا .. هل تعرف الصـور التى تجـول فى خاطرى عندما أحاول النوم ؟. أتخيل أنى مت ، وأسمع أصوات النادبات والنائحات ، وأرى نعشى يخترق الطريق ويدخل الى المسجد وتقام الصلاة على... ثم أراه من جديد يسير نحو المقابر ، وأراهم وهم يدخـلون جثتى فى القبـر ويهيلون عليها التراب .. لا شىء من ذلك يخيفنى . هل تذكر يوم قبضوا على المرحوم الباشا فى عقر بيتنا، وكيف قاومتهم وتعرضت لأسلحتهم ؟.. هل تذكر المظاهرة النسائية التى كنت على رأسها ، وكيف قابلنا الجنود البريطانيون مصوبين أسلحتهم الينا ، وكيف عرضت لهم صدرى وصحت فيهم : أطلقوا رصاصكم فليست فينا من لم تتأهب للموت ..؟ لقـد كنت جادة وقتها وكنت أتكلم من أعماق نفسى، فانى طوال حياتى لم أخش الموت، ولم أحسب حسابه الا فى فعل المبرات تأهبا لمقابلة الله وفى يمينى حسناتى وصومى وصلاتى وزكاتى وحجى الى بيته الحرام.. غير أن الذى يزعجنى الآن عندما أحاول النوم وأتخيـل أنى مت ودفنت ، هو سماعى صوت ولدى يبكى على..لقد بكى على المرحوم أبيه ، ولـكنى كنت الى جانبـه أكفكف دموعه.. ولكن من ذا الذى سيكفكف دمـوعه على ؟.. انى لا أقصد ايلامك ، كل ما فى الامر انى أشرح لك آلامى كطبيب وظيفته تخفيف الآلام . أعيـد عليك أن حالتى ميئوس منها ، وأن لا دواء يفيدنى،وانى اذا كنت قد سايرت ولدى فدعـوتك لفحصى فليس ذلك لـكى تشفينى من مرضى ، ولكن لكى أخفف عنه هو عذاب الضمير بعد أن أموت ، وبعد أن يخاطبه ضميره بأنه قصر نحوى فلم يعرضنى على طبيب .. ثم، وهو الأهم .. الخوف من أن تكثر الظنون وتتضارب الأقاويل حول ولدى ، فيقال انه تركنى أموت ، أو ساعد على موتى ، لكى يستأثر بثروتى وثروة أبيه

« هـل أبلغت ..؟.. اللهم فاشهد »

قلت وأنا أحاورها : « اذا كنت تقصدين أن أشهد لولدك بالولاء

لك والبر .. فأنا أشهد والله يعلم انه نعم الابن لخير أم وأب.. ولكنى من جانب آخر، لا أملك أن أنكر أمام ضميرى وأمام من يسألنى من الناس أنك فرطت فى شأن نفسك، وأنك بتصرفك هذا انما تنتحرين عمدا . والانتحار لا يقدم عليه عباد الله المخلصون »

سألتنى : « ماذا تريد منى لكى أمحو هذه التهمة التى تأبى الا أن ترمينى بها ظلما ؟ » .. أجبتها : « أريد أن تتركى هذا العناد — ولم أعهد من شيمتك العناد — وأن تسمحى لطبيب فى الامراض النسائية أن يفحصك لانى مشتبه فى منشأ مرضك . اذا كنت لا تريدين أن يراك رجل فاختارى من تشائين من النساء اللواتى اكتسبن مركزهن فى عالم الطب بفضل جهادك وجهودك »

أجابت : « ليكن ما تريد ... استدع من تختارها »

— ٥ —

على أن الزمن لم يمهلنى ويمهلها. ففى صباح اليوم التالى خاطبنى ولدها بالتليفون وهو يغص بالدمع . وكانت صدمة قاسية أن أعلم أن روحها فاضت الى بارئها

وشيعناها الى مقرها الاخير .. والحشد الهائل الذى اجتمع فى جنازتها ، والدموع الغزيرة التى ذرفت عليها .. كل هذا لم يستلفت الانظار بقدر ما استلفتها نحيبى ، أنا الرجل البالغ اثنين وسبعين عاما . لقد كنت طول الطريق أبكى كالاطفال .. وعندما أودعوها اللحد لم أملك أن ألقى بنفسى ليدفنونى قبل الميتة ، حتى لقد وصل الحال بابنها أن ينشغل بى عن نفسه وعن أحزانه فجعل يواسينى ويربت على كتفى ليهدئنى

وفى الواقع ما آلمنى الا تذكرى حديثها معى بالأمس .. وكنت أسائل نفسى : « أتراها الآن تسمع أصوات النائحات والنادبات وتسمع بكاء ولدها ونحيبى عليها »

فى جنات النعيم يا سميرة .. والا فلمن تكون الفردوس اذا لم تعمرها مثيلاتك القانتات المصونات ..!

— ٦ —

بعد أن تأهبت للنوم جعلت أناجى نفسى حول المرض الذى أصاب هذه المسكينة ، وسبب فجيعتنا فيها وهى فى شرخ الشباب

انى ، كطبيب مختص بالاعصاب ولى خبرة واسعة بأمراض القلب، أقسم على صحة ما ذكرت فى شهادة وفاتها من أنها ماتت بآفة قلبية .. وأضيف الى ذلك أن الآفة القلبية نشأت عن الهستيريا

ولكن ما الذى أوصلها الى الهستيريا أو أوصل الهستيريا اليها ؟

هنا يتسع المجال للحدس والتخمين .. وليس أحد مثلى يستطيع أن يصيب الحدس

والتخمين فى شأنها ، فأنا الطبيب الذى تلقاها بين ذراعيه منذ ولدت وتولى تطبيبها طوال حياتها القصيرة الى أن توفيت . وقد كنت طبيبا لوالدها وأمها قبلها ، كما كنت طبيبا لزوجها .. فأستطيع أن أقرر ما ان كانت ورثت عن أحد منهم أحد الامراض، ثم انى كنت - بحكم صلاتى بها وبأهلها - مطلعا على دخائلها وأحوالها، وكنت لها بمثابة الصديق الحميم والوالد العطوف

أتكون الهستيريا التى أصابتها نشأت عن تفردها دون أهلها جميعا بالنحافة ؟.. ولكن مثل هذه النحافة كانت خليقة بأن تصيبها بمرض صدرى أو قلبى دون الهستيريا ، وخاصة أنها لم تظهر عليها الا فى أواخر أيامها

أتكون الهستيريا أثرا من آثار الحالة العصبية التى عانتها عقب أن وضعت ولدها حسينا ؟ قد يكون ذلك ، وان يكن ينفيه أن هذا الاثر ظل كامنا مختفيا أكثر من عشرين عاما

وجعلت أراجع تاريخ حياتها ، فأراها فى المدرسة تصمم على أن تكون الاولى فى فرقتها برغم ما يحيط بها من مظاهر الثروة ومغريات اللهو .. انه «التسامى» الذى رافقها صغيرة،وظل يرافقها بعد أن أصبحت شابة وزوجة . انه « التسامى » الذى جعلها تخالف العرف فتختار لنفسها زوجا فى سن والدها ، لانها تعتبر الزوج وصيا على زوجه نيابة عن أهلها،ولانها تضن بنفسها على أن يحكمها غلام فى سنها ... انه «التسامى» الذى جعلها - عندما رأت النقد يوجه الى أبيها والى زوجها - تحبس نفسها فى دائرة من التصون والحيطة لتتقى أية ملاحظة توجه الى سلوكها أو تصرفاتها. وفى سبيل ذلك تزمتت فحرمت نفسها من كل متعة تهواها من كانت فى سنها ... انه « التسامى » الذى جعلها - عقب وفاة زوجها - تحصر حياتها فى تربية ولدها ولا تفكر فى الزواج . وفى سبيل ذلك أيضا زادت من تصونها وحيطتها لعلمها أنها - بحياة العزوبة - ستكون فى مهب النقد والتجريح . وها قد مر عليها ، منذ وفاة زوجها، أكثر من خمسة عشر عاما قضتها بين هذه الجدران السميكة التى اختارتها لنفسها ، أو اختارها لها « التسامى » والترفع

ثم من يدرينى ..؟

هذه سيدة فى نحو الثلاثين من عمرها - وهى أحلى سنوات العمر وأحرجها - لاتحتك برجل، ولا تسمح لرجل أن يحتك بها .. تجد الى جانبها فتى فيه كل الرجولة هو رأفت .. حقيقة انه ربى على يديها وانها كانت تعطف عليه عطفها على وليدها .. ولكن ما المانع - من وجهة نظر بسيكولوجية - أن يتحول عطفها الى حب ؟ ما المانع أن تكون نفسها قد مالت اليه وهو «الرجل» الوحيد الذى يلازمها وترى فيه صورة من

شبابها الذاوى ؟.. هل أنسى يوم دعيت لفحصها وسألتها عقب أن أفاقت من غيبوبتها : « هل تذكرينني ..؟ » .. ألم يكن أول ما جرى على لسانها اسم رأفت؟

وهل أنسى اذ عضت على شفتها عندما قلت لها مازحا : « أيختلط عليك العجوز الكركوب بهذا الغلام الناعم ؟ » .. وهل أنسى أن كتابها المفضل كان «رفاييل»؟ ألم تكن « رفاييل » قصة شابة تزوجت من شيخ عجوز كانت تعتبره الوصى عليها ثم أحبت فتى من سنها؟..ألم يكرر لامارتين فى هذه القصة معنى أن الانسان بحبه للانسان انما هو فى الواقع يحب الله ويعبده ؟.. ألم تسم هذا المعنى الذى كان لامارتين يدور حوله « صوفية » ، بينما هذه الصوفية تعكس أمامها صورة من نفسها ؟.. وأخيرا ، هل أنسى عندما قالت لى بالامس - والحسرة تغلب على نفسها - ان رأفت يدعونى « تيزة » ؟

نعم ، نعم .. من المرجح أنها احبت رأفت ، ولا بد أن تساميها وقف حائلا دونها ودونه ... بدليل انه ظل يدعوها « تيزة » لانه لم تبدر منها بادرة تشعره بحبها اياه . فهل كانت روحها النقية الطاهرة تسمح لها أن تغدو عشيقته ؟.. أم كانت عزة نفسها وترفعها يسمحان لها أن تتخذ منه زوجا ، بينما هو يصغر ابنها بعام أو عامين ؟ وماذا يقول الناس عنها اذن ؟

لقد تصارع جسدها الانسانى بما فيه من غرائز ومغريات ، مع روحها الملائكية التى يسودها الطهر والتسامى .. وكانت تكبت احساساتها وتقهر جسدها

ومن أثر هذا الكبت والقهر ، وخلال هذه المصارعة بين الجسد والروح ... ضعفت أعصابها وجعلت تتفتت الى أن تحطمت

وفارقت الروح الجسد، وملائكة الله تشيعها بالآية الكريمة « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى »

عباس علام

نابلسى فاروق

صناعة مصرية صميمة — أنظر صفحة ١٠٧

2251
1
Dec

أقاصيص فكهة

من أطرف ما يحكى ..

ذكاء صبى مصرى

مر الأمير محمدعلى باشا الكبير، جد الأسرة العلوية ، بصبى يقرأ القرآن ، فقال له :

ــ فى أى سورة تقرأ ؟

فأجاب : « فى سورة الفتح »

فقال له الأمير : « اقرأ .. »

فقرأ الصبى : « انا فتحنا لك فتحا مبينا ... »

فاستبشر الوالى ، وأراد أن يكافئه ، فقال له :

ــ خذ هذا الجنيه ..

فقال الصبى : « لا أستطيع قبوله .. »

قال الأمير : « لماذا ؟ .. »

فأجاب : « لئلا يضربنى أبى ! »

فقال : « قل له هذا من الوالى .. »

فأجاب : « لا يصدقنى ! .. »

قال : « لماذا ؟ »

أجاب : « يقول لى هذه ليست عطية ملوك .. »

فدهش الأمير ، وأعجب بذكائه وبراعة اجابته ، وأمر أن تعنى الحكومة بتعليمه على نفقته الخاصة .. !

شاعر ابراهيم باشا

كان الشيخ أمين الجندى الحمصى شاعرا لابراهيم باشا ، وقد وصف وقائعه وحروبه فى قصائد عدة . وكان هذا الشاعر لا يحب طعام « القلقاس » . فأراد ابراهيم باشا أن يداعبه ذات يوم ، فدعاه الى مأدبة كل ما فيها قلقاس أو ممزوج بالقلقاس

فلما جلس الشيخ أمين على المائدة وبدأ يأكل وجد القلقاس فى كل لون ، فاعتذر عن مواصلة الاكل بمرض فى قلبه ، ثم ارتجل هذا البيت مشيرا الى صحون المائدة :

ويسألونك عن قلبى وما قاسى
فقل قاسى، وقل قاسى، وقل قاسى

فضحك ابراهيم باشا ومن معه ، وأمر له باحضار ألوان أخرى من الطعام

شخصية ظريفة

كان بوزارة الاوقاف مفتش على مدارسها يدعى حسن رضا بك ، وكان من الشخصيات المصرية الظريفة . ومما يحكى عنه أنه كان جالسا فى حفل ، فسمع رجلا من الحاضرين يغالى فى ثمن فرس ويعدد مزاياها ، حتى قال انها تساوى ألف جنيه

فقال له حسن بك :

ـ يا سلام يا أخى .. أهى فرس النبى ؟ !

(وفرس النبى اسم يطلق فى مصر على نوع من أنواع الجراد)

●

وكان راكبا يوما حنطورا فى ميدان الاوبرا (ميدان ابراهيم باشا) ، فاستوقفه أحد معارفه فى الطريق ، وأراد أن يطيل فى الكلام ، فالتفت حسن بك الى السائق ، وقال له :

ـ اعمل لنا قهوة يا أسطى !

فضحك الرجل ، واعتذر وانصرف ..

برود انجليزى ... !

ذهب كمسارى القطار الى أحد الصالونات ، فوجد به انجليزيين ، وكان أمام أحدهما حقيبة ، فقال له الكمسارى :

ـ المتبع هنا أن توضع الحقائب فوق الرف ، وليس على الارض

فأجاب : « حسن ... »

واستمر يقرأ جريدة كانت معه . ولم يفعل شيئا ..

فقال الكمسارى :

ـ اذن فخذ هذه الحقيبة ، وضعها فوق الرف

فلم يجب الرجل .. فذهب الكمسارى ، وأحضر مفتش القطار ، فقال للانجليزى :

ـ ضع هذه الحقيبة فوق الرف من فضلك

ـ لا ...

ولم يلتفت اليه ، وكان الانجليزى الثانى يقرأ بجواره ، ولم يتكلم ، فقال المفتش للكمسارى : « عندما يصل القطار الى المحطة التالية ، قل لناظر المحطة أن ينزل هذا الراكب » . فلما وصل القطار حضر الناظر ، وطلب منه النزول قائلا له :

ـ كيف تمتنع عن وضع هذه الحقيبة فوق الرف حسب الأوامر ؟

فأجاب الانجليزى :

ـ لأنها ليست حقيبتى .. !

فالتفت الناظر الى الانجليزى الثانى ، وقال :

ـ هل هذه حقيبتك ؟

ـ نعم

ـ ولماذا لم تضعها فوق الرف ؟

ـ لم يطلب أحد منى أن أفعل ذلك .. ! !

2251
1
Dec

خطبة موفقة !

تمثيلية مترجمة عن الفرنسية

بقلم الأستاذ زكى طليمات

فى النفس أغوار بعيدة ، يدرك العقل الظاهر منها بعضاً ، ويخفى عليه بعضها الآخر ، والانسان يعمل أحياناً لتحقيق غرض من الأغراض وهو شاعر بما يعمل ولماذا يعمل ، ولكن سرعان ما ينكشف له ، أو لمن يراقبه ، أنه كان يعمل لتحقيق غرض آخر وهو لا يدرى

أشخاص الرواية

دونان	عمره	٥٦	سنة
روبيرفلوري	«	٢٨	«
الآنسة لورين	عمرها	٤٦	«
الآنسة روز	«	٢٠	«

•

المنظر : نحن فى بهو تخم فاخر الأثاث ، فى الصدر باب كبير يؤدى إلى الحديقة ، وفى كل من جانبى البهو باب صغير

المشهد الأول

روبير — لا أكاد أصدق ... أحقا يا عمى انك أجريت كل هذا التدبير ... هذه الاكذوبة ! !

دونان — أكرر عليك أنك الشخص الوحيد الذى يعرف حقيقة الامر فيها .. أما الشابة فلا يخالجها شك فى صحتها

روبير — أعنى أنك ستقدمها الى ، وهى تجهل كل الجهل لماذا جاءت ؟

دونان — بالتأكيد .. وهكذا ستكون لك فرصة التعرف اليها وفحصها كما يحلو لك ... من غير أن يضايقك من جانبها فحص أواختبار. فاذا أعجبتك ووقعت من نفسك كان بها ، وسارت الامور سيرا حسنا ، والا فلك أن تصارحنى برفضك اياها ، وينتهى الامر دون أن نخدش كرامتها فى شىء

روبير — حسن جدا ، اذ بغير هذا التدبير نكون قساة ظالمين ، وما كنت لأستطيع أن أرفض يد شابة تحضر الى ، وهى تعرف تمام المعرفة لماذا حضرت

دونان — هون عليك ، فلن يؤنبك ضميرك فى شىء

روبير — يبقى يا عمى أن أكرر عليك أن طيبة قلبك تدفعك الى أن تكابد كثيرا من أجلى ، ولكن ..

دونان — دعنا من هذا ، وقل لى أتريد أن تتزوج أم لا تريد ؟

روبير — أريد .. لأنى أعرف أن الرجل مقضى عليه أن يتزوج ، ولكنى لست متعجلا قضاء الله . اننى ما برحت فى أول مراحل الشباب

دونان — ماذا ؟ بلغت الثامنة والعشرين ... السن التى يحلو فيها الزواج ، بل ويجب

روبير — الحاحك فى أن أتزوج ، وأن أتزوج عاجلا .. أمر يثير العجب فأنت تدفعنى بكل قواك الى أن آتى شيئا لم تفعله أبدا .. أنت أعزب ، أعزب مع سبق الاصرار ، ولم تفكر يوما فى الزواج

دونان — من أجل هذا أريد الا تقع فى الخطأ الذى تورطت فيه .. ليكن العم أمثولة لابن أخيه وعظة وعبرة

روبير — ومع عزوبتك الطويلة هذه يلوح لى أنك لم تكن تعسا

دونان — تخطىء اذ تتصور ذلك .. لقد تألمت كثيرا من عزوبتى .. لا ذرية لى .. ان حياتى خالية خاوية

روبير — ولماذا لم تتزوج ما دمت تحس كل هذا ؟ عندك

ثروة وثراء ، وفيك الصفات التى تجعلك مرموقا من كل النساء، ما كان عليك الا أن تلمح برغبتك، أو أن تلوح بمنديلك المعطر ... الم تصادفك امرأة ؟

دونان ـ بلى صادفتنى .. ولكنى لم أجرؤ على خطبتها .. اننى موفور العاطفة ، غير انى مرهف الشعور الى حد الخجل

روبير ـ انت ! !

دونان ـ أنا .. ألا يبدو على هذا ؟ آه لو عرف الشباب

روبير ـ (ضاحكا) وآه لو قدر لك عم ، عم من طرازك الطيب اللطيف ، يمهد لك أسباب التعارف ، ويفتن فى اجراء ما يلزم لتدبير الخطبة

دونان ـ من يدرى ؟

روبير ـ هون عليك ، فان الوقت ما زال متسعا

دونان ـ اتمزح .. لقدجاوزت السادسة والخمسين يا بنى

روبير ـ وماذا يهم ! ! انها ستة وخمسون ربيعا ، وصحو الربيع ينسى برد الشتاء !

دونان ـ ولكن الشتاء لم ينسنى

روبير ـ أنت تبالغ .. فما زلت صلب العود فياض العافية

دونان ـ دعنا من هذا الآن.. وخلنى أؤكد لك أن الشابة التى ستحضر الساعة غاية فى اللطف والوسامة و ...

روبير ـ أتعرفها ؟

دونان ـ لا ..

روبير ـ اذن كيف تخلع عليها كل هذه الصفات ! ؟

دونان ـ عمتها تؤكدلى هذا .. عمتها الآنسة لورين صديقتى القديمة

روبير ـ مزاعم عمة تحب ابنة أخيها ، والتحيز من صفات الحب ، وعين الرضى .. ولكن قل لى ، الم تطلع الآنسة لورين ابنة أخيها على ما دبرته لها ؟

دونان ـ لا .. لقد وعدتنى وأقسمت على أن يبقى السر مكتوما بينى وبينها

روبير ـ تقول انها شابة لطيفة ووسيمة .. نصيحة متواضعة لك يا عمى ، لماذا لا تتزوجها ؟

دونان ـ أنت تهذى ..

روبير ـ ولا شك انك قلت للعمة بدورك ، وأكدت القول ، بأننى شاب لطيف ووسيم

دونان ـ وهل فى هذا شك ، هيا بنا نجول بالحديقة ريثما تأتى الشابة وعمتها

(يخرجان من باب الصدر)
فترة سكون

المشهد الثانى

(الآنسة لورين وابنة أخيها تدخلان من الباب الايمن)

لورين ـ أكرر عليك القول أن المسيو روبير يجهل كل شىء عن سبب قدومك

روز ـ هذا ما يقال دائما فى مثل هذا الموقف

لورين ـ أؤكد لك انك أنت وحدك التى تعرفين السبب ..

وسيطيب لك أن تفحصيه من غير أن يلقى بالا الى ما تفعلين

روز ــ ولكن حضورنا هذا ، ألا ترينه مباغتا ؟

لورين ــ على العكس ، المسيو دونان صديقى منذ الطفولة ، وهو من لداة صباى ، وطالما لهوت واياه فى هذه الحديقة

روز ــ وعليه فقد دبرت الامر مع المسيو دونان ؟

لورين ــ اتفقنا ودبرنا كل شىء

روز ــ ولم يطلع ابن أخيه على شىء ؟

لورين ــ أبدا .. وعدنى بالكتمان وأقسم

روز ــ ولكن يا عمتى، أسألك مرة أخرى ، لماذا تلحين كثيرا فى أمر الزواج ، وفى الحال ؟ انى لم أتم بعد العشرين من عمرى .. وفوق هذا ، فلست راغبة فى الزواج الآن ، ربما أفكر فى الامر فيما بعد

لورين ــ فيما بعد .. ولماذا لاتتزوجين الآن ما دامت الفرصة سانحة ؟

روز ــ ولم لم تغتنمى أنت فرصة كهذه، ألم تسنح لك يوما ؟

لورين ــ ربما .. ولكنى أضعتها ، وانى لآسفة .

روز ــ أحق هذا ؟

لورين ــ بل انى لمتألمة ، ولهذا أود أن تفيدى من تجاريب حياتى

روز ــ وهل فى مراجعة تجاريب البعض ما يفيد فى اصلاح حال البعض الآخر ؟

لورين ــ ربما .. ونحن لانملك الا نؤمل فى هذا

روز ــ أعجب يا عمتى ، وأنا أراك من أنصار الزواج ، كيف لم تتزوجى ؟ ألم يخفق قلبك بالحب يوما ؟ ؟

لورين ــ كفى .. هذه أسئلة لايجاب عليها ... ان لكل قلب ذخائره وأسراره

روز ــ بربك اكشفى لى عن بعض خفايا قلبك فاننى ...

لورين ــ ما هذا الفضول .. نحن أمام مسألة تخصك أنت

روز ــ كما ترين يا عمتى .. ولنرجع الى حديث زواجى ، هذا الشاب الذى جئت بى الى هنا لأراه ، ما هيئته ؟

لورين ــ وسيم وأنيق وفاتن

روز ــ يبدو أنك تعرفينه

لورين ــ لم تقع عيناى عليه بعد

روز ــ اذن كيف ... ؟ !

لورين ــ عمه أخبرنى عنه ، وهو لايكذب .. واننى واثقة من أنك ستتدلهين بالفتى حبا بمجرد رؤيته

روز ــ (ساخرة) حب ينقض على قلبى انقضاض الصاعقة على الدوحة الباسقة فيمزقها ! ! ولكنى أخشى يا عمتى أن أضل الطريق الى قلبه وأنا أتعثر بحطام قلبى ! !

لورين ــ لا تسخرى يابنيتى، اذا لم تحبيه اليوم فستحبينه فى الغد

روز ــ أعجب يا عمتى من أمرك .. ما دام هذا رأيك فى

الحب وفى الزواج ، فلماذا لم تجربى ما تشيرين به على وتلحين فى أن أقبله ؟

لورين ـ دعينا من هذه الثرثرة .. هيا ابتسمى وتحفزى لتأسرى رجلك ، أصلحى تصفيف شعرك ، فقد اختل نظام بعض جعداته ، اذهبى الى الغرفة المجاورة (تشير الى الباب الايسر) فبها مرآة ، وهى غرفة صديقى رب المنزل .. هيا اسرعى فقد أتيا ..

(تختفى روز فى الحجرة وتخرج العمة من حافظة يدها مرآة صغيرة وتأخذ فى اصلاح شعرها ، وصبغ شفتيها ، وما أن تنتهى من زينتها حتى يدخل العم دونان من الباب الاوسط)

المشهد الثالث

دونان ـ (متقدما فى شغف وقد انحنى مقبلا يد العمة لورين) طاب يومك ياعزيزتى

العمة ـ طاب يومك ياعزيزى

دونان ـ (باحثا فى أركان المكان) اين هى ؟

لورين ـ هنا (مشيرة الى الباب الايمن) وهى تتزين .. وهو ؟ ؟

دونان ـ فى الحديقة .. اسمعى ، لقد أعددت ابن أخى روبير أحسن اعداد وهيأته لما نريد عمله

لورين ـ وأنا بدورى فعلت هذا مع ابنة أخى

دونان ـ ولكننى لا أرى روبير متحمسا للزواج

لورين ـ وروز لا تقل عنه زهدا فيه

دونان ـ أرجو أن يتغير الموقف اذا امتلأت عين كل منهما بالآخر

لورين ـ لا تخف ، فنحن خلفهما .. نذكى ضرام الرغبة

دونان ـ أرجو أن يتم هذا

دونان ـ والآن لندع الشباب ولنتحدث عن أنفسنا .. أرجو أن تكونى قد سعدت بأوبتك الى بيتك ، لقد مضى زمن طويل لم نتقابل فيه ! !

لورين ـ ثمانية أعوام

دونان ـ يا للشقة الطويلة .. طالت غيبتك وأنت تطوفين من بلدة الى أخرى

لورين ـ أجل ...

دونان ـ وقد عدت لاقامة قصيرة .. أم لتبقى بيننا دائما ؟

لورين ـ بل لأبقى دائما ... لقد بعثت فى نفسى أسفارى الطويلة رغبة ملحة فى أن أخلد الى الراحة فى منزلى . وأنت ماذا فعلت طوال هذه المدة ؟

دونان ـ كنت أسير العمل المتواصل ، ولكننى تحررت من كل هذا منذ ستة أشهر ، وبى شغف أن أتحرك ، أن أسافر ، أن أبدل من لون حياتى ، أريد أن أتجدد ..

لورين ـ يبدو لى اننا كلينا مصيب فيما ينتوى عمله . فما أحوجنا الى التجديد .. الى أن نغير من طقوس حياتنا

دونان ـ ومع التغيير الذى تنشدينه .. فانت لم تتغيرى ولم يتبدل فيك شىء

لورين ـ لقد تقدمت بى السن .. أنظر هذا الشعر الابيض

دونان ـ تبالغين .. انه وخط المشيب ، وهو يعقد هالة فوق رأسك

لورين ـ لا ، بل أنت من أراك على سابق عهدى بك وكأنك لم تتغير ، فانه يبدو عليك انك لم تتجاوز من السنين ..

دونان ـ الا العشر سنوات التى أكبرك بها ..

لورين ـ شد ما تنطلق الحياة بنا وتجرى ! !

دونان ـ أجل .. وهذا ما يجيز لنا أن ننتهبها انتهابا وأن نسعد بها . ليست الحياة الا حلما .. هذه حقيقة معروفة منذ القدم ، فما علينا الا أن نعمل على أن يكون هذا الحلم بهيجا.

لورين ـ وعلينا أيضا أن نجعل لحياتنا أهدافا نعمل على تحقيقها .. قل لى ، وكن صريحا ، أحققت شيئا من أهداف حياتك ؟

دونان ـ (ضاحكا) هذا فضول منك ... وأنت ؟

لورين ـ (ضاحكة بدورها) وهذا تطفل ..

دونان ـ اذن كفانا فلسفة .. ولنهتم بأمر الشباب . سأذهب الى الحديقة لأعود بروبير ، وأنت تحضرين روز ، سنقدم كلا منهما الى الآخر ، وبعد حديث قصير أدعوك الى جولة فى الحديقة ، ونتركهما يسعيان لشق طريقهما .. هذا شريط سينمائى تروقك مشاهدته ولا شك ؟

لورين ـ للغاية ..

(يخرج)

المشهد الرابع

لورين ـ (منادية) هل انتهيت يا روز ؟

روز ـ (تدخل) ها أنذا ..

لورين ـ دعينى أرى كل شىء فيك .. (تفحصها جيدا) حسن ..

روز ـ ها قد جاء وقت الفحص والمعاينة ، يخيل لى اننى جندى يتهيأ للاستعراض . عمتى بى ميل الى أن أستغرق فى الضحك

لورين ـ ليس الزواج بالامر الذى يبعث على الضحك

روز ـ اذن أريد أن أبكى

لورين ـ مجنونة أنت ، يلوح لى انك لن تكونى يوما جادة فى أقوالك ... كفى ، فقد أقبل المسيو دونان وابن أخيه

(يدخل دونان وروبير)

دونان ـ يا صديقتى أقدم لك ابن أخى روبير فلورى الذى فاجأنى اليوم بزيارته . (مقدما اليه السيدتين) الآنسة لورين .. وهذه ابنة أخيها

لورين ـ سعيدة بمعرفتك .. كثيرا ما حدثنى عنك عمك

روبير ـ وعمى بدوره طالما ذكرك فى حديثه.. أنتما صديقان منذ عهد قديم

لورين ـ نعم ، منذ عهد قديم فمنذ أربعين سنة كنا نمرح سويا فى هذه الحديقة ، (الى دونان) أتذكر يا صديقى ؟

دونان ـ كيف لا.. يخيل الى انه لم يمض على هذا غير يوم واحد .. وما زلت أراك بعين الخيال تلك الفتاة اللعوب التى تخطر فى ثوبها الازرق القصير

لورين ـ وما برحت أراك فى قبعتك المدلاة على جبينك ، وأنت تحاول أن تقلد فى مشيتك هيئة رجال الاعمال .. شد ما كنت لطيفا ! !

روبير ـ ما أجمل ذكريات الصبا .. (لروز) أليس كذلك يا آنسة ؟ (الى دونان ولورين) ولكن لماذا لا تصلانها بالحاضر وتستأنفان معاشرة لطيفة فى ظل الماضى ؟

دونان ـ آه .. لا أدرى ..

روبير ـ وأنت ياآنسة لورين؟

لورين ـ ولا أدرى أنا أيضا.. انه أمر مكتوب

دونان ـ القدر يريد هذا ..

روبير ـ نحن نذكر القدر ونتعلق به حينما تفلس ارادتنا. أعمالنا أقدارنا

دونان ـ أتعتقد فى هذا ؟

روبير ـ (الى الآنسة لورين) ماذا تقولين يا آنسة ؟

لورين ـ ربما كنت على حق..

روبير ـ وأنت يا آنسة روز ؟

روز ـ لقد قلت الحق.. فان المثل يقول بدل ما بنفسك تتبدل لك الايام ، وساعد نفسك تساعدك السماء

دونان ـ (لروز) اذن أنت تشاركين ابن أخى رأيه ؟.. بديع للغاية .. (الى الآنسة لورين) يا صديقتى العزيزة ، خطرت لى فكرة أريد أن أطلعك عليها .. لندع الشباب يأخذان بأسباب الفلسفة ويتناقشان فى القدرة والارادة ..

لورين ـ لك ماتريد

(يخرجان الى الحديقة ويتبعهما روز وروبير حتى الباب وتسود برهة سكون ، ثم ينظر كل منهما للآخر ويبتسم ، ثم ينطلقان فى ضحك شديد)

المشهد الخامس

روبير ـ لقد ضحكنا ، والسبب واضح .. ويبدو لى انك لست من السذاجة بحيث تخفى عليك دخائل هذه الفكاهة اللطيفة التى كانت تمثل الساعة ؟

روز ـ لم يخف على شىء منها

روبير ـ يريدان ارغامنا على الزواج

روز ـ أجل

روبير ـ انت لطيفة وسيمة؟ !

روز ـ وأنت أنيق فاتن ؟ !

روبير ـ آه ، انهما من الشطار فيهما خبث لطيف ينسج مؤامراته بخيوط حريرية بيضاء ، وقد

تركانا أطيب ما نكون هـدوءا وأحسن ما نكون اعتدادا بالنفس. لى عم يعتقـد انه من دهاة الساسة ! .

روز – ولى عمة ..

روبير – كلاهما من معدن واحد . أرجو أن تصرحي لى يا آنسة ، هل أنت مصرة على الزواج ؟

روز – كلا ..

روبير – وأنا أيضا .. كذا المصارحة والتفاهم ! ! اعطنى يدك .. (يقبل يدها) ها نحن على وفاق .. وها قد أصبحنا صديقين

روز – ما أكثر ما تعجبنى صراحتك !

روبير – أرجو ألا أكون قد آلمتك فى شيء .. انت فى الواقع مؤنسة ولطيفة وجديرة بأن تسعدى بالزواج ، ولكن ماذا أقول؟ ؟ أصارحك بأننى لم أهيىء نفسى بعد لمهمة الزواج

روز – ولا أنا .. يبدو لى انك حقا آسر بلطف حديثك ! !

روبير – لندع تبادل انخاب المديح ، لانه لن يحل الموقف الذى تحرجنا فيه ، ولنبحث كيف نبسط لهما أسباب ما انتهينا اليه من هذا الخلاف الودى

روز – هذا حق .. ان عمتى ستغص من سماع رفضنا الزواج

روبير – ولن يكون عمى أقل منها غصة ونكدا . وفوق هذا فانه سريع الغضب، واننى وريثه الوحيد .. ولهذا فاننى أخشى نتيجة غضبه ، ولا بد لنا من مخرج

روز – اذن كيف السبيل الى ارضائه وارضاء عمتى ؟

روبير – اسمعى .. خطرت ببالى فكرة ، فكرة صائبة (يضحك) ماذا تقولين فى أمر زواجك من عمى ؟

روز – أقبل .. ولكن على شريطة أن تتزوج عمتى

روبير – آه .. لا . هذا لن يكون .. لنفكر فى مخرج آخر (يفكر قليلا) اليك .. اليك .. ما قولك فى أن نزوج عمى من عمتك ؟

روز – (وهى تقفز من الفرح) فكرة رائعة ! ! حقا ، ان كلا منهما يصلح للآخر

روبير – وفوق هذا ، فانه يلوح لى أن جانبا من حياتهما يؤلف قصة هما بطلاها .. وقد حالت الايام دون انهائها على الوجه الذى كانا يرغبان فيه . فلنحاول اصلاح ما أفسده الدهر .. ولنساعدهما على تسجيل الفصل الاخير من القصة

روز – لعلك مصيب فى ظنك .. ولكننى أخشى أن يرفضا هذه المساعدة

روبير – سنرى .. آه ، يريدان أن ينصبا لنا فخا ، وقد جاء دورنا فى رد هذه التحية . يرغبان فى اتمام عقد قران ، ويفتنان فى سبيله ، ويركبان من أجله كل حرج ! ! حسن فليكن

لهما ما يرغبان فيه ، ولكن على وجه آخر ، وسيضحك جيدا من يضحك أخيرا

روز — لقد كانا يتبادلان الحديث فى حنان عجيب .. ألم تلحظ هذا ؟

روبير — بل وفى شغف يقارب الوله الكظيم .. هيا يا آنسة ولنعد العدة لمفاجأة نطلع بها عليهما . فلنجلس هنا (يجلسان على الاريكة) .. وليقترب كل منا الى صاحبه (تقترب منه) أيضا، أيضا، وأرجوك .. لنتظاهر بأننا على وئام ، واننا قد اتفقنا على الزواج

روز — ولكن ...

روبير — أسكتى فقد أقبلا .. هيا اهمسى فى أذنى معسول الكلام .. وهاك ذراعى أحوط بها كتفيك

(تمضى فترة صمت يدخل أثناءها السيد دونان والآنسة لورين فيقفان مبهوتين لما يريانه)

المشهد السادس

دونان — (بصوت منخفض الى الآنسة لورين) بديع للغاية لقدنجح تدبيرنا .. انهما يسيران، بل يركضان ركضا لتحقيق ما نريده لهما

لورين — هكذا ولما يمض غير وقت قصير ؟ ؟

دونان — انهما يسرعان الى تحقيق أمنية راودتهما ولايعبآن بشىء . هذا فى حين ان غيرهما ، ويا للأسف ، يداور ويتلكأ ! !

لورين — أراهما لاينقطع لهما حديث ! !

دونان — وغيرهما صامت لا ينبس بحرف (يتظاهر بالسعال) آيه يا صغيرى ، يظهر أنكما لم تضيعا وقتا طويلا فى التفاهم ..

روبير — نعلم جيدا يا عمى أن نجاح عمل من الاعمال لا يتقيد بطول الوقت أو قصره . لقد تفاهمنا فى الحال . وكيف لايكون غير هذا ؟ ان الآنسة تفيض لطفا ورقة ووسامة كما أخبرتنى ! !

روز— وهويسطع أناقة ويشع فتنة ، كما أكدت يا عمتى ! !

دونان — (الى الآنسة لورين) كذا ! .. ان الامور بين أيديهما تنطلق سراعا ولا تلهث

روبير— فى عصرنا تمرق الطائرة فى الجو بسرعة خمسمائة كيلو فى الساعة .. وكذلك الحال أمام رغباتنا فى دنيا الغرام

دونان — اذن فقد اتفقنا ؟

روبير— تماما . وسوف ترى ! اتفقنا على أمرين : الاول اننا لا نتزوج

لورين — (والدهشة تعقد لسانها) ان لا تتزوجا ! !

روبير — (مستمرا) والامر الآخر أن نعمل على عقد قرانكما أنتما الاثنين

دونان — نحن الاثنان ، ماهذه الفكاهة السخيفة ! !

روبير — ليست هناك فكاهة

من نوع ما ، بل هو الجد ما نتحدث فيه ، كلاكما يضمر أمرا ويظهر أمرا آخر . كان قلبك يحكى كثيرا فى حين أن شفتيك بقيتا مربوطتين كحوافى الكيس المغلق ، لم تجرؤ يداك على أن تمتدا نحومن تهوى ، ولكن أيدينا جريئة . هات يدك يا عمى (يمد يده نحوه)

دونان — (يقاوم بملامح وجهه) ماهذا ! ! ماهذا السلوك العجيب

روبير — لا تقطب جبينك يا عمى ، ولا تعقد ما بين عينيك . هذا غير جميل منك .. لا .. لا تحاول أن ترفع صوتك ، وأن تأخذ فى الخطابة ، فانى ألمح دمعة صغيرة تنبثق فى عينك ، أنت فى أعماقك جد سعيد أن ترى ابن أخ لك قد هدته العناية الى استبطان دخائل قلبك

روز — (الى عمتها لورين) هات يدك ياعمتى (تشبك يديها ولا تجيب ثم تشيح بوجهها)

روبير — أيديكما ترتجف ، الانفعال فيها يهزها هزا ، ولا تبدو عليها علامة للرفض

روز — انها أيد رقيقة أنحلتها العاطفة المكبوتة المعذبة ، ولكنها أيد تنطق بالرضا والقبول

(فترة صمت ، يشخص كل من العم والعمة نحو الآخر فى حنان)

دونان — (وقد ارتسمت ابتسامة على فمه وهو يوجه القول الى الآنسة لورين) لقد استطاعا أن يخلصا منا ..

لورين — (مقاطعة) وهكذا تنعكس الآية

دونان — سامحى هذا الشباب المجنون

لورين — (جادة) يا صديقى انهم العقلاء ، ونحن المجانين

دونان — اذن أنت توافقين ؟

لورين — بكل سرور ، ومن كل قلبى (يمسك كل منهما بيد صاحبه)

روبير — والآن يا آنسة روز بما أننا أصبحنا أولاد عم ، أو ما يقرب من هذا ، فقد أصبح مسموحا (يقبل كل منهما صاحبه) وأنتما ؟ (مشيرا الى العم والعمة) تقفان هكذا جامدين كتمثالين ! ! شيئا من الحياة والجراة ، هانحن ندير وجهينا ، بعد أن أريناكما ما يجب أن تفعلاه (يقبل العم والعمة كل منهما صاحبه)

لورين — وأنتما يا ولدى ؟

دونان — ما الذى انتويتما عمله ؟

روبير — يكفى ما عملناه اليوم أكملنا حبا كان الحياء يحول دون بلوغ تمامه ، لقد امتلأت سعادة وغبطة ، وأخشى سوء الهضم ، ولكن كلمة يا عمى ... أرجو أن لا تنجب أطفالا ، فاننى ما زلت وريثك الوحيد !

(ويضحك الجميع)

ستار

هب انك صرت قاضياً .. وعرضت
عليك هذه القضية ، فبماذا تحكم فيها ؟

السارق الذي لم يسرق !

بقلم الأستاذ حسن جلال
القاضي بالمحاكم المختلطة

لما نزلت بلدة (ط) فى الصعيد «الجوانى» – كما يسميه أهله – لأكون قاضيا لمحكمتها ، كان ذلك منذ حوالى عشرين سنة تقريبا . وكان لهذه المحكمة فى ذلك العهد قاضيان . وكان زميلى الذى اشتركت معه فى تناوب «الجلسات» هو المرحوم (ع . س) ذلك القاضى الصارم الذى كانت تتندر الدوائر القضائية بشدة أحكامه ، وتروى عنه الغرائب وبخاصة فى جرائم السرقات . فلقد كانت له حساسة خاصة لهذا النوع من الجرائم . لا يكاد يطيق أن يسمع رجلا يقول : « سرقونى ! » ، كما لا يكاد يطيق أن يرى رجلا يقال له : «حرامى»! . وكنت قد سمعت عنه – قبل أن أراه – أنه حكم مرة على رجل بالحبس مع الشغل سنة ، لانه سرق « كوزا » من الاذرة . أما من كان يضبط فى داخل منزل من منازل الناس ، فلم تكن له عند زميلنا – وسع الله عليه – الا عقوبة السرقة فى حدها الاقصى الذى قرره القانون (الحبس ٣ سنوات)!

وكنت أعرف أن معظم هذه الاحكام كانت تخفض مدتها عند ما تستأنف . فان سارق « كوز » الاذرة مثلا ، لن يجد قاضيا يحكم بحبسه غير أيام معدودة . ذلك هو ميزان العقوبات الذى تواضع عليه القضاة فيما بينهم . والذى يأخذه حديثهم عن قديمهم ، ويتلقن أصوله صغيرهم عن كبيرهم .. ولكن أخانا – رحمه الله – اتخذ لنفسه معايير خاصة كان « يكيل » بها اذا « جلس » . وهو لا يبالى ما يفعل بعد ذلك أصحاب المعايير الاخرى الذين يراجعون أحكامه عند استئنافها ...

ومن عجب أن هذه الخطة التى رسمها زميلى لنفسه قد أرضته ، وحققت له أهدافه . على الرغم من تفرده بها وعدم معاونة زملائه له فى تدعيمها واقرارها . فقد كان من المفروض مثلا – وقد اشتهر عن هذه الاحكام الصارمة أنها تعدل بالتخفيض فى دوائر الاستئناف – ألا يكون لها تأثير خاص فى نفوس المجرمين . ولكن الواقع

غير ذلك . فانه لم تكن تنقضى على زميلى هذا فى أية دائرة من الدوائر التى يعمل فيها بضعة أشهر حتى تكون نسبة الجرائم فى محكمته قد نقصت – وبخاصة جرائم السرقات . وكان وجوده فى بلدة من البلاد يعطل الحوادث الجنائية فيها لقسوة أحكامه، وخروجه بها عن دائرة المألوف والمعروف . وكان من المأثور عنه أن اللصوص يهاجرون فى عهده من البلدة التى يتولى القضاء فيها . ويتسربون الى البلاد المجاورة يتربصون فيها «للحركة القضائية» التى تزحزحه عنهم ، ليستأنفوا نشاطهم المعهود فى ظلال الاحكام العادية « العادلة » !

●

كنت سعيدا برؤية زميلى هذا عند ما نزلت تلك المدينة القاصية .. وكنت أميل الى حديثه ، وأعمل جاهدا على كشف سر قسوته التى اشتهر بها لانى حسبت – كما قد يتبادر الى ذهن كل انسان – أنه هو نفسه كان ضحية سرقة آلمته فى وقت ما . ولذلك كتب على لصوص هذا القطر أن يكفروا عن خطأ زميلهم الفاسد الذوق الذى لم يحسن اختيار فريسته . فجر على « الطائفة » تلك المصيبة الثقيلة ، حين مد يده الى متاع القاضى ليسرقه ! ولكنى عرفت منه فى أحاديثنا الخاصة أنه لم يقع عليه قط أى اعتداء من هذا النوع . وأن ما يراه الناس اسرافا منه وشططا ، يراه هو اعتدالا وحكمة . فالامر بينه وبين غيره لا يعدو أن يكون اختلافا فى تقدير العقوبة . والمشرع حين جعل عقوبة الحبس فى السرقات من أربع وعشرين ساعة الى ثلاث سنوات ، ترك للقاضى أن يحدد المدة التى يراها صالحة لكل حالة من الحالات التى تعرض عليه . وليس أدل عنده على صحة موازينه ومعاييره من تلك النتائج الباهرة التى كان يصل اليها عن طريق أحكامه الشديدة

قال لى يوما :

«لست غافلا عما يقوله الناس عنى، ولا عما تفعله « الدوائر الاستئنافية » بأحكامى . وان كان لواحد منا أن يدهش لتصرفات صاحبه ، فان لى آنا أن تأخذنى الدهشة كيف تصدفون عن الاخذ بطريقتى الناجحة فى القضاء على الجريمة . وتصرون على اتباع طريقتكم الفاشلة التى أحالت دور المحاكم فى أيديكم الى « ساقية » من « سواقى جحا » التى تملأ أحد « قواديسها » بماء « قادوس » آخر . فهى أمام من يراها آلة من آلات رفع المياه ، بدليل هذه القواديس التى لا تزال تمتلىء وتفرغ . ولكنها فى الحقيقة لعبة فارغة لا نفع فيها ، لانها لا تنتج شيئا . واذا كنتم تشهدون بأن أحكامى هى التى تطارد الاشقياء ، وتخنق فى نفوسهم عوامل الشر . فقد وجب عليكم أن تعترفوا بأن « الاحكام

العادلة » الاخرى التى تواضعتم على معاييرها التافهة ، هى المسئولة عن اختلال الامن وانتشار المجرمين !

وأقول الحق : لم أدر كيف أجيبه — عليه رحمة الله

●

كان زميلى أقدم منى . ولذلك كانت تسمى جلساته «جلسات الدائرة الاولى» وكان موعدها السبت والاحد والاثنين من كل أسبوع . أما أنا فكنت صاحب « الدائرة الثانية » وكانت جلساتى تشغل بقية الايام ..

فلما جاء دوره فى ترك الصعيد والزحف شمالا نحو القاهرة وما وراءها ، عين بدلا منه قاض حديث . فوجب على أن أتقلد رياسة « الدائرة الاولى » بدورى لاترك «الدائرة الثانية» للقاضى الجديد ..

وشعرت بما سأجد من حرج فى الجلوس مكان زميلى .. فان قسوته لم تكن فى طبعى . وكنت أومن بأن القسوة قد يكون فيها مزدجر . ولكن الذى لم أكن أسيغه أن يسجن رجل لمدة عام بسبب «بصلة» أو نحوها ، وذلك لكى يكون عبرة يعتبر بها غيره . فان فكرة العدالة المجردة تقتضى أن يحمل الانسان وزر عمله وحده . والضرورة — كما تقول القاعدة الشرعية — تقدر بقدرها . وسارق البيضة لا يجوز أن يعامل معاملة سارق الجمل . نعم ان من يسرق البيضة اليوم قد يسرق الجمل غدا .. ولكن هذا لا يبرر عندى أن أتعجل الحوادث . فلتكن له اليوم عقوبة يومه .. أما الغد فقد لا يجىء بالقياس اليه . وان هو جاء فقد يجىء مع التوبة وانصلاح الحال ..

وكان ما توقعت فعلا ..

ففى مستهل الجلسة الاولى التى حضرتها مكان زميلى .. عرضت على قضية «شروع فى سرقة» — أى أن المتهم لم يسرق فيها شيئا بعد ، ولكنه كان بسبيل ذلك . وكانت هذه القضية قد عرضت من قبل على زميلى السابق ، ولكن المتهم لم يكن حاضرا فى الجلسة اذ ذاك . فصدر عليه « حكم غيابى » بحبسه سنة مع الشغل ، كالمعتاد ..

وظلت جهة الادارة تسعى فى البحث عن هذا المتهم « الغائب » حتى عثرت عليه أخيرا . فلما شرعت فى تنفيذ الحكم الصادر بحبسه استعمل حقه القانونى بأن «عارض» فى التنفيذ . وطلب اعادة النظر فى قضيته ، حتى يسمع القاضى دفاعه على الاقل قبل أن يحكم بادانته

وتصادف أنى كنت أنا قاضى هذه المعارضة ..

فلما نوديت القضية ، وجهت التهمة الى المتهم .. فأنكرها . فتصفحت أوراق القضية على عجل . فوجدت فى محضر تحقيق البوليس ما خلاصته أن رجلا يشتغل بالحراسة الليلية فى « شونة »

كيف تنكر التهمة اليوم وقد اعترفت بها يوم ضبطك ؟

غلال بالمدينة، عاد الى منزله قبيل الفجر ذات يوم . وطرق باب الغرفة التى يسكنها هو وزوجه . وبعد برهة سمع صوت زوجه من داخل الغرفة وهى تستغيث . ثم رأى رجلا يفتح نافذة الغرفة ويثب منها الى الطريق العام محاولا الهرب . فتعقبه حتى رآه يدخل منزلا قريبا يتوارى فيه . فدخل عليه ، فاذا هو ممدد على فراشه يتظاهر بالنوم . فأيقظه وعاد به الى داره ، حيث اجتمع الخفراء والجيران . . فعرفته زوجه لاول وهلة، وقالت : انه هو «الغريب» الذى شاهدته يثب من النافذة عند ما استيقظت على طرق زوجها للباب . وقدمت لزوجها الملابس التى كان هذا الغريب قد أخرجها من « الدولاب » تمهيدا لسرقتها والهرب بها . فقام رجال الضبط بالقبض على المتهم، وساقوه الى المخفر . وهناك اعترف أمام الضابط بأنه هو الذى ارتكب الحادث فعلا .

فحوله الضابط الى «النيابة» ! ولكنى لاحظت أن النيابة لم تأمر بحبسه — على حسب المألوف فى مثل هذه الملابسات — بل قررت «اخلاء سبيله» فورا — وبغير ضمان — أيضا ! وكنت أعرف أن العمل جرى عند اخلاء سبيل المتهم فى سرقة أنه لا يخلى سبيله الا ان جاء بالضمان الشخصى ، أو — على الاقل — بالضمان المالى الذى تقدره النيابة فقلت فى نفسى وأنا أبتسم :

— سبحان الذى جمع كل هذا « التسامح » فى صورة وكيل للنيابة مع كل ذلك «التشدد» فى صورة قاض ثم ضم الاثنين فى مجلس واحد !

●

وبعد أن فرغت من تصفح التحقيقات، ألقيت نظرة سريعة أيضا على «حيثيات» الحكم الغيابى الذى قضى بحبس هذا اللص الفاشل سنة كاملة ، لانه لم يعرف كيف يهرب بصرة فيها ثوبان قبل أن يفتضح أمره ويجتمع عليه أهل الحى . فلم أجد شيئا جديدا يبرر شدة الحكم . اذ كان الحادث من حوادث السرقة الخفيفة غير ذات « الظروف المشددة» من «اكراه» أو «حمل سلاح» أو غير ذلك . كما أن المتهم لم تكن له « سوابق » تدعو الى تشديد العقوبة وأدركت أنها واحدة من آحاد زميلى الراحل . فقلت فى نفسى :

— سأقرأ له « الفاتحة » وأستغفر له ربى اذا فرغت من الجلسة !

ثم رفعت رأسى الى المتهم ، وسألته:

— كيف تنكر التهمة اليوم ، وقد اعترفت بها يوم ضبطك ؟

قال : «أنا لا أنكر التهمة . . ولكن عندى كلمتين أحب أن أقولهما لك على انفراد ! »

قلت : « ما ينبغى أن يكون بينى وبينك كلام على انفراد . . فقل ما تشاء هنا فى الجلسة ، لكى يثبته الكاتب فى محضره ان كان لديك ما ينفعك قوله »

قال : « هل كتب عندك وكيل النيابة ما قلته له وأنا فى غرفته ؟ »

قلت : «نعم ! لقد استجوبك، وأثبت أيضا اعترافك بدخول غرفة « المجنى عليه » وبضبطك بعد ذلك وأنت تتصنع النوم فى منزلك ! »

قال : « ألم يذكر غير ذلك ؟ »

قلت : « بلى ! »

قال : حسنا ! فأنا ما أزال ألح فى أن أقول لك ما عندى على انفراد ، كما فعلت مع «النائب» ، ثم احكم بعد ذلك بما تشاء

وكان فى حديث الرجل ما يشعر بأن لديه كلاما يستحق أن يقال على انفراد . فأخرت نظر قضيته الى ما بعد الفراغ من بقية قضايا ذلك اليوم «الميمون» الذى كنت أتوقع بركاته ونفحاته من قبل ! وانصرفت — صابرا ممتثلا — الى عملى حتى انتهيت منه . ثم قمت من مجلسى وآويت الى غرفتى . وهناك دعوت ذلك المتهم «المعارض» فجاءونى به . فأدخلته،

وأوقفت الجندى بالباب حتى يكون قريبا ممن يحتاج اليه منا ! ونظرت الى المتهم نظرة من يقول : ها أنذا أستمع اليك .. فماذا عندك من كلام ؟ ولكنه وقف فى مكانه صامتا مطرقا ، لا ينطق ولا ينبس ..

فقلت : « لعلك لم تشأ أن تذكر بالسوء أمام الناس صرامة الحكم الذى أصدره عليك زميلى السابق ؟ »

قال : « لا .. فانى أستحقه ! »

ففتحت عينى واسعتين أنظر بهما الى وجه هذا المجنون ، وقد بات يخامرنى الشك فى سلامة عقله .. وقلت فى نفسى :

ـ يعلم الله انى كنت دائما أعترض على أن يؤخذ الرجل بجريرة غيره ! وها أنذا لا أرانى الا مكفرا عن قسوة زميلى نحو هؤلاء المجرمين على يد هذا المجنون الذى أمامى، والذى عرف كيف يستدرجنى الى خلوة !

وعدت اليه ملاطفا أسأله فى وداعة ظاهرة عما يعنيه بقوله انه يستحق ذلك الحكم « الشديد » ! وقد حرصت على أن أصف الحكم الغيابى « بالشدة » عسى أن يفهم ذلك التعس أن الامل كبير فى تخفيفه ، وعسى أن يكون هذا بدوره عاملا على الاحتفاظ له بما بقى من سلامة أعصابه ..

ولكن الرجل نظر الى نظرة استعطاف وذلة وهو يعترف بخطئه ويقول :

ـ أنا غلطان ! وأستحق كل ساعة من ساعات السنة التى قضى على بأن أحبس فيها ! ولكننى لست سارقا ولا شارعا فى السرقة .. والامر لكم على كل حال !

وومض فى خاطرى ذلك الاعتذار الآثم الذى يوحى به ذلك الشرير . اذ يعترف بخطئه فى الوقت الذى ينفى فيه أنه دخل للسرقة ـ فوجدتنى أكاد أفقد أعصابى اشمئزازا من هذا الدفاع السمج الممقوت . ولم تكن هذه أول مرة أسمع فيها من مثل هذا اللص الحقير الذى يضبط متلبسا بجريمته أنه انما دخل بناء على دعوة خاصة من ربة الدار ـ وكنت فى كل مرة أظفر فيها بمثل هذا الآثم الميت الضمير الذى يأبى الا أن يضاعف من جرمه بسوء الاعتذار ـ كنت أراعى فى معاقبته أن يأخذ حظه كاملا . فأغلظ له العقوبة بقدر سوء اعتذاره .. ولم أنس فى هذه القضية بالذات أننا كنا فى صميم « الصعيد » . وأن العرض عند أهله يقوم بأضعاف قيمته . وأن كلمة واحدة فى هذا الصدد تتسرب من غرفتى الى أسماع الزوج ، قد تكون سببا فى قتل امرأة ، وهدم بيت، وفضيحة أسرة ..

●

فعاودت الرجل فيما يوشك أن يقول، وحذرته عاقبة السخف الذى يوشك أن يتورط فيه . فقال :

ـ أنا لا أريد شيئا كثيرا .. انما

أريد أن أوجه لصاحبة الدار سؤالين اثنين !

قلت : « ما هما ؟ »

قال : «أولا : هل كان الباب مقفلا من الداخل عند ما طرقه الزوج ؟ »

« ثانيا : هل كان الشباك مقفلا من الداخل أيضا قبل أن أخرج منه الى الطريق ؟ »

قلت : « ان جواب السؤالين ظاهر فى التحقيقات .. فالزوج يقول انه طرق الباب لتفتحه له زوجه، وهذا معناه أنه كان مقفلا من الداخل . والزوجة تقول انها عند ما استيقظت على طرق الباب رأتك وأنت تفتح الشباك من الداخل لتثب منه الى الطريق ، وهذا معناه أنه كان كذلك مقفلا من الداخل

قال : الحمد لله ! .. دلونى اذن من أين أكون قد دخلت اذا لم يكن الامر كما أقول ..

فوجمت !

واستمر الرجل فى كلامه ، فقال :

— لقد ذكرت «للنائب» هذا الذى أقوله الآن ، فأمر بالافراج عنى فورا وبدون ضمان .. ولكنى توسلت اليه ألا يثبت شيئا فى محضره مما قلت !

قلت وأنا شارد الذهن :

— نعم ! لقد فعل !

●

فى ذلك اليوم لم أشأ أن أنطق بحكمى فى تلك القضية . ولكنى أرجأت النطق به الى أجل سميته ..

ويخيل الى أن من حق القاضى أحيانا أن يشرك الناس معه فى بعض ما يحيره ولذلك فانى لا أقول اليوم أيضا كيف صدر الحكم فى تلك الدعوى . ولكنى أترك لكل قارىء أن يجلس ولو مرة مجلس القاضى وأن يصدر ولو مرة فى الحياة حكما واحدا

حسن جلال

شكوى أديب

كان مصطفى باشا العرب رئيسا لقسم الترجمة بالديوان الخديوى فى عهد المغفور له محمد توفيق باشا ، وكان صارما فى معاملته لمرؤوسيه .. فرفع أحدهم — وهو محمد عثمان جلال بك صاحب « العيون اليواقظ » — الى الخديو ، قصيدة يشكوه فيها ، ويلتمس نقله الى عمل آخر ... وكان مطلعها :

الجوع والفقر والافلاس والجرب
ولا يكون رئيسى مصطفى العرب

إنه صابون الحمام ..
نابلسي فاروق
من زيت الزيتون النقي ١٠٠٪
صناعة مصرية صميمة
ثمن القطعة ثمانية قروش

س. ت ٤٢٩٢

الفكاهة

الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ـ الأستاذ عباس محمود العقاد ـ محمد خطاب بك ـ الأستاذ نجيب الريحانى ـ الأستاذ بديع خيرى

ساهم فى هذه الندوة خمسة من أقطاب الأدب والفكاهة .. ولكى تنقل للقراء صورة صادقة لهذه الجلسة « الضاحكة » سجلت عدسة الهلال « قهقهات » المتحدثين وتعبيرات وجوههم وهم يتبادلون الدعابات ويروون أطرف ما سمعوا وقالوا من فكاهات

كان موعد انعقاد الندوة الساعة العاشرة والنصف .. وحضر المدعوون فى الموعد المحدد ، وظلوا يترقبون حضور الاستاذ عبد الحق أكثر من ربع ساعة. وعندئذ قال الاستاذ العقاد :

ـ أفضل أن نبدأ الحديث .. فلا بد أن زميلنا الاستاذ عبد الحق قد نسى الموعد

الاستاذ خطاب ـ أذكر أن الاستاذ عبد الحق دعانى مرة لتناول الغداء فى بيته، فلما ذهبت فى الموعد المضروب ، قيل لى انه سافر الى « برج العرب » منذ الصباح الباكر بقصد الاستجمام

الاستاذ العقاد ـ يظهر انه ذهب كى يحضر لك « حمام » من البرج !

الاستاذ الريحانى ـ والله عال .. بقى كده ، عبد الحق ما يقولش « الحق » .. القصد خلينا ندخل فى الموضوع ..

كيف تعلمنا الضحك ؟

الاستاذ العقاد ـ الانسان حيوان ضاحك .. فهو ينفرد بهذه الخاصة . وبالرغم من أن الطفل يولد وهو يبكى لدخول الهواء فى جوفه ، الا انه لا يضحك الا بعد أن يبلغ من العمر نحو أربعة أشهر، وذلك لأن الضحك يحتاج الى تدرب وتفكير . هذا طبعا فى الطفل العادى، أما الاستاذ الريحانى .. فلعله بدأ يضحك ولما يبلغ الاسبوعين من عمره

الاستاذ خطاب بك ـ بل يغلب أن يكون قد ضحك من الدنيا لأول ما رآها

الاستاذ الريحانى ـ أعتقد أن الانسان الذى يضحك كثيرا ، هو الذى بكى كثيرا

خطاب بك ـ تصديقا لقولك أذكر أنه مرت على فترة كنت لا أكف فيها عن الضحك ..

وذهبت الى أحد الاخصائيين فى التحليل النفسي ، فقام بتحليل نفسيتى تحليلادقيقا . والعجيب انه اكتشف ان مبعث افراطى فى الضحك ، يرجع الى حزن دفين أردت أن أكتمه وأخفيهعن أقاربى وأصدقائى ومخالطى . فلا ريب فى أن الضحك يكون أحيانا نتيجة أحزان كامنة فى أعماق النفس

الاستاذ العقاد ـ من الاقوال المأثورة لبيرون فى هذا الصدد : « اننى أضحك كى لا أبكى »

I laugh so that I may not weep

الاستاذ الريحانى ـ كلام حلو!

خطاب بك ـ وكما يقول الاستاذ العقاد ، الضحك وليد العقل والتجارب .. أما العبوس فيدل على الجهل وقصر النظر

الاستاذ الريحانى ـ أعتقد أن الضحك ينطوى على شىء من التشفى . فنحن اذا رأينا رجلا ـ دأب على الزهو بشجاعته ـ يجرى فى الطريق لأن كلبا « هوهو » عليه .. ضحكنا ، أما اذا رأينا طفلا مكانه او امرأة فاننا نعطف عليه

خطاب بك ـ يحب الانسان عادة ، أن يشعر بالسمو على الغير .. فاذا وقع شخص أمامنا ضحكنا عليه ، لاحساسنا بأنه أقل منا

الاستاذ بديع خيرى ـ نحن بالفطرة نضحك على عثرات الغير

الاستاذ الريحانى ـ هذه روح

الأستاذ الريحاني ـ الى اليمين ـ يقول لمحمد خطاب بك : « والله عال .. بقى كده عبد الحميد عبد الحق ، ما يقولش الحق ! »

« بطالة » متأصلة فى نفوسنا ، ينبغى استئصالها ..

الاستاذ العقاد ــ لا أرى أن الضحك دائما وليد التشفى .. فكما يقول « برجسون » اننا نضحك من الانسان اذا اشبه الآلة فى تصرفه ، أو لتصرف المرء تصرفا « أوتوماتيكيا » .. فهب انك طلبت من خادم مرة احضار كرسيين فى غرفة الطعام ، لأن المدعوين كانوا ثمانية وكراسى المائدة ستة فقط . وفى مرة أخرى دعوت أربعة أصدقاء .. فاذا بالخادم يحضر كرسيين اضافيين ، كما فعل فى المرة السالفة بغير تفكير فى عدد المدعوين .. فاننا نضحك لهذا الفعل

الاستاذ بديع خيرى ــ لعل هذا تفسير أفضل

خطاب بك ــ دنيانا مليئة بالارزاء والاحزان والآلام .. وكل امرىء عاقل يستخلص من تجاربه فى الحياة ان الاستسلام للأحزان يسمم بدنه ويذهب بصحته وحيويته . لذلك يسعى الى التغلب على أحزانه بالاستغراق فى النواحى المرحة من الحياة . ومن يتصفح تاريخ الشعب المصرى ير انه اجتاز فترات عصيبة ، ذاق فيها مرارة الذل والحرمان .. ولكنه مع ذلك ظل محتفظا بشخصيته المعنوية بفضل روح المرح الاصيلة فى نفسه

الاستاذ العقاد ــ ان ما يقوله خطاب بك صحيح .. فالفكاهة قد تتخذ أحيانا سلاح « بدل فاقد »

خطاب بك ــ لا .. ان سلاح الفكاهة ، سلاح دائم قوى

الاستاذ العقاد ــ فى قوة القنبلة الذرية ! ؟

خطاب بك ــ بل وخير منها .. فالقنبلة الذرية لا تفيد شيئا اذا فقدت الامة روحها المعنوية .. أما المرح فانه سلاح طبيعى يحفظ للأمة حيويتها

الاستاذ بديع خيرى ــ يتخذ الناس النكتة ابان فترات الاحتلال والاستعمار سلاحا للتشفى من المحتل ، وفى فترات السلم للتشفى من الغاصب المستبد

الاستاذ الريحانى ــ وعندى ان النكتة وليدة الضغط أيضا . وأطرف نكتة هى النكتة الطبيعية الخالية من التكلف . مرضت وأنا طفل فحضر جار لنا ليسأل عنى وقال لأمى :

ــ ألم يشرب « شربة » ؟

فقالت له أمى : « أيوه يا بنى . ولكن ما عملتش غير مجلس واحد .. وادى وش الضيف »

خطاب بك ــ ومما يدل على ان النكتة قد تهدف الى التشفى ، ما أثير ابان الحرب من حملات ضد أثرياء الحرب الذين اكتوى الفقراء بنارهم

الاستاذ بديع خيرى ــ تحضرنى بهذه المناسبة نكتة عن ثرى حرب أنجب مولودا فصار يعنى به اشد العناية ، وجاء له بخادم خاصة . وحدث يوما أن مرض الطفل وقال له الطبيب الذى فحصه انه مصاب ببرد شديد ، فثارثرى الحرب ، وقال للخادم :

— معلوم الواد يجى له برد..
ما دمت شايلاه طول النهار وماشيه حافيه

الاستاذ العقاد — وتحضرنى نكتة لخطاب بك يوم كان فى مجلس الشيوخ وفيه عضو معروف اسمه « زعزوع » ، وقد اعتاد أن يقاطعه ، فنظر اليه خطاب بك مرة ، وقال له :

— انت حا تسكت يا «زعزوع» ولا « أعضرك » !

خطاب بك — فى أول عهد الموظفين بارتداء البذلات الافرنجية ، سأل أحد المديرين عن الذين يفصلون هذه البذلات ، فقيل له « الترزية » ، ونسى الرجل هذه الكلمة ، فأمر حاجبه باحضار « التذكرجى » . فلما حضر من المحطة القريبة .. وطلب منه تفصيل بذلة ، قال الرجل :

— آسف يا سيدى البك .. لست ترزيا .. اننى تذكرجى

فنادى المدير الحاجب ، وقال له فى حدة ظاهرة وهو يحاول أن يبرر موقفه :

— انت مرفوت !

فدهش الحاجب لأنه لم يكن قد ارتكب ذنبا يعاقب عليه بالرفت ، وسأل المدير عن السبب ، فقال له :

— قلت لك أحضر لى التذكرجى ولكنك أحضرت لى الترزى !

لماذا نقبل على الفكاهة ؟

الاستاذ العقاد — لأن الفكاهة اختيارية ، بينما الجد تكليف . والانسان لا يحب عادة ما يكلف به

خطاب بك — و « الجد » أيضا لا جديد فيه .. فنحن نشاهده كل يوم .. بينما الفكاهة جديدة ، ولذلك فهى طريفة . حينما كنت عضوا بالشيوخ أردت مرة أن انتقد تصرفات الوزارة من غير أن أثير الاعضاء ضدى ، فعمدت الى الفكاهة .. قلت :

— سمعت أن موظفا أصيب بمرض مفاجىء فى قلبه .. فلما سألت عن السبب ، قيل لى انه قفز من الدرجة الثامنة الى الدرجة الاولى مرة واحدة . ولو انه سمح للجرائد بنشر ما نال الموظف من خير ، لاتضح ان هذا الموظف لم ينل سوى ست أو سبع علاوات ، فلا يكون ثمة مجال للاشاعات التى تروجها المعارضة ..

كنت أقول هذا وجميع الاعضاء يضجون بالضحك برغم ما فيه من نقد للوزارة . ان وضع الحقائق فى « برشامة » من الفكاهة يحقق هدف المتكلم ، بغير أن يثير المخاطب

الاستاذ الريحانى — سمعت أن اللجنة التى تألفت للاشراف على اليابان حارت فى طريقة معاملة الميكادو ، فاليابانيون يعتقدون انه ابن السماء وسليل الآلهة . فتقدم أحد الاعضاء باقتراح طريف لحل المشكلة ، قال :

— مادام جلالته ابن السماء .. فأحسن طريقة يروح يعيش مع أمه وخلاص !

الاستاذ العقاد — قد يكون

الضحك نوعا من الاشفاق على مصائب « موقوفة التنفيذ » فالمتفرج فى المسرح قد يضحك على مصيبة حلت بالممثل لأنه يعرف أن لا صحة لها .. ولو أنه شاهدها على مسرح الحياة الواقعية لبكى

خطاب بك ــ قرأت فى كتاب للعالم النفسانى « ادلر » انه بتر الذراع اليمنى لشابين بسبب حادث وقع لهما .. وبعد مدة رأى أحدهما فى ثياب رثة بالية .. فلما استفسر منه عن حاله ، أبدى له ما يعانيه من الهم والحزن بسبب الحادث الذى أعجزه عن الكسب . وحضر اليه الشاب الآخر بعد فترة من الزمن باسم الوجه يفيض محياه بالبشر وتبدو عليه السعادة ، كى يدعوه لحضور حفلة زفافه ، وقال له انه هانىء سعيد ، وقد تعلم الكتابة بيده اليسرى ، وغدا ذا منصب كبير . وذكر لادلر انه كثيرا ما كان يتساءل لماذا خلق الله للانسان ذراعين مع أن يدا واحدة فيها الكفاية .. وأنه استخلص بعد التفكير أن اليد الاخرى لا بد أن تكون قد خلقت احتياطيا « ستيبن » ان المرح يجدد شخصية المرء ، ويجعل منه مخلوقا فتيا جديدا

الاستاذ العقاد ــ هذا مظهر من مظاهر قوة النفس .. ولو أننا تصفحنا تاريخ العظماء ، ما وجدنا واحدا منهم يخلو من روح الفكاهة . وهذا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، كان يمزح ولا يقول الا حقا . قيل أن امرأة عجوزا سألته عن مصيرها ، فقال لها مازحا :

ــ لا تدخل الجنة عجوز

فلما بكت المرأة قال لها :

ــ ولكن شبابك سوف يعود اليك بعد البعث

خطاب بك ــ روى لى صديق ان أحد أثرياء الحرب اشترى راديو من الحجم الصغير .. وفى اليوم التالى أعاده الى صاحبه ، فلما سأله التاجر عن سر اعادته قال : « دا يا عم راديو صغير بيقول : «بسم الله اللحمن اللحيم» أثناء تلاوة القرآن

الاستاذ الريحانى ــ كان « مسطولان » صاعدين الى شقتهما فى منتصف الليل .. فاصطدم الاول بصفيحة قمامة موضوعة عند باب احدى الشقق ، فأحدث ضجة كبيرة فزع لها

الريحانى يضحك لاحدى دعابات العقاد

صاحب الشقة، وقال بصوت عال:
— من بالباب ؟
فماء المسطول كالقط، قائلا :
« ناو ناو ناو »
وبعد برهة اصطدم الرجل الثانى فى الصفيحة، فأحدث صوتا مشابها، فكرر صاحب الشقة السؤال : « من بالباب؟ »
وهنا قال المسطول : « ما قلنالك ... ناو ناو »

الفكاهة فى المسرح

الاستاذ العقاد — لا ريب فى أن لبعض التمثيليات الفكاهية أثرا كبيرا فى نفسية الجماهير. وقد أحدثت بعضها انقلابات فى حياة الامم كروايات « دون كيشوت » لسرفانتس، وروايات « الديكامرون » لبوكاشيو

الاستاذ الريحانى — المسرح

بديع خيرى يتحدث بحماس عن التمثيل الهزلى

الفكاهى أحب الى الجماهير من المسرح الجدى .. وان كانا يهدفان الى غاية واحدة. ولا ننسى ما كان لمسرحيات موليير — التى اقتبست عنها كثير من الكوميديات العالمية — من أثر فى نفوس الناس
والجمهور يحترم الممثل الهزلى أكثر من الممثل الجاد

الاستاذ بديع خيرى — ان الجمهور يحترم الممثل الفكاهى، لأنه يحس أنه واحد منهم .. ينزل الى مستواهم، ويبسط لهم المغزى بطريقة تستسيغها نفوسهم. أما الممثل الجدى، فانه يضع نفسه فى مستوى أعلى من مستوى الجماهير

خطاب بك — والمشاهد الهزلية تبقى عالقة فى ذهن المتفرج أكثر من المشاهد الجدية. كما أن جمهور المترددين على التمثيليات الفكاهية أكثر من المترددين على التمثيليات ذات الطابع الفلسفى الجدى

الاستاذ العقاد — الرواية الفكاهية لاتلغى الرواية الجدية.. ولكنها تؤثر فى نفسية المتفرج من غير أن يدرى. وأنا لا أشهد روايات الاستاذ الريحانى على انها تسلية. وانما كدراسة تنطوى على جوانب اجتماعية وفلسفية متعددة. وأنا أحرص دائما على ألا تفوتنى احدى رواياته

خطاب بك — وأنا أعتبر روايات الريحانى دروسا أذاكرها لأولادى وأمتحنهم فيها

الاستاذ الريحانى — هذا تقدير كبير أعتز به

عبد الحميد عبد الحق — الى اليمين — يروى آخر نكتة . وقد « استلطفها » العقاد . . فاستغرق فى نوبة من الضحك !

وهنا حضر الاستاذ عبد الحق، فقال له الحاضرون : «لماذا تأخرت يا عبد الحق بك ؟ »

فأجاب فى لهجته الصعيدية المحبوبة :

— وهو أنا « جطر » سكه حديد . . لازم آجى فى المواعيد؟ !

أطرف نكتة

وانتقل الحديث الى أطرف ما سمعه المتسامرون من دعابات :

الاستاذ عبد الحق — كنت اترافع يوم السبت الماضى فى قضية للعمال ضد احدى الشركات الاجنبية فى رأس غارب . . فسألت مندوب الشركة وكان يدعى « سيرايت » Seeright عن سبب تفضيله للعمال الاجانب ، فقال لأنهم ذوو مؤهلات . وبدا لى أن أطلب منه ما يثبت صحة كلامه ، فظهر انه مغال فى ادعائه . وحينئذ قلت للقاضى :

— يظهر انه « سيرونج » Seewrong وليس سيرايت . وكلمة « رايت » فى الانجليزية تعنى صحيح ، بينما كلمة « رونج » تعنى خطأ

الاستاذ العقاد — ولهذه المناسبة أذكر من نكت المحاكم أن أحد الموظفين المحالين الى المعاش، رفع قضية على الحكومة يطلب تعديل معاشه بين اللائحة القديمة واللائحة الجديدة ، وكان محاميه

ساويرس بك ميخائيل فسأله القاضي : « تحب نعاملك بالقديمة والا بالجديدة ؟ »

فأجابه على الفور: «باللى تطلع فى دماغكم ! »

الاستاذ عبد الحق ـ سألنى مرة ابنى الصغير: « مين بيسخن الشمس يا بابا ؟ »

فقلت له : « الملائكة يا بنى »

فقال الولد : « لازم الملائكة عندهم كوبونات جازكتير قوى .. علشان كده الشمس مش بتبرد أبدا ! »

خطاب بك ـ شغلت ـ فى أول عهدى بالوظائف الحكومية ـ منصب سكرتير خاص لرشدى باشا . ودخلت عليه فى مكتبه للمرة الاولى بمجموعة من « الدوسيهات » والاوراق ، كى أعرضها عليه . وكان من بينها بطاقة من جمعية الرفق بالحيوان ـ وكان قد تبرع لها بعشرة جنيهات ـ كتب عليها «وتشكرات المدير» . فقال لى رشدى باشا بعد أن دقق النظر فى هذه العبارة :

ـ كلمة تشكرات هنا معطوفة على ايه ؟ !

فقلت له على الفور : «معطوفة على الجنيهات العشرة التى تبرعت بها للجمعية ! »

فقال فى ابتسام : « ولكننى قرأت « ألفية ابن مالك » من أولها لآخرها فلم أر حالة عطف مشابهة »

قلت له : « لازم تكون دولتك قرات طبعة قديمة من الالفية »

الاستاذ العقاد ـ كان حقك قلت له : انها واو بغير عطف ـ على أجرومية مبيض النحاس الذى يخرج من بيته وهو ينادى : «وابيض النحاس وابيض النحاس!»

الاستاذ عبد الحق ـ رشحت نفسى مرة عن دائرة أبى قرقاص، واضطررت أن أزور بلدة فى الدائرة بقصد الدعاية الانتخابية .. لم يكن قد سبقت لى زيارتها ، ولم يعرفنى أهلها الا بالاسم .. فوجدت ان معالم أهلها من ذوى الحجم « الممتاز » .. طول وعرض .. وكان وزنى فى ذلك الحين ٥٢ كيلو، وطولى كما تعرفون حوالى المتر ، وأحسست اننى لو كشفت لهم عن حقيقتى لتزعزعت ثقتهم بى. لذلك قلت لهم : « من تنتخبون ؟ »

قالوا : « عبدالحميد بك راجل طيب ، بس احنا واخدين على خاطر نامنه لأنه مابيزورناش أبدا »

فقلت : « أنا ابنه .. وقد أرسلنى اليكم كى أبلغكم اعتذاره لعجزه عن الحضور شخصيا لمشاغله الكثيرة ! »

فقالوا : « فيك البركة يا بنى احنا عارفين ايه اللى عند عبد الحميد بك »

وهكذا مرت الزيارة بسلام .. ونجحت فى الانتخابات . ولكننى عرفتهم بنفسى بعد ذلك

الاستاذ الريحانى ـ والخلاصة ان الضحك لازم كالاكل والشرب

الاستاذ العقاد ـ ولذلك سننصرف فى موعد الغداء .. ونحن شبعانون مبسوطون

رأيي فى القصة العربية

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل باشا

تطورت القصة فى الادب العربى بما يجعلها تمثل عصوره المختلفة الى عصرنا الحاضر . واذا كانت لدينا بعض قصص تمثل تفكير عصر من العصور ، كما تمثل قصة « حى بن يقظان » التفكير الدينى الحر فى عصر كاتبها ابن الطفيل ، فان ما يزهى به الادب العربى بعد ذلك من قصص فيه من الخرافة الشيء الكثير . وهي لا ريب خرافة قوية لا تقل روعة وانفساح خيال عن أساطير الميثولوجيا المصرية واليونانية القديمة ، لكنها مع ذلك تمثل حالا نفسية لعصور لا غلو فى تسميتها عصور التدهور . فكتاب « ألف ليلة وليلة » الذي جمع القصص الرائعة ، والذى لا يزال يعتبر عند الامم مصدرا من مصادر الادب القومى ، لا يخلو فى كثير من أجزائه من الخرافة التى كانت سائدة فى العصور التى كتب فيها

والقصص العربى يحاول الآن استعادة حياته . على أن الأقاصيص الصغيرة التى تظهر من حين الى حين ، والقصص التى ظهرت ، لا يعتبر أكثرها بعثا لهذا النوع من الادب — ذلك أن القصة أيا كانت الحوادث التى ترويها انما تدل على فكرة ، وتتصل بمثل أعلى فى نفس الكاتب . لتكن هذه الفكرة تافهة ، وليكن المثل الأعلى متهافتا ، فهما على كل حال يترجمان عن غرض يتطلع صاحب القصة اليه . بل ان القصص التى تكتب للتسلية فقط ، والتسلية العامة لا الخاصة ، كالقصص البوليسية ونحوها — لا يمكن أن تخلو من التعبير عن فكرة فى نفس كاتبها . وأما القصص التى تسمو فوق هذا المستوى والتى تعتبر بحق أدبا وفنا ، فالفكرة والمثل الاعلى يتكرران خلالها واضحين فى صور مختلفة وألوان شتى

واذا كان التقليد فى أغلب الاحيان هو مقدمة البعث ، وكان تقليد الادب اليونانى والرومانى فى مقدمة البعث الاوربى فى القرن السادس عشر ، فان البعث الصحيح هو الذى يقوم على فكرة ، ويلهم مثلا أعلى . والتأليف القصصى القائم على غير هذا الاساس يستوحى التقليد ويصعب لذلك أن يسمى بعثا . وانما يكون البعث يوم تستقل القصة بنفسها ، وتستمد كل مقومات حياتها من البيئة المحيطة بالكاتب ومن القومية والوراثة التى يخضع الكاتب لأثرهما

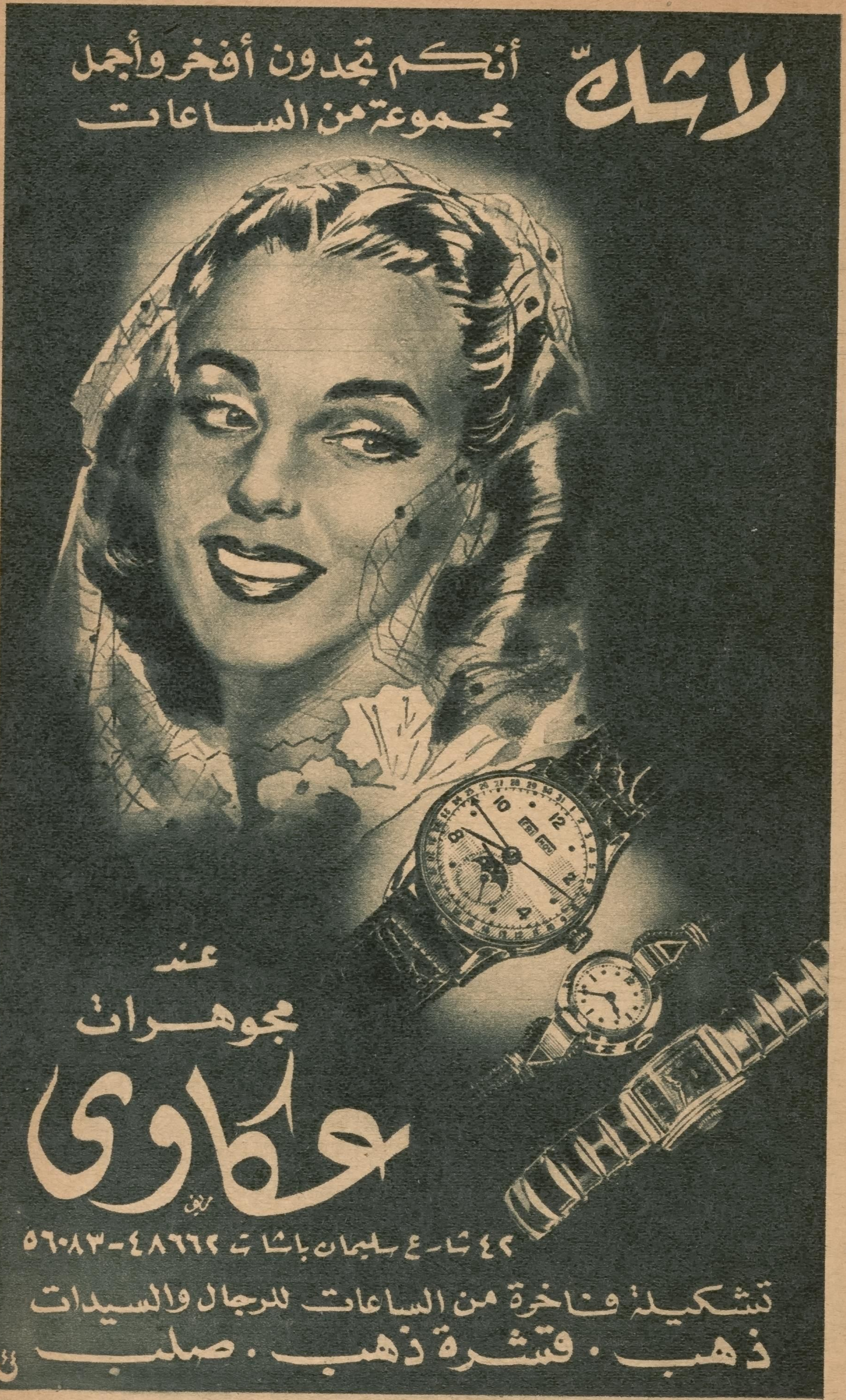
لاشك
أنكم تجدون أفخر وأجمل
مجموعة من الساعات
عند
مجوهرات
عكاوى
٤٢ شارع سليمان باشا ت ٤٨٦٦٢-٥٦٠٨٣
تشكيلة فاخرة من الساعات للرجال والسيدات
ذهب . قشرة ذهب . صلب

س.ت ٣٨٨٥

2251
1
Dec

من القصص الصينى

حجر يسرق

يحكى أن قاضيا صينيا ـ عرف بالحكمة والنزاهة ـ كان مارا ذات يوم فى احدى الطرقات، ومعه بعض أعوانه .. فرأى صبيا يبكى ويولول، فسأله : « لماذا تبكى يا بنى ؟ » فروى الصبى للقاضى قصته، قال انه ابن أرملة فقيرة، دأبت أمه أن تحمله كل صباح سلة مملوءة فطيرا كى يبيعها فى السوق .

وفى ذلك اليوم، باع الصبى كل ما فى سلته ولم يتبق منه سوى فطيرة واحدة فوضع ما جمعه من دريهمات داخل الفطيرة ، ثم ترك السلة بما فيها على حجر فى جانب الطريق ريثما يقضى حاجة . فلما عاد ليأخذ السلة، اكتشف أن نقوده سرقت، فقال القاضى للولد:

« هل هذا هو الحجر الذى وضعت عليه السلة؟» فأجاب : «نعم يا سيدى» فقال القاضى لاعوانه : « اقبضوا على هذا الحجر واحملوه الى ساحة المحكمة» ثم قال للولد : « لا تنس أن تحضر صباح غد لمحكمة القرية ، فسأسترجع لك نقودك» وشكره الولد وانصرف ..

وفى الصباح التالى احتشدت المحكمة بعدد غفير من أهالى القرية ، جاءوا ليشاهدوا « محاكمة » الحجر

ولما انعقدت هيئة المحكمة ، وسمعت القصة من الصبى ، قال رئيس المحكمة وهو يشير الى الحجر : «حكمت المحكمة بجلد هذا الحجر خمسين جلدة » . ثم أشار الى الجنود الواقفين فى ساحة المحكمة وقال : « هيا ، اجلدوا الحجر» وضج الحاضرون بالضحك ، عند ما سمعوا هذا الحكم الغريب . فهب القاضى من مكانه غاضبا ، وقال للحاضرين : «ان ضحككم اهانة لهيئة المحكمة، وقد حكمنا على كل منكم بغرامة قدرها درهم .. يلقى فى جرة سوف توضع عند الباب» . وأحضر الخادم ـ كما أمره القاضى ـ جرة مملوءة بالماء ، ووضعها عند الباب .. وأخذ الحاضرون يخرجون الواحد بعد الآخر ، بعد أن يضع كل الغرامة المقررة فى الجرة التى جلس الى جوارها القاضى ، وهو يحدق فى الخارجين واحدا واحدا

وألقى رجل درهما، فأمسك القاضى بتلابيبه ، وقال للحراس : « اقبضوا على هذا الرجل .. انه السارق »

هل تدرى كيف عرف القاضى انه اللص؟ .. انظر الجواب صفحة (١٦٠)

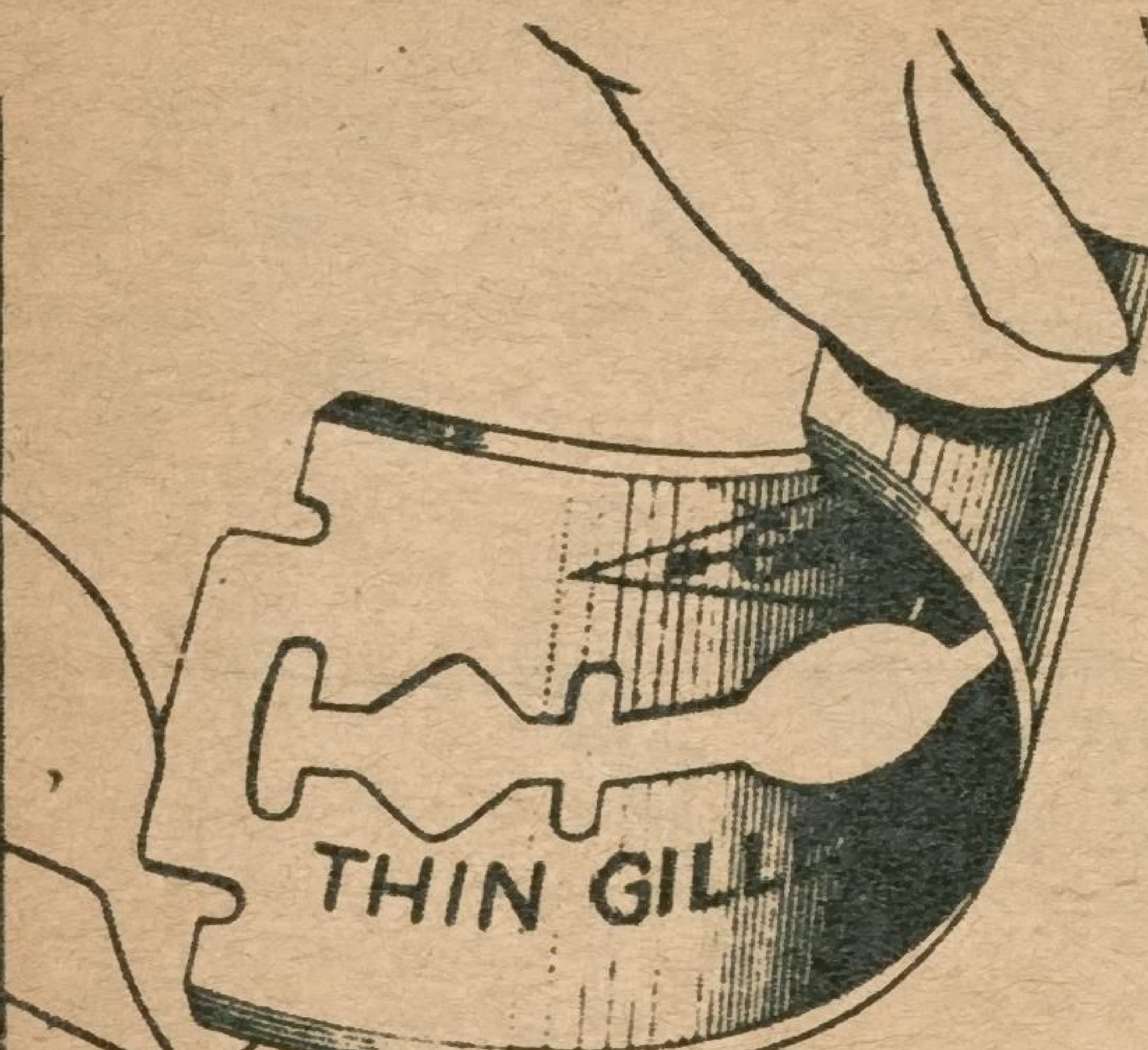

شفرات جيليت الرفيعة

صنعت لحماية الجلد الرقيق

ها هي حلاقة اسرع وأنظف وأنعم للجلد الرقيق.!
وشفرة جيليت فاخرة بثمن فى متناول الجميع .
أن شفرات جيليت الرفيعة المذهبة بلغت بالحلاقة
مستوى جديداً فى الراحة والاقتصاد .

للحلاقة المثلى إعتمد على جيليت

لطلبات الجملة والقطاعى : المخابرة مع ج . ب . شريدان ص . ب . ١٧٦٤ بالقاهرة

س . ت ٧٨٦١

2251
1
Dec

قصة عربية

بقلم الأديب وهبى اسماعيل حقى

هى حادثة حب وقعت فى قصر الخليفة معاوية، بطلها ولى عهده «يزيد»، أحب فتاة عربية وأغرم بها، واحتال والده فى لتحقيق أحلامه، ولكن المحاولة فشلت فى النهاية. وقد لعبت المرأة فى هذه القصة دوراً عجيباً

•

كانت الشمس قد توارت بالحجاب، واصطبغ الافق بحمرة خفيفة، ولاحت النجوم فى صفحة السماء باهتة الضوء تؤذن أن القمر فى الطريق وراءها. وأخذت الحركة تخفت فى دمشق الصاخبة، وراح الناس يغلقون

فى قصر معاوية !

متاجرهم ، ويهرعون الى المسجد ليشهدوا مع الامام صلاة العشاء

وتناثرت الانوار من نوافذ القصور وشرفاتها .. فخلعت على المدينة شيئا من الجمال ، يطرب له من أغرم بفن الرومان فى هندسة العمارة والبناء

وكان قصر الخضراء أوفر القصور فى دمشق بهاء ورواء .. ترامت أطرافه واتسعت رحباته ، وتعددت نوافذه وأبوابه، وتلألأت فيه الانوار . وخلع عليه معاوية بن أبى سفيان كثيرا من الأبهة والجلال .. فقد جعل منه مستقرا ومقاما يتوافد عليه المسلمون من مختلف الامصار ، وفيه كان يعقد لحكام الولايات ، ومنه تخرج الالوية . وكان ابن أبى سفيان قد تشبه بملوك الشام

من الرومان فى الفخفخة وأسلوب الحكم

والى جوار الخضراء ، قام قصريزيد ابن معاوية . ولم يكن قد مضى وقت طويل على انتزاع البيعة له ، والناس ما زالوا من أمره وأمر أبيه فىارتباك وحيرة ، فقد تنكبا طريق الخلفاء الراشدين ، وسلكا طريقا آخر لمتكن قد عرفته تقاليد الاسلام بعد . ولكن معاوية استطاع بسعة حيلته ، وحسن سياسته أن يقطع ألسنة المعاندين

وكانت أبواب يزيد تفتح كل ليلة للندمان والغزليين من الشعراء .. يتساقون الخمر ، ويتشببون بالجمال حتى يشيب غراب الليل — فىغيروقار ولا احتشام

ولكن قصر يزيد يلفه الليلةسكون القبور .. فلا حس ولا حركة ، اللهم الا نباح كلب من كلابالصيد ينبعث من بين حين وآخر ، فيبدد السكون،ويعيد للقصر شيئا من مظاهر الحياة

وهال رقيق — خادم معاوية الخاص — حين دلف الى قصر يزيد ، بعد انصرافه من قصر الخضراء الذى عج بالوافدين ، أن يرى القصر غارقا فى الظلمة ، تشيع فى جنباته الوحشة ، ولم يسبق له وقد طال به المدى فى خدمتهم — أن أحس ما أحسه الليلة من الضيق عند ما شهد القصر فىهذا الوجوم

عمد الى ايوان سيده وابن سيده ، يزيد .. فطالعه فيه ضوء شاحب ، ورأى يزيد فى أحد الاركان مطرقا فى منظر يثير القلق،ويدعو الى التساؤل فأيقنأن أمرا من الامور الجسيمة صرفه عن التفكير فى مجلس اللهو الذى تعود أن يعقده كل ليلة

ولكن أى أمر هذا الذى حال بين يزيد وبين تلك البشاشة التى ترتسم دائما على محياه ؟..

تردد رقيق طويلا وهو أمام سيده كالتمثال، وتعثرت الكلمات فى حلقه، ولكنه استطاع بعد محاولات كثيرة أن ينطق بهذه العبارة :

— أطال الله بقاء سيدى .. ليس لمن واتته الدنيا بمثل هذا الجاه، وهذه الثروة العريضة ، أن يعبس للحياة ، ولا أن ينزوى فى أحد الاركان ، ان الدنيا بين أصبعين من أصابع أبيك ، فليس ثمة ما يعز عليك مناله ، فتبيت منه على هم هاجع

وما زال رقيق به حتى حمله على بث شكاته ، واستمع اليه يقول :

— حقا يا رقيق ، ان أمير المؤمنين قبض على الدنيا برجيح عقله ، وسديد رأيه ، وليس هناك ما يتأبى عليه اذا هو أراد،ولكنى أحس أن أمورالدولة شغلته عنى فأغفل شأنى ، وأهمل أمرى..وها أنذا يثقلنى الهم، ويعتلج فى قلبى الأسى على مسمع منه ومرأى ولست له على بال

ثم زفر زفرة أعلنت عنمكنونسره،

ودخيلة فؤاده، وواصل حديثه يقول :

ـ كنت أرجو يا رقيق أن يسعفنى بالدواء قبل أن تستفحل العلة ، ويعز الشفاء ... انه الحب يا رقيق ، ملك قلبى ، وقيدنى بقيود لا أستطيع لها فكاكا ... أرينب بنت اسحق خلبت لبى بجمالها الندى ، ولطمت كبريائى ثم أشاحت عنى فى عزة واباء ..

وسكت يزيد وتحدثت عبراته بما كان يريد أن يتحدث .. وأراد رقيق أن يخفف عن سيده يزيد ، فقال :

ـ فداك أبى وأمى ، وأنى لأمير المؤمنين أن يعلم من أمرك الا أنك مثلوج الصدر ، قرير العين . فقد حمل الناس على مبايعتك ، ومهد لك طريق الحكم من بعده ، وان شئت يا سيدى أن تلمس مدى حرصه على اسعادك، فائذن لى أن أحدثه فى شأنك هذا ، ثم أعود اليك بطيب البشرى

فقال يزيد بلهجة المتلهف :

ـ أذنت .. أذنت يا رقيق، فليس فى الصبر على تلك الحال سوى المرض .. ولست بزاهد فى الهناء

فحياه رقيق وانصرف . ولكن يزيد اعتراه كثير من الندم على ما فرط منه وآلمه أن يضعف أمام خادمه فيبوح له بسره

وأسرع رقيق الى قصر الخضراء فهيأ للخليفة قهوة من بن اليمن، وهو يعلم شغف معاوية بها فى مثل ذلك الوقت من الليل، ودخل بها حين خلا الايوان الا من الخليفة . وكان لرقيق من الدالة على معاوية ما يجرئه على التحدث اليه فى أى حديث شاء ..

قال معاوية يداعب رقيق حين رأى ابريق القهوة بين يديه :

ـ ثكلتك أمك ، كيف عرفت أنى أشتهى القهوة الآن ..؟ لعلك يارقيق تقرأ الغيب ..

فأنس الخادم لهذه المداعبة، وقال:

ـ أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، وثبت دعائم ملكه ، وسخر الدنيا فى خدمته ، ومكننا من القيام بواجب طاعته ...

فقاطعه معاوية ـ وكان ذا فراسة نافذة ـ بقوله :

ـ ولكنى أقرأ فى عينيك جديدا من الامور ، فبماذا أتيت يا ابن اللخناء ؟

فضحك رقيق وقال :

ـ انك يا أمير المؤمنين الدوحة الظليلة ، والشجرة الفرعاء ، ويزيد منك انسان العين ، وفلذة الكبد ، أسبغت عليه حبك ، وغمرته بعظيم فضلك ، ولكنى برحته الساعة مهموما يشتعل الاسى فى فؤاده .. لانك اشتغلت عنه، وأهملت أمره منذ أخذت له البيعة

وتجهمت أسارير الخليفة لتلك الكلمات ، وقال :

ـ وهل تتحدث الآن بلسان يزيد؟

فقص رقيق ما سمعه من يزيد .. فسكت معاوية برهة .. ثم قال :

ـ الى به الآن ! لن أراك يا رقيق الا ويزيد معك ..

وكانت عادة معاوية أن يدعوه اليه فى أى وقت من الليل كلما جد من أمور الدولة ما يستعصى حله مع كبار القوم ، ورجالات السياسة . وكان ليزيد الرأى الصائب والفكر النير ، لما اتصف به من الذكاء ، ونضج العقل وسلامة الحكم على الامور

فلما دعاه رقيق بتلك العجلة ظن أن شيئا هاما قد حدث .. فلما مثل بين يدى الخليفة بادره أبوه :

ـ وماذا أهملنا من شأنك يا يزيد !؟ ما أخالنى الا أسرفت فى تهيئة السعادة لك ، ولقد كنت واهما حين اعتقدت أن قلبك يجيش بالسرور والغبطة ، وأن نفسك تفيض بالشكر ، فقد مهدت لك الطريق الى المجد ، وطوقت عنق أصحاب النبى ، ورؤوس العرب بمبايعتك ، وأخذت عليهم المواثيق بطاعتك ، مع أحقيتهم بالأمر دونك ، فماذا تبتغى يا بنى فوق ذلك من رعاية ؟ .. فهل بعد كل هذا تشعر بانصرافى عنك ، واهمالى لشأنك !؟

فخجل يزيد ... وهم أن يتكلم فخانه لسانه ، وأخيرا نطق فى صوت أقرب الى الهمس ، فقال :

ـ والله يا أمير المؤمنين ما كفرت بنعمتك ، ولا نسيت جميل فضلك .. ولكنه اليأس من تحقيق أمنيتى دون أن تمدنى بمعونتك ، حملنى أن أقول ما بلغك آنفا من رقيق ، ولن أنكر يا أمير المؤمنين ـ عز سلطانك ـ أنك غمرتنى بموفور النعمة ، حين أخذت لى البيعة ، ولكنى كنت آمل أن تتم على نعمتك فتجمع بين أرينب بنت اسحاق وبينى ، وقد حدثتك عن رغبتى فيها لانى بهرت بروعة جمالها ، وكريم خلالها

فقال معاوية :

ـ وليس لدى أبيك ما يحول دون الجمع بينكما لتتم عليك النعمة ، ولا تحدثك نفسك أنه أهمل أمرك

فقال يزيد فى حرقة ولوعة :

ـ وأنى ذلك يا أمير المؤمنين وقد حيل بيننا !.. انها زفت الى واليك بالعراق عبد الله بن سلام من أبناء عمومتها ، وهو بها قرير العين ، ناعم البال

فقال معاوية :

ـ أو ليس فى نساء العرب من تملأ مكان أرينب من قلبك ؟ ان فى أحياء العرب من تخجل من طلعتها الشمس . ولن تعدم طلبتك . فهذه دولة مترامية الاطراف مليئة بربات الحسن والجمال ، فاختر لنفسك من تشاء ولا تقف عند واحدة

ـ وكيف السلوى يا أمير المؤمنين ؟! لقد ضل بى الطريق اليها .. ان أرينب ملكت على جميع جوارحى ، فلست ارى الا طيفها ، ولا أسمع الا صوتها ، ولا أحس بغير وجودها ، انها السمع والبصر

والفؤاد .. ثم اختنق بالبكاء . فقال أبوه وقد تأثر بحديثه :

ــ هدىء من روعك يا يزيد، وتجمل بالصبر ، فعما قريب سيأتى الفرج ..

ــ وكيف الصبر يا أمير المؤمنين! واللهفة تحز فى قلبى ، والأسى يلتهب فى صدرى ، فان خيط الامل فيها قد انقطع

ــ انك من أولى النهى يا يزيد .. فلا تجعل لليأس الى قلبك سبيلا ، ولا تقطع الامل

ــ وهل للنهى مع الحب سلطان !؟ وأى أمل لى فيها بعد زواجها !؟

ــ لست أدرى يا بنى أى شاغل ذاك الذى شغلنى عن العقد لك عليها حين حدثتنى عنها !؟ ما كنت أقدر تلك العواقب .. استمع لأبيك يا يزيد : « لا تستسلم لخواطرك ، ولا تتحدث الى غيرى بما تكنه فى نفسك ودع لى معالجة الامر وحدى، وسأبذل كل ما فى وسعى لأصل الى ما تشتهى نفسك .. »

فانحنى يزيد وقبل راحتى والده مرات عديدة ، وقال :

ــ أطال الله عمرك يا أمير المؤمنين، فقد انتعش فى نفسى الأمل ، وقوى الرجاء ، فانك ما اتجهت الى شىء الا حولته الى ما تريد ، وما كنت أبغى أكثر من أن تتولى الامر بنفسك لأضمن له النجاح .. فابتسم معاوية وبادل ابنه تحية الوداع .. وخرج يزيد سعيدا هانئا ، ونام فى تلك الليلة نوما هادئا تخللته أحلام لذيذة لم يهنأ بمثلها مذ خفق قلبه لابنة اسحق

●

كانت أرينب بنت اسحاق رائعة الجمال ، ليس فى العالم العربى أبهى منها ولا أسنى ، فتنت الدنيا وحامت حولها الابصار معجبة ، ووقفت ببابها الوفود خاطبة متوددة ..

وحظى بها عبد الله بن سلام من أبناء عمها ووالى معاوية على الكوفة .. بهره الحسن المبسوط الروعة، العابق الطيب، فطلب يدها من أبيها فأجاب طلبته ، وزفها اليه زهرة من الياسمين على عود من الند ، فملأت دنياه بهجة وبهاء

وكان لابن سلام لدى معاوية المنزلة التى يحسد عليها .. فهو عنده موضع تقدير وكرامة ، اذ مهد لسلطانه فى العراق، معين الثورة ، ووكر الفتنة . وكان معاوية يثنى على حزمه وحسن سياسته .. فلما علم من يزيد أن أرينب زفت اليه، لم يجد بدا من اللجوء الى الحيلة .. فأرسل الى ابن سلام من يستصحبه الى دمشق ، مقر الخلافة ، وحاضرة الاسلام

وارتاع والى العراق للنبأ ، وأطلع زوجه على دعوة الخليفة .. ولم يخف عنها ما اختلج به قلبه من الخوف . وقالت له أرينب :

ــ تستطيع أن تعتذر لأمير المؤمنين عن التلبية، انى أتوجس خيفة من هذه السفرة العاجلة .. لست شديدة الثقة

فى ساكنى الخضراء .. ان اشاعات السوء يهمس بها الناس فى كل ناد .. انى أحس يا عبد الله نوازى الشر فى هذا الطلب .. انك لست ندا لمعاوية، انه يجرعك السم وأنت تخاله يغدق عليك النعمة . ان همه أن يصل الى ما يريد ولو على أشلاء الآخرين .. لا تقوض ركن سعادتنا يا ابن عمى . ولا تهدم بيدك هذا العش الوادع .. لا تركن الى ابن هند .. لست استبين فى هذه الرحلة شيئا من الخير

فاعتدل ابن سلام ، ورفع رأسه بعد اطراق .. وشاء الكلام فأعياه النطق . لقد كان يعلم أن ما حدثته به زوجته ينطوى على كثير من الحق ، ولكن معاوية ولى الأمر ، وليس ابن سلام ممن يعصى أولى الامر – وأخيرا استطاع أن يقول فى صوت متقطع

– ليس لى بد من اجابة أمير المؤمنين يا أرينب .. فما مثلى من يخرج من طاعة ، ولا من يقعد عن تلبية .. انى من عماله ، أتوجه حيث يوجهنى، وقد يكون لنا من وراء ذلك مغنم

فقالت بنت اسحاق :

– وماذا نبغى من دنيانا فوق ما نحن عليه يا ابن العم .. حسبنا أن نفى هذه النعمة ما تستوجب من شكر .. لست براضية عن الشخوص الى دمشق

ولكنها حين رأت منه العزم الصادق أمسكت عن الكلام .. ولم تستطع أن تمسك دمعها المنهمر، ولا تخفى لوعتها المحرقة ..

وبرح عبد الله الكوفة الى دمشق ، يستحث المطى ، ليلحق بأمير المؤمنين قبل أن يستبطىء تلبيته .. وفى الطريق انثالت على قلبه الخواطر ، وتتابعت التخيلات . انه ما تهاون فى أمر معاوية .. مهد لسلطانه فى العراق ، وقتل الفتنة قبل أن تستفحل ، وملأ القلوب خشية لبنى أمية ، ومكن لهم فى السواد، فلأى مهمة استعجل الامير شخوصه الى الشام ؟ .. لعل ابن أبى سفيان شكر لى ذلك ، ورأى أن يجزل لى المكافأة .. ورجح ابن سلام هذا الرأى الاخير،لانه لم يرتكب ما يوجب عتابا أو عقابا

●

وبلغت الحفاوة بأمير العراق فى دمشق ما جعل الناس تتنبأ له بالمنزلة الرحيبة فى الدولة الناشئة ... أنزله أمير المؤمنين منزلة الاعزاز والمودة ، وهيأ له قصر الضيافة ، على ساحل بردى ، قريبا من الخضراء ، وجمع له من ألوان المتع،وضروب النعيم ما حمله على الاعتقاد أنه يوفيه حق الاخلاص ، ويجزيه بالحسنة أحسن منها ، وداخله أن أرينب أخطأت حين توجست من الرحلة ، وتحدثت بالسوء عن معاوية

وانقضى يومان من وصول ابن سلام الى دمشق .. وفى ضحى اليوم الثالث هبط اليها شيخان جليلان نعما بصحبة

2251

النبى صلى الله عليه وسلم والاخذ عنه زمنا ليس باليسير، فتلألأ فى محياهما الوقار والجلال ، ومنذا يستطيع أن ينكر فى «ابى هريرة» و«أبى الدرداء» الورع والتقوى ؟ ..

ورأى الشيخان أن يزورا الخضراء للتسليم على الخليفة .. فقابلهما معاوية فى صدر الايوان ، وعانقهما عناق المشوق ، وأجلسهما الى جانبه مبالغة فى الاحتفاء . وتشعب بينهم الحديث فقال لهما معاوية أخيرا :

ـ لا أستأثر دونكما برأى ، ولا أحجب عنكما أمرا ، فقد استمعتما الى النبى صلى الله عليه وسلم فنضج منكما الفكر ووزن الرأى .. وان ابنتى صفية قد رشدت ، وأصبحت أهلا للزواج ، وهى من رجحان العقل وسداد التدبير فى أرحب منزلة وأسمى مكانة .. ولست أضن بها على ابن سلام والينا على العراق ، فله من شريف النسب ، وكريم المنبت ، ووافر التقى ما يؤهله لمصاهرة الخليفة ، وانه عندى لعدل يزيد فى القدر ، فهلا تريان ما أرى ؟ وماذا تقولان فى ابن سلام ؟

فتحرك الشيخان فى مجلسيهما ، ونظر كل منهما الى صاحبه يسأله بخلجة العين أن يجيب معاوية ، وأخيرا قال أبو هريرة :

ـ نعم الاختيار يا أمير المؤمنين ، فابن سلام من أقوى الناس ايمانا ، وهو منهم فى النسب الرفيع ، والمنزلة السامية ، وقد وافاه السعد حين وقع عليه اختيارك يا أمير المؤمنين ، وليس هناك من هو أدرى منك باصطفاء الرجال

ثم سكت أبو هريرة ، وأمن أبو الدرداء على حديثه بايماءة من رأسه ثم اعتدل وقال :

ـ لقد لازمت النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا ، وكتبت له الوحى طويلا ، وأفدت من ذلك خبرة واسعة ، وتجربة صادقة ، وان عبد الله لفى الذروة ، يقبض على ناصية المحامد ، ويتربع على عرش السؤود ..

فقال معاوية :

ـ انى أحمد الله أبلغ الحمد ، فقد قويتما عزمى ، ومحوتما ترددى ، ولقد بلغت بى الحيرة منتهاها ، وكنت فى هذا الامر بين الاقدام والاحجام قبل أن أتشرف بوضىء طلعتكما .. ولن أعفيكما أن تبلغا ابن سلام مبغاى لتضيفا الى أفضالكما فضلا سابغا ، ولكما موفور شكرى ..

فقال الشيخان بلسان أبى هريرة :

ـ لأمير المؤمنين أن يوجهنا حيث أراد ، وعلينا أن نقوم بكل ما يرضاه

فقال معاوية :

ـ انى لجد مغتبط بزورتكما ، وانى أود قبل أن تتحدثا الى ابن سلام أن تكونا على علم بأنى قد تركت لصفية حرية الاختيار ، ولا أخالها الا توافق على من اختار لها أبوها ، فانها شديدة الثقة بى ...

ودع الشيخان وانصرفا الى حيث يقيم ابن سلام ضيف الخليفة ، ورجع معاوية ــ بعدأن سار معضيفيه خطوات تكريما لهما وتشريفا ــ الى حيث كانت ابنته ، وقال لها :

ــ ان أبا هريرة وأبا الدرداء من صفوة صحب النبى صلى الله عليه وسلم، وقد يوفدهما عبد الله بن سلام اليك ليسألاك فى زواجه،فقولى لهما : «انى أقدر لابن سلام تقاه ، ومكانته عند أمير المؤمنين ومنزلته فى قريش،ولكنى أخشى ألاأكون معه على وفاق،ما دامت تنازعنى فيه زوج ثانية..فانى شديدة الغيرة ، لا تطمئن نفسى اذا كانت هناك من تقاسمنى قلب من أختاره زوجا ، فان لم يلحق عبد الله عنت فى طلاق زوجه ، فليس ما يقعدنى عن الزواج منه ..

فقالت صفية :

ــ السمع والطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين

●

ورحب ابن سلام بضيفيه العظيمين وهش لهما وبش ، ولاحت لهما منه المعزة والمحبة .. ورأيا أن يعاجلاه بالبشرى ويزفا اليه التهنئة ، فقال أبو هريرة :

ــ ومن أولى منك يا ابن سلام بايثار الخليفة .. ان الله قد كتب لك السعد، وساق اليك الخير على يد ابن أبى سفيان، فقد اختارك بعلا لابنته صفية ..

وما جئناك الا لنبلغك الرغبة السامية، ونقدم لك خالص التهنئة بما أسبغ الله عليك

فابتهج ابن سلام للنبأ الندى ، وشاع السرور فى وجهه ، وامتلأ بالفرح قلبه ، وخطرت بباله زوجه الحبيبة ، أرينب بنت اسحاق ، مالكة فؤاده،فدفع الخاطر عنه بأنها لن تكره له علو المنزلة ، ولا بعد الصيت ..

واعتدل ابن سلام وقال للشيخين :

ــ أعجز أن أوفى أمير المؤمنين ما هو له أهل من الشكر .. فقدغمرنى بأفضاله، وأفاض على من وافر نعمته ما تنبو البلاغة عن الاعراب عنه ، وانى لعظيم الشرف كثير الفخر برضا الخليفة عنى .. وانى لارجو أن تتكرما بأن تنوبا عنى فى القيام بخطبة صفية بنت مولانا أمير المؤمنين ، فلست أرى من هو أجدر منكما لهذه المهمة

ففرح الشيخان وتبسما ضاحكين وقال أبو الدرداء :

ــ لك يا ابن العم ما يرضيك،فأنت منا فى سويداء القلوب ، وليس أحب الى قلوبنا من أن تتم لك المسرة ، وتواتيك الهناءة ..

ثم ودعاه الى قصر الخضراء ، وقصا على معاوية ما كان منهما لابن سلام ، وما كان من ابن سلام لهما ، فقال لهما معاوية :

ــ ان قلبى لشديد الاطمئنان الى عبد الله بن سلام،ولكنى تركت لصفية

حرية الاختيار .. وعليكما أن تعرضا عليها الأمر، وتعلناها بأنى أختار لها والينا فى العراق ، وانى أحله فى نفسى فى منزلة أخيها يزيد ..

فلما دخل الشيخان اليها وحدثاها بخبرهما ، قالت لهما :

ـ لست أجد فى ابن سلام منفذا لمطعن فى خلق أو دين ..

ثم أعادت ما أوصاها به أبوها على مسمعيهما ، وطلبت اليهما أن يتفضلا بتبليغه لابن سلام

فخرج الصحابيان والتقيا بعبد الله وحدثاه بما سمعا من صفية .. فداخله شىء من الهم ، واستعظم أن تحدثه نفسه بفراق أرينب ولم يجد منهاسوى الاخلاص والوفاء ..

ولكنه بعد أخذ ورد بينه وبين نفسه، رأى أن رفض رغبة سكان الخضراء لا يتفق مع المجاملة فى شىء ، فأشهد الشيخين على طلاق أرينب زوجه المحبوبة، وفوض اليهما أن ينهيا الخبر الى قصر الخضراء

فعاد الشيخان الى أمير المؤمنين وأخبراه بماكان من عبد الله لأرينب، وانه خلص لصفية ..

فتظاهر معاوية بالأسى وقال :

ـ لم أكن أود أن يحدث ذلك ، ولو علمت به قبل وقوعه لحلت دونه ، ولكنها ارادة الله .. كنت أرجو أن تمنعا مثل هذا أن يكون وقد سمعتما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ان أبغض الحلال الى الله الطلاق »

ثم تقطب جبينه ، وعبس وجهه ، وساد المجلس وجوم ممل .. لم يجد الشيخان معه بدا من الانصراف واستأذنا على عزم أن يعيدا الزيارة..

وعجل معاوية بدعوة يزيد .. فلما كان فى حضرته على خلوة ، ابتدره بقوله :

ـ هنيئا لك أرينب يارجاء أبيك .. انها خلصت لك، فقد طلقها ابن سلام. فانعم بالا ، واعلم أنك لن تكون فى يوم ما فى زاوية النسيان من أبيك الذى أخلص لك المحبة والود

فقال يزيد والبشر يتلألأ فى محياه:

ـ متعنى الله بطول حياتك يا أمير المؤمنين ، وأظلنى برعايتك، وأسعدنى فى عهدك الزاهر ، وملكك الوطيد ، هذه بشرى وقعت من سمعى موقع النغم، ومن قلبى فى السويداء

فقال معاوية :

ـ وانى أنصحك أن تعقل لسانك ، فلا تتحدث فى هذا الموضوع، كى نسلم من العثرات ، ونأمن الزلات ويظل الطريق لنا معبدا

ـ سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين .. لا عدمنا نصحك ، ولا حرمنا ارشادك

ثم أمطر راحتى الخليفة وابلا من قبلاته ، وخرج وليس فى الدنيا أسعد ولا أرضى منه بالا

●

وقصد الشيخان الى قصر الخضراء

للزيارة واستطلاع الرأى ، ليعودا الى ابن سلام بما ترى فيه صفية بعد الذى كان منه لاسترضائها ، وأجلسهما معاوية الى جواره ، ورحب بهما

فقال أبو هريرة :

– أعزالله بك الدين ياأمير المؤمنين، وأجرى على يديك الخير، انك تبالغ فى الحفاوة بنا حتى ما نحس أننا فى غير منازلنا وأهلنا .. واننا نود أن نعود الى ابن سلام بما يملأ فراغ قلبه ويعوضه عن عديلة نفسه أرينب .. فقال معاوية :

– انكما تعلمان الرأى عندى ، فاسمعا الى صفية ، لانى جعلت لها – كما حدثتكما – الرأى الطليق ، فى غير تقيد برأيى، ولا ارتباط باختيارى .. اننى أفضل ابن سلام، ولكنى لا أجبرها عليه، ولا أراكما الا توافقان أن تكون لها الكلمة المسموعة ..

ولما اجتمع الشيخان بصفية حدثها أبو هريرة عن تضحية ابن سلام بمالكة قلبه ، وآسرة لبه ، ليصفو لها جوه ، وأنه فوضهما بابلاغها رغبته فى التعجيل بالزواج، وذكر لها أبوهريرة ماسمعاه من أبيها عن عبد الله .. وحسبه فخرا أن يتخذ منه معاوية عضدا وساعدا ..

فقالت صفية فى تردد وهدوء :

– ان اختيار شريك الحياة من جانب الرجل أو من جانب المرأة ليس من الامور التى يسهل الحكم فيها لبعد الصيت أو طيب الاحدوثة ، وان ابن سلام ذاع تقاه ، واشتهرت مروءته ، ولكن لا يستطيع أحد أن يدعى أنه فى خاصة نفسه ولا مع أهل بيته فيما هو مع الناس .. ولن أسألكما شططا اذا استمهلتكما الى أن أستبين طرفا من حياته فى بيته ومع عشيرته لأكون فى أمره على بصيرة

فقال أبو الدرداء موافقا، وهو ينظر الى أبى هريرة نظرة من يستوحيه الرأى :

– هداك الله سبل الخير ، وثبت خطواتك على الحق، وألهمك الصواب، وكتب لك السعد .. لا يندم المتأنى .. ولا يسلم العجول من العثرات ..

فلما التقيا بابن سلام قابلهما بلهفة ذى الحاجة، ولما استمع الى حديثهما تمالك نفسه وقال فى صوت الواثق من الوصول الى غايته :

– ليس عليها من بأس ، من صبر ظفر .. وان غدا لناظره قريب ..

ارتسمت علامات الاستفهام على الشفاه حين ذاع ذلك النبأ الذى اهتزت له جوانب الشام والعراق .. ابن سلام تخلى عن أرينب ؟؟ كيف طاوعه قلبه!؟ انها ريحانة ناضرة ، لم تتفتح البساتين على أبهى منها ولا أحلى .. من كأرينب اجتمع لها جمال الخلق وجمال البدن؟ ..

خاض كل فى الحديث على هواه ، وقال كل واحد ما اشتهى ، ولكن أحدا لم يستطع أن يمس أرينب بمعتبة، أو يرى لها هفوة .. فان صحيفتها

2251 1 Dec

نقية ، وانها لمن قوم كرام ..

وتوارى عبد الله عن الانظار، ولزم بيته خشية أن تقحمه العيون، وأن يصل الى مسمعيه ما يكره من حديث الناس

وبعث الى الشيخين يستعجلهما العودة برأى ابنة الخليفة الذى ارتأته فيه ..

وقالت صفية للشيخين حين أذن لهما عليها :

ــ قلبت الامر على وجوهه، وفكرت فيه تفكير من تختار لنفسها، وأنا أرى أن أرينب بنت اسحق ليس لهـا من يدانيها .. فهى مثال الجمال ، وفيها اكتملت معانى الاخـلاص والعفة والوفاء .. وقد طلقهـا ابن سلام وما خفق بغيرها قلبه ، ولا اكتحلت بمثل جمالها عيناه ، فمن أين لى أن أضمن أن يبقى على ، ولا ينالنى منه ما نال ابنة اسحق ولست ندا لها فى الجمال والفتنة... لقد قررت فى نفسى ألا أربط مستقبل حياتى بمن لا يؤمن جانبه ، ولا يركن الى عهده.. فاحملا الى ابن سلام عجزى عن الرغبة فيه بعلا ، وان كنت على يقين أن قلبه عامر بالايمان ، ملىء بالتقوى .. اننى كلما ذكرت ما كان منه لأرينب أحس أن قلبى يكاد يثب من موضعه .. لست آمن أن تتكرر المأساة معى ــ ان رضيته زوجا ــ فلا أقوى على حملها .. اسأل الله أن يوفقـه ، وأن يجزيكما خير ما يجزى به رسل الهداية والاصلاح..

وما أن وقف عبد الله بن سلام على فحوى المقال حتى أيقن أنها المكيدة ، حاك خيوطها قصر الخلافة وأحكم نسجها لحاجة فى نفس يعقوب .. وأطلق ابن سلام عنان لسانه ، وأفاض فى الحديث عن ختل معاوية وغدره ، وملأ الاندية والمحافل سبا ولعنا، وتجريحا وطعنا، فخفقت لشكواه القلوب ، وامتلأت بالموجدة والحقد على من أورد ابن سلام هذا المورد الآسن ، وحمله أن يفارق دنياه الفياضة بالبهجة والمسرة ..

واتخذ خصوم الدولة من قصة عبد الله مادة دسمة لقالات السوء ، فى شتى نواحى الجزيرة وغيرها من بلاد المسلمين، يذيعون نبأ المكيدة والسبة التى لا تزول

وكان معاوية بن أبى سفيان يسمع صدى الحديث، فيتظاهر بالاسف ويقول لخاصته :

ــ غفر الله لصفية، لقد هيأت ــ على غير قصد منها ــ للالسن أن تخوض فى أبيها حين رفضت خطبة عبد الله.. وما كنت أبغى له سوى الخير .. لم تحدثنى نفسى بسـوء .. اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون

وتوالت الايام سراعا، ونسى الناس ابن سلام وأرينب ، وملت حديثهما الاسماع.. وتحرك قصر الخلافة حينذاك لاتمام ما بدأ ، وقابل رسـول معاوية أبا الدرداء وهو يغادر المسجد بعـد صلاة العصر ودعاه الى الخضراء بأمر الخليـفة ... ولقى أبو الدرداء من شاشة اللقيا، وفيض التكريم ما أسكن

بلباله ، وهدأ روعه من هذه الدعوة المفاجئة ، وأخيرا قال معاوية :

ــ وما زلت يا أبا الدرداء أحس الالم يحز فى نفسى ، ويمور فى قلبى، منذ أوقفتنى صفية من ابن سلام ذلك الموقف الشائك .. لم يكن يجول بخاطرى أن يصل الامر الى ذلك الحد الزرى ، وأن يترتب عليه فرقة ذينك الزوجين السعيدين . لو تعلم يا أبا الدرداء أن صدرى يزخر بالاسى، وانني لم أطعم الراحة مذ طلق عبد الله أرينب، وأننى كثيرا ما فكرت : ماذا يكون موقفها حين تسمع النبأ، وكيف تقوى على احتمال المفاجاة . لقد عقدت النية وصحت عزيمتى على أن أعوضها من يسد فى نفسها فراغ عبد الله ، ويهىء لها حياة البهجة والفرح، واخترتك ــ لمكانتك عندى ــ أن تنوب عنى فى خطبتها ليزيد ، ولى عهد المسلمين ، والخليفة من بعدى .. وفوضتك أن تتصرف بسديد رأيك، وثاقب فكرك .. واحمل لها فوق ما تقدر من مال ، ولا تدع عقبة تقف فى طريقك، ولو أنفقت جميع ما فى خزائنى لازالتها، وأرى أن تتعجل الرحلة، فانى أخشى أن يسبقك اليها من يفوز بها دوننا

فقال أبو الدرداء وقد كسا محياه البشر لثقة الخليفة به :

ــ لن تشرق على شمس الغد الا وأنا فى طريقى الى الكوفة ، ولك يا أمير المؤمنين ما تحب وتهوى ..

ثم ودع الخليفة وانصرف ليتأهب للرحلة فى صبيحة الغد ..

وأشرف أبو الدرداء على الكوفة ، وشمس الحسين بن على تتلألأ فيها ، وذكره يملأ أرجاءها ، ورأى أن يتيمن بزورة الحسين سبط النبى الكريم قبل أن يبدأ ما كلف به ، ووجد فى منزل الحسين كرم الوفادة ، وحسن الملتقى ، وقال له الحسين :

ــ لقد رأيت جدى حين رأيتك يا أبا الدرداء، أجزل الله أجرك وبارك زورتك .. فقد ذكرتنى أيام السعد ، وماكان عليه المسلمون من مودة ومحبة، وشتان بين ذاك وبين ما أحدثه الناس فى هذا العهد

فقال أبو الدرداء وهو يديم النظر فى وجه الحسين لما يرى فى ملامحه من شبه لجده :

ــ أدام الله بقاءك يا سيدى ومد فى حياتك .. فانك بقية من النبوة، وكم رأيتك تمرح فوق ظهر النبى ، صلى الله عليه وسلم، وهو ساجد للصلاة، فيطيل السجود ، خشية أن يتكدر صفوك ، فاذا نزلت قام لصلاته ..

وظل الحسين وأبو الدرداء يتذاكران عهد النبى ، عهد الالفة والاتحاد ، وقتا ليس بيسير ، ورأى أبو الدرداء أن يستأذن ليقوم بما وكل اليه أن يقوم به ، ولكن الحسين شدد عليه أن يطيل المقام عنده لما يحسه لوجوده من الانس والمسرة ، فقال الصحابى :

— لم يكن أسعد لقلبى ، ولا أهنأ لنفسى من أن يطول بى مجلسك،ولكن معاوية بن أبى سفيان قد اوفدنى فى مهمة ، واستعجلنى تنفيذها ، ولم أستسغ أن أبدأ بالكوفة عملا، قبل أن أتبرك بزيارتك

فشكر له الحسين كريم عطفه ، وصادق مودته ، وسأله عما كلفه به معاوية فى العراق

فقال أبو الدرداء :

— انتدبنى معاوية لأنوب عنه فى خطبة أرينب لابنه يزيد ..

فقال الحسين :

— وأى شيء دها عبد الله فصرفه عن أرينب ؟! انها شمس حياته ، وانسان عينيه .. ولقد عم الأسف جميع من هنا ، وما زال حديثه تلوكه الألسن وتضطرب فيه الآراء

فتحرك ابو الدرداء فى مجلسه ثم قال :

— ان عبد الله ندم على ما فعل .. وقد قال الناس كثيرا فى موضوعه ، ولكنهم سكتوا أخيرا، وانقطعت همساتهم وان من يعرف أرينب يعتب على عبدالله أشد العتب .. ورأى معاوية بعد أن خفت الحديث أن يبعث بى لأطلب يدها ليزيد ، ووكل الى أن أتم الموضوع

فخطر للحسين أن يستشير أبا الدرداء فى زواجه من أرينب ، فقال له :

— وماذا يرى أبو الدرداء اذا أنا رغبت فى مباعلتها ؟

فقال الصحابى .

— انك نعم الزوج ونعم العشير والأليف ، فاذا صح منك العزم فماذا يمنع من استطلاع رأيها ؟..

— لن أجد خيرا منك يقوم مقامى فى هذه المهمة، فقدم لها نفس ما يعرض معاوية من صداق اذا هى أجابت طلبتى

فارتبك أبو الدرداء ، وتولته الحيرة ولكنه لم يجد مناصا من القبول ، وقال فى نفسه : لست الا رسولا.. على البلاغ . انى لن أحملها على قبول واحد منهما .. ماذا يضيرنى اذا أنا اديت رسالتهما كاملة غير منقوصة ، وعدت اليهما بما تراه فى كل منهما

ثم قال للحسين :

— سمعت وأطعت ياسبط الرسول.. سأبلغها رغبتك فى الزواج منها ، ورغبة معاوية أن تكون زوجا ليزيد وأعود اليك بما يقر عليه رأيها ..

ثم ودع وانصرف

وبالغت أرينب فى الحفاوة بأبى الدرداء ، ونزل من بيتها ومن نفسها منزلة التجلة والاحترام ، وجعل الصحابى يتحين الفرص ليبدأ الحديث، فلما واتت أول فرصة انتهزها وشرع يقول :

— جرت ارادة الله بما كان، ففارقك ابن سلام .. ويغلب على الظن أنكما تعادلتما فى الاسف لما حدث ، ان لم يرجح عبد الله . والانسان لا يعلم من أين يأتيه الخير .. والله تعالى يقول :

« وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » . ولعل لكل منكما فيما قضى الله خيرا . وانى رسول معاوية بن أبى سفيان والحسين بن على اليك . يريدك الخليفة زوجا لابنه يزيد ولى العهد من بعده . ويريدك الحسين سيد شباب أهل الجنة لنفسه . فاختارى لنفسك ، وانك لذات عقل ودين ..

فقالت أرينب فى شىء من التردد والتأثر :

— وهل بقى لى من العقل ما يقوى على التفكير فى الزواج بعد ما كان من عبد الله .. انى ما زلت مأخوذة بهول المفاجأة . فكرت فى كل شىء الا أن يهجرنى عبد الله .. ولم يحدث شىء سوى أن طلقنى عبد الله ..

فقال أبو الدرداء :

— على المسلم يابنية أن يقابل تصاريف القدر باستسلام ، وألا يركن الى اليأس .. وان الله تعالى سيعوضك خير العوض . وان الحسين له المكانة الرفيعة ، والمنزلة الشامخة ، وهو من قريش فى القمة ، وحسبه أنه ابن فاطمة بنت الرسول الامين .. ويزيد بن معاوية ستؤول له الخلافة بعد أبيه ، وفيه يمور الشباب .. فاختارى من شئت فكل منهما على خير فياض

فأطرقت أرينب وطال بها الاطراق ، ولم تصل الى الرشد فى أمرها ، وتعجل أبو الدرداء حديثها فرفعت رأسها وقالت :

— والله انى لعلى حيرة ، ولو أنى خيرت بين هذين وأنت بالشام لبعثت اليك أستلهمك الصواب ، وانك لتعرف أن النساء لا يسلم لهن التفكير فى مثل هذا الامر ، لميلهن الى الهوى ، وانحرافهن الى العاطفة ، وعدم اصغائهن لصوت الضمير والعقل . وقد هيأ الله لى الخير حين وقع الاختيار عليك ، لتكون وكيلا عنى أنا الاخرى ، فاقبل من تشاء منهما وارفض من تشاء ، فأنت أعلم منى بالرجال ..

وأيقن أبو الدرداء — حين رأى التصميم من أرينب — أن موقفه قد تضاعف به الحرج بين الثلاثة ... وحاول أن يصرف أرينب عن موقفها ، فقال لها :

— ما أنا الا رسول ، وانك أنت التى ستعاشرين .. فاختارى من تأنسين لعشرته

فقالت له :

— ما أنا الا ابنة أخيك .. ومنذا الذى يضن على ابنته أن ينير لها الطريق ، ويأخذ بيدها الى الرشاد !؟

فلما لم يستطع أبو الدرداء الافلات أعلن رأيه فى صراحة ، وقال ما يعتقده حقا :

— انك اذا أبيت الا أن تسمعى لى ، فانى أختار الحسين بن على زين الشباب فى الجنة ، وبقية النبوة فى الدنيا ، كم ضمه النبى الى صدره ، وقبل كل موضع فى وجهه ... ان

السعادة التى لا تعدلها سعادة أن تربطى حياتك بحياته .. سدد الله خطاك

فقالت أرينب :

ـ أنعم به من اختيار ، فليس من يعدل الحسين ، أبلغه أنى أوثره لى زوجا ..

وهكذا خسر معاوية ويزيد المعركة مع الحسين بن على .. وفاز الحسين بأرينب ، وضمها الى نسائه ، فكانت واسطة العقد ، وريحانة البستان ..

ولم يكن لأبى الدرداء ـ وقد قام بالمهمة ـ الا الشخوص الى الشام ، فهو يعلم أن الخضراء ينتظر عودته على أحر من الجمر . ولما لاح ركبه، خف رجال الخليفة لاستقباله، وقصد القصر آن وصوله ... ولما فرغ من تفصيل حديثه فى الكوفة تطلع الى معاوية ، فرأى العبوس والتجهم قد صبغا وجهه، وجعدا جبينه، وغيرا ملامحه، وبدلا صوته فغدا أجش يشيع فيه الغيظ وهو يقول:

ـ لست ملوما يا أبا الدرداء ، انما الملوم من اختارك لما لست له أهلا .. ان الرسول لا ينجح اذا خلا من الذكاء والفطنة ..

ورأى أبو الدرداء أن الامر أصعب مما كان يتصور وأنه لا ينجيه من هذا الضيق الذى ملأ قلبه سوى أن ينصرف ، فاستأذن وخرج فى غير عزم على رجعة ..

واشتد بمعاوية الألم ، وأحس وخز الهزيمة ، وذل الانكسار .. ولو أن غير الحسين هو الذى ظفر ، لما كان للأمر مثل هذا الوقع، ولكنه هو الذى كسب الجولة ، يا له من نصر أدبى !! لقد حز فى نفسه أن يتغلب خصمه عليه ويحول دون غايته ..

أما يزيد ، فقد تفطر منه القلب ، ونال منه الأسى .. ولولا أن حيل بينه وبين أبى الدرداء لأصابه بأذى . فأبو الدرداء هو الذى حطم آماله ، وخيب رجاءه .. وعلى يديه تحولت حياته الى جحيم لا يطاق

وأضحى ابن سلام فى عداد المساكين: فقد اعتزل الولاية ، وزالت نعمته ، واظلمت دنياه ، وتقطعت دونه السبل، وأغلقت فى وجهه الابواب، ولم يستطب المقام فى دمشق لما لحقه من سوء ، فبرحها غير آسف على شىء فيها . وجعل وجهته العراق

وكان لابن سلام فى الكوفة مبلغ من مال، ولكنه أودعه لدى أرينب حين بدأ تلك الرحلة المشئومة ، وأرينب ذات تقى ودين ، لا تحدثها نفسها بخيانة ، ولا ينطوى قلبها على غدر . وعبد الله انما عاد ليستأديها الأمانة ويستردها الوديعة ، فماذا ذكر ما جازاها باخلاصها ووفائها تلاشى منه العزم ، ولحقه كثير من الخزى ..

وهبط العراق ذليل النفس ، كسير الفؤاد

وزار الحسين بن على فى منزله ،

ولاقى من الحسين كرم الوفادة، والمبالغة فى التحية، وأنس كل منهما بصاحبه، وزالت من عبد الله الوحشة ، وأطمعه احتفاء الحسين به أن يحدثه بغرضه من الزيارة فقال :

ـ فداك أبى وأمى يا ابن على، انك لست تعرف ما يحمله قلبى لأرينب ، وانى تركت لديها بدرات وبعضا من الجواهر ، وقد اشتدت اليها الحاجة ، ولكنى لا أملك من الشجاعة ما أقوى معه على المطالبة ، فانى ارتكبت من الاساءة ما لا يقبل منه توبة ، ولايجدى فيه اعتذار . وانى أتوسل اليك أن تذكرنى عندها بما تحدثت اليك ، والله يتولى جزاءك .. ثم سكت وأطرق

دخل الحسين الى أرينب وقال لها :

ـ ان ابن سلام بالكوفة ، وانه يذكرك بكل خير .. وقد زعم انه استودعك ماله ، ويسألك أن تردى وديعته

فقالت أرينب ، وقد لاح عليها الاضطراب للخبر المفاجىء :

ـ نعم .. ان ابن سلام له عندى ما يتحدث به ، ولست أعلم مقداره ، لانه فى أكياسه كما تركها لم أفض خاتمها .. ثم قامت الى بعض المتاع وأخرجت منها الأكياس وقالت :

« ها هى .. فاحملها اليه »

فشكر لها الحسين عظيم أمانتها ، وكريم وفائها ، وقال :

ـ خير لك وله أن يتسلمها بنفسه ..

ثم خرج الى عبد الله وقال له :

ـ لا بأس عليك يا ابن العم اذا أنت دخلت الى أرينب وتسلمت مالك كما سلمته اياها ، وهو لديها فى حرز حريز

فقال عبد الله :

ـ فداك نفسى وأمى وأبى ، أن تعينى .. فلن أقوى على مواجهتها بعد الذى كان منى

ـ لا عليك ، أنها مشيئة الله، وليس لقضائه مرد .. هيا هيا ، ثم قاده الى بابها ونادى :

ـ ابن سلام بالباب جاء ليسترد بنفسه وديعته .. ثم عاد الحسين من حيث أتى .

وطلعت أرينب الى عبد الله تحمل المال وقدمته اليه ، ثم قالت :

ـ ها هى أموالك كما تركتها ، بارك الله لك فيها

فأمسك ابن سلام بدرة منها وتناول بعض الجواهر وقدمها لأرينب قائلا :

ـ أرجو أن تقبليها هدية منى، فان الدنيا بما فيها لا تكافىء اخلاصك ووفاءك

ثم لم يستطع أن يتم حديثه، فاحتبس صوته وأغرق فى البكاء . ولم تكن أرينب بأقل منه ، فقد علا نحيبها .. ودخل الحسين وهما على تلك الحال ، فقال :

ـ أشهد الله أن أرينب بنت اسحق ليست من نسائى منذ الساعة ، واننى

أبنتها بينونة ليس لها من رجعة ٠٠ ولا تخجل يا أخى ولا تحزن ، فانى ما تزوجتها طمعا فى جمالها ولا رغبة فى شىء من حطام الدنيا، وانما لأبقى لك عليها ، فلا تصل اليها ذئاب بنى أمية ، فقد أحسست من معاوية المكيدة لك ، ليخلصها ليزيد ٠٠

ان البيان يقصر دون الافصاح عن شعور عبد الله بن سلام وأرينب بنت اسحاق ، أسكرهما الفرح، وأذهلهما السرور المباغت ، وعقل لسانيهما ما أحسا به فى موقفهما من عطف الحسين الشامل ، وفضله السابغ

ورأى ابن سلام ورأت أرينب أن يكافئا الحسين برد ما دفعه آنفا من صداق ٠٠ ولكن الحسين أبى فى شمم وعزة ، وقال لهما :

– اننى ما قمت بهذا العمل الا لوجه الله، لا أبغى جزاء ولا شكورا ٠٠ فانعما بالحياة فى ظلال الحب واهنأا بالسعادة الوارفة ٠٠ فقد خسر هنالك المبطلون.

وهكذا عادت أرينب الى عبد الله ابن سلام ثانية وعادت اليه بعودتها بشاشة الحياة ، وابتسمت له الدنيا من جديد ، وعاشا زوجين سعيدين مدى حياتيهما يتبادلان الاخلاص والمحبة ، والوفاء والمودة

وهبي اسماعيل حقي

جحا في الشرق والغرب

بقلم

الاستاذ كامل كيلانى

الفاكهة ثمرة الارض ، كما أن الفكاهة ثمرة العقل . . وقد اتخذت كل أمة من الامم فى كل عصر ومصر ، شخصا من الشخوص الجحوية الباسمة ، رمزا لفكاهاتها تسند اليه كل طريف من فنون دعابتها ، فكثرت الشخوص « الجحوية » لذلك وتعددت، فلم يكد يخلو منها زمان ولا مكان .

وقد طوع القصاصون كثيرا من الطرائف الجحوية ، وفصلوا منها أنماطا فكرية ، ألبسوها عرائس أفكارهم ، وأودعوها نفائس توجيهاتهم وآرائهم . فلم تلبث — على مر الازمان واختلاف الامم — أن تشكلت بألوان العصور والامم التى قبستها ، كما يتشكل الماء بلون الاناء الذى يستودعه .

واصبح الرمز الجحوى — على توالى العصور — أشبه بالرمز الجبرى ، يختلف مدلوله فى كل مناسبة عما سبقها

ولو خلا العالم من أمثال هذه المفارقات لأصبح جحيما لا يطاق، وطالما استعان بها أعلام الفكاهة من المصلحين والقادة فى كسب قضاياهم . وربما أغنت النكتة العابرة الملهمة ينطق بها الفكه الموهوب عن المقالات المستفيضة

وطالما تناول الموهوب ألفكه بدعابته الباسمة أدق الخفايا فأربى على الغاية. وأى سخرية أبرع من سخرية أبى الغصن «جحا العربى» حين أذاع أنه سيطير فى أصيل يوم الجمعة القادم من فوق مئذنة مسجد الكوفة، حتى اذا حان الموعد وتجمع الناس من كل مكان ، وضاق بجموعهم الميدان ، أطل عليهم « جحا » من أعلى المئذنة ، ونظر اليهم ساخرا من بلاهتهم ، يمد ذراعيه ملوحا بهما فى الهواء ، ويحرك يديه ، مرة بعد أخرى ، كأنما يتهيأ للطيران ، وقد خيل الى النظارة أنه جاد فى محاولته

فلما طال بهم الانتظار ، التفت اليهم ساخرا ، وقال :

كنت أظن أن « جحا » هو وحده المتفرد بالجنون فى هذا البلد، فاذا كل من أرى أجن منه، خبرونى أيها العقلاء ، كيف صدقتم أن « جحا » قادر على أن يطير بغير جناحين ؟

2251 1 Dec

جحا .. الفيلسوف !

[للمثال عباس الشيخ]

وكيف يصح فى الأذهان أنى
على أظهار معجزة قدير
وكيف يصدق العقلاء زعمى
ولست بطائر ، أنى أطير

*

وأى سخرية أبرع من سخريته من والى الكوفة حين بدأ شكواه قائلا :

— ان لمولاى الوالى — فيما أعلم — ثورا أحمر

— صدقت يا أبا الغصن ، فما باله ؟

— نطح بقرتى البيضاء ، فشق بطنها وأخرج أمعاءها ، وقتلها على الفور .

— وما شأن الوالى بذلك ؟ وأى سلطان لى على الحيوان ؟ أتريد أن أعاقب الثور على فعلته ؟ ألا تعلم أن دم الحيوان جبار (هدر) ؟

— صبرا يا سيدى وعفوا ، لقد

جحا .. « النبيه » !
[للمثال سيد زيدان]

دفعتنى العجلة الى رواية القصة معكوسة

– ويحك ! فماذا كنت قائلا ؟

– أردت أن أقول : ان بقرتى البيضاء هى التى نطحت ثور مولاى الوالى فقتلته

– ويلك .. لقد تغير وجه المسألة الآن ، فأعد على القصة ، لأرى فيها رأيى من جديد

*

وأى قارىء لفكاهات هذا الساخر المبدع لا يعجب بتهكمه البارع حين سأله جاره « سالم بن دينار » أن يعيره حماره ، فاستمهله « جحا » ريثما يستشير حماره فى ذلك . ثم عاد اليه متظاهرا بالاسف

– ماذا قال لك الحمار ؟

– رفض مصاحبتك

– لماذا ؟

– لأنك – فيما يقول – لن تجزيه على خدمته بأكثر من ضربات على ظهره ولعنات لصاحبه !

أليست هذه الدعابة أروح وأعمق من قول زهير بن أبى سلمى

جحا .. « الغلبان » !

[للمثال حليم نسيم]

فى معلقته الخالدة :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله
يكن حمده ذماً عليه ويندم

*

وما ننس من طرائفه — لاننس اجابته لبعض الحمقى حين تهدد جحا أن يقتله اذا عجز عن اجابته عن أربعين سؤالا مختلفة بجواب واحد . فأنصت اليه جحا ، حتى اذا فرغ من أسئلته ، قال له متظاهرا بالجد :

— أتريد جوابا واحدا عنها جميعا ؟

— لا أريد غير ذلك

— لا أدرى

فتكون هذه الكلمة الحكيمة جوابا شافيا لمسائله الاربعين ، يخلصه من بطش سيد المجانين

وما أحكم قضاءه حين يتقدم اليه مختصمان يدعى أحدهما على صاحبه أنه أكل خبزه على رائحة شوائه ، ويطالبه بثمن الشواء الذى لم يأكله

فيسأله جحا : « وكم ثمن الشواء الذى أعددته له ؟ »

فيجيبه : « ربع دينار »

فيأخذ الثمن من الآكل ، ويسمع الشواء رنينه ، ثم يرجعه الى صاحبه قائلا :

— ان رنين المال ، ثمن كاف لرائحة الشواء !

*

ويختصم اليه رجلان آخران يدعى أحدهما أنه ساعد صاحبه فى حمل حزمة من الحطب بعد أن سأله : « ماذا تعطينى أجرا على مساعدتى اياك ؟ » فأجابه : « لا شىء »

فيسأله جحا : « وماذا تريد ؟ »

— أريد أن يعطينى هذا اللاشىء الذى وعدنى به !

— ارفع هذه الوسادة أيها الرجل وخبرنى ماذا ترى تحتها ؟

— لا شىء

— خذ لا شيئك من تحت الوسادة ، واذهب لشأنك !

*

وهذا أحمد المعطرى من أعلام الشخوص الجحوية الحديثة فى صنعاء ، يأتمر به جماعة من الخبثاء ليورطوه فى مأدبة عشاء ، فلا يتردد فى القبول . ويصبر عليهم ، حتى اذا خلعوا نعالهم بالباب واستقر بهم الجلوس على وسائده ، جمع المعطرى « جحا صنعاء » أحذية أصحابه ، وأسرع بها الى السوق ، فباعها واشترى بثمنها طعاما لأصحابه

ثم يطيلون البحث عن أحذيتهم على غير طائل ، ويقبلون عليه يسألونه عنها ، فيجيبهم ساخرا : « أحذيتكم فى بطونكم ! »

*

وهذا أرتين « جحا الأرمن » يرى أحد البخلاء مشرفا على الغرق ويسمع أصحابه ينادونه : « هات يدك » فيقول لهم أرتين ساخرا :

— لا تقولوا له « هات » فانه ينفر منها . بل قولوا له : « خذ أيدينا » ان كنتم جادين فى انقاذه

*

فاذا تركنا باب السخرية الى

ما يشاع عن « جحا » فى بلاد العالم ، من ضروب الغفلة ، وجدنا طرائف لا تحصى

فهذا « پات » جحا ارلندة ، يبعث الى صاحبته بالكتاب التالى :

« أرسل اليك هذه الرسالة — يا عزيزتى — وأنا غير آمن على وصولها اليك ، لاننى سىء الظن بالبريد فى هذه الايام

« فاذا لم تصل اليك فلاتتوانى عن الافضاء الى بذلك ، لأبعث اليك برسالة أخرى

« وأحب أن أنبهك الى أن القلم الذى أكتب به الآن من نوع ردىء ، فاذا عثرت على خطأ فى رسالتى ، فعلى هذا القلم الملعون وحده تبعة ما تجدين من غلط »

*

وهذا « جورج » جحا لندن ، يقسم ليكفن عن الخمر ، فلا ينقضى على عهده ثلاثة أيام حتى ينازعه الحنين اليها فى اليوم الرابع — فاذا بلغ الحان ، عرج عليه قائلا : « هنيئا لك يا جورج عزيمتك الصادقة . لقد وفيت بعهدك أربعة أيام ، ولا بد من مكافأتك على ذلك بكأس من الخمر »

فاذا جرع الكأس الاولى ، قال :

— هذه مكافأة اليوم الاول ، والثانية مكافأة اليوم الثانى

ثم أسلمته الرابعة الى العشرين !

لمحة تاريخية

وقد ولد « جحا العربى » أبو الغصن دجين بن ثابت بالكوفة ، وعاصر الباطش الجرىء أبا مسلم الخراسانى وقد نمى خبره اليه ، فاستدعاه ، واستظرفه ، وجازت عليه حيلته ، فحسبه أبله أو مخبولا ، وما هو على الحقيقة بأبله ولا مخبول ، ولكنه ساحر بارع ، يلعب بالعقول

وقد سجل « أبو الغصن » هذا اللقاء فى ذكرياته التى حفظها لنا ابن أخيه طارق بن بهلل . قال :

« لقد نمت بعض أخبارى الى أبى مسلم الخراسانى القائد الجبار الذى هزم الدولة الأموية وزلزل كيانها ، وأقام الدولة العباسية وثبت دعائمها مكانها وشيد بنيانها ، فامتلأت نفسى منه رعبا وفزعا أول الامر ، ثم جريت على مألوف عادتى فى الاستهانة بما لا حيلة لى فى دفعه من الاخطار ، ومقابلته بالابتسام . ولم أكن أعلم لاستدعائه اياى سببا . فلما بلغت مكانه علمت أن صديقى « يقطين » قد سمع « أبا مسلم » يذكرنى بالخير فى أحد مجالسه ويتنادر بما أذاعه بعض الاغبياء عنى من ضروب الغفلة

« فلم يكد يتبين شوقه الى لقائى حتى أفضى اليه بمكانى . فأمر أبو مسلم باستدعائى اليه . فاعتصمت بالحذر ، وتظاهرت بالبله . ولم أكد أرى صاحبى « يقطين » مع أبى مسلم ، وليس معهما ثالث ، حتى التفت اليه متبالها ، وسألته متغابيا : « أيكما أبو مسلم يا يقطين ؟ » فانخدع فى أمرى أبو مسلم على وفرة ذكائه وفطنته ، واستغرق فى الضحك

2251
1
Dec

جحا الأتراك .. الأستاذ نصر الدين
ولد فى منتصف القرن الرابع عشر

من بلاهتى . وهكذا ضمنت الفوز فى البعد عنه والنجاة من صحبته »

❋

وقد ذاع صيت أبى الغصن ، ونبه ذكره فى أوائل القرن الثانى من الهجرة ، وأعجب الناس بما سمعوا به من طرائفه وملحه ، ثم دفعهم أعجابهم به الى أن خلعوا لقبه على كل دعابة مستملحة ، ثم أضافوا اليه، على مر الزمن، جهرة كبيرة من طرائف غيره من المبدعين، فاختلطت بفكاهاته، وتعذر التميز بين الاصل والتقليد

ولم يلبث جحا أن أصبح علما على فن من فنون الفكاهة الشرقية، بعد أن كان علما على شخص بعينه من أفذاذ الناس

ثم ظهر الاستاذ نصر الدين التركى فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) . وقد ولد فى أحد بلاد الاناضول . وكانت «سيوى حيصار» مسقط رأسه . وقد عاصر تيمورلنك ، وذاع صيته وراجت فكاهاته ، وحول الناس لقبه من « خوجة » الى « جحا » لتقارب الاسمين ، وتشابه الشخصين

❋

ومهما نغفل من الشخوص الجحوية، وما أكثرها فى بلاد العالم، لا نغفل (تل) جحا الالمانى الملقب بـ «مرآة البومة» . وهو معاصر لجحا التركى ، ويكاد يكون نسخة مكررة له ، ان لم يكنه . وقد ولد جحا الالمانى فى مدينة «كنيت

الدنيا ماشية بالمقلوب .!
[لمثال مصرى]

لينجن Kneit Lingen » ومات عام ١٣٥٠ . وقد أطلق عليه لقب « مرآة البومة » لان البومة – برغم اجماع الناس على استنكار صورتها – لا ترى فى المرآة الا وجها طبيعيا لا يعاب

وهو لون مبتدع للتعبير عن الحكمة المأثورة : « ان المرء لا يرى عيب نفسه » !

ومهمايكن من أمر ، فان الطرائف المنسوبة الى « جحا » فى أى بلد من بلدان العالم تمثل ،أكثر ما تمثل ، ألوانا من آراء منتحليها ، وروح الدعابة الاصيلة فى نفوسهم

*

لم يسلم جحا من اتهامه بالغفلة حينا ، والبله أحيانا، ولقد

جحا .. « يبعزل » !

[للمثال ابراهيم قطرى]

« تل » جحا الألمان . . يرسمونه ممسكا بمرآة فى يسراه ، وبومة فى يمناه

افتن الناس فى نسبة الكثير من الأقاصيص التى تصوره فى صورة غافل معتوه ينطبق عليه ذلك الوصف الكاريكاتورى البارع، الذى رسم به الجاحظ أعجب نموذج للذاهل الحالم ، وألصقه بكيسان النحوى،ثم جاء من بعده فألصقوه بفيلسوفنا العربى الحالم ، وتمثلوه كما تمثل الجاحظ كيسان ، يسمع غير ما يقال،ويكتب غير ما سمع ، ويقرأ غير ما كتب ، ويفهم غير ما قرأ ، وقد نظم بعضهم هذا المعنى ، فقال :

«تقول له : زيد، فيكتب خالدا
ويقرؤه عمرا ، ويفهمه بكرا »

وهى غفلة يكاد يتسم بها كل مفكر عميق ، اذا حصر ذهنه فى فكرة بعينها. وليس مثل«نيوتن» ببعيد عن الاذهان حين ألقى

بساعته فى ماء يغلى وأمسك بالبيضة وهو يحسبها ساعته ليرقب نضجها وشيها

ولعل هذا المثل يفسر لنا كيف حمل الناس كثيراً من الطرائف والدعابات الجحوية على غير محملها، وفهموها على غير وجهها

ومهما يكن من أمر ، فقد كان أبو الغصن « جحا » يؤثر التباله والتغافل، وتنطوى فى أعماقه نفس صافية راضية بالحياة مبتهجة . وكان أسلوبه الرائع يفيض من اشراقه ومرحه على حقائق الحياة المرة، فيكسوها من ألوانه الزاهية جدة واشراقا

*

أما « تل » جحا الالمانى ، فقد ميزه بعض الباحثين بقسط موفور من الغفلة ، كما حلا لغيره أن يعزو اليه قليلا من الخبث ، واستدل بعضهم على ضيق ذهنه وموفور غفلته بما يؤثر عنه من المغالاة فى تطبيق مايسمع حرفيا، والوقوف عند مدلول اللفظ الحرفى .. غير معنى بما تنطوى عليه، فى أثنائها، من دلالات ، حقيقية كانت أم مجازية، وافتن المتخيلون فى نسبة كثير من المفارقات فى هذا الباب، تمثل أكثر ما تمثل ألوانا من آراء متخيليها وروح الدعابة الاصيلة فى نفوسهم

ولكن أى الشخوص الجحوية سلم من أمثال هذه الغمزات ! ومن أبدع ما قرأناه فى الدفاع عن بلاهة جحا ، قول ناقد المانى : « ان جحا كان فلاحا ذكيا مستقيم الفطرة ، وانه لم يلجأ الى التشبث بحرفية ما يلقى اليه من حديث ، الا رغبة

جحا .. « العمدة » !

[للفنان على الديب]

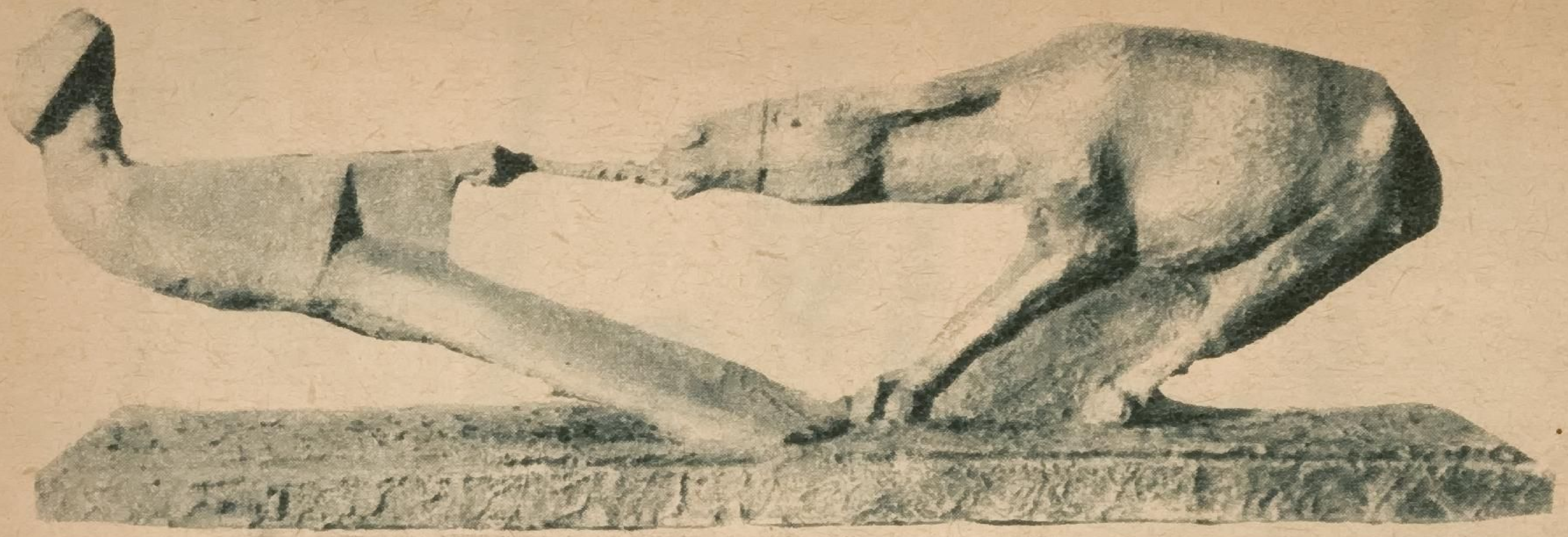

جحا وحماره العنيد . !
[للمثال موريس فيليب]

فى السخرية من غرور سكان المدن المتحضرين الذين لا يستطيعون اخفاء ما يضمرون من احتقار ، لأمثاله من الفلاحين . ويستدلون على ذلك ـ فيما يستدلون ـ بالقصة التالية :

سأله سائل : « ترى بعد كم من الزمن أبلغ المدينة ؟ » فقال له : « سر فى طريقك » فحسبه لم يسمع، فأعاد عليه السؤال بصوت مرتفع فأجابه نفس الاجابة الاولى . فغضب الرجل وحسبه يهزأ به . فصرخ فيه : « أجب عن سؤالى أيها الغبى » فقال له : « سر فى طريقك » . فتركه الرجل ومشى فى طريقه ثائرا يكيل له اللعنات ، ولم يكد يبتعد عنه قليلا حتى صاح فيه أن يتمهل ، ليلقى اليه بكلمة . فوقف الرجل متعجبا من غرابة أطواره . وسأله : ماذا تريد ؟ فقال له فى هدوء الفيلسوف : « اذا سرت على هذا النهج بلغت المدينة بعد ساعتين »

فأدرك الرجل أن جحا كان على صواب، فلم يكن فى وسعه أن يعرف مدى الزمن الذى يستغرقه حتى يبلغ المدينة ، قبل أن يتعرف من مشيته مدى اتساع خطواته

كامل كيلانى

لص فى بيت مفلس

سطا لص على بيت رجل مفلس أثناء الليل .. وأخذ يفتشه غرفة غرفة ، لعله يجد شيئا يسرقه . وكان صاحب المنزل مستيقظا واللص ينقب ، فصاح به بعد أن فرغ من التفتيش :

ـ انى فى ضوء النهار لا أجد فى هذا البيت شيئا .. فماذا تريد أن تجد فى ظلمة الليل !

2251
1
Dec

آه ..

بقلم الأستاذ يوسف السباعى

آه يا حبيبى . . هـل تسمع آهاتى . ما بالك إذن لا تجيب . . إنى أبصرك ، وإنى أتحسس وجهـك . أجل والله هذا وجهـك . لم لا تبتسم ؟ لم لا تقبلنى ؟ هل نسيت شفتاك القبل ؟

آه يا حبيبى آه ..
وماذا أملك غير آه .. أنفس بها عن ألم فى الجسد ولوعة فى الفؤاد. آه منك ومن داء أضنيت به القلب .. آه من علة سرت فى الجسد فأنهكته وحطمته. وتركته كأنه عود يبس أو ورق جف

آه .. آهة حارة ملتهبة عميقة

انى أحس بعد كل آهة بشىء من الراحة والهدوء .. ولكنها راحة عاجلة الزوال وهدوء سريع الافول كومض البرق .. سرعان ما يعقبهما ألم مستحكم ولوعة مستبدة .. فأصدر من صدرى الآهة تلو الآهة . انى أرقد على الفراش أتقلب وأتململ لاهثة الانفاس مكروبة الصدر . لست أدرى موقفى بين الحياة والموت. بى أمل فى الحياة .. وبى حنين الى الموت . بى رغبة عن العيش وخشية من الفناء . وكل ما بى من أمل وحنين ورغبة وخشية ، منبته أنت ، ولا أحد سواك

أنت وحدك .. المحرك لكل عاطفة تجيش فى صدرى . أنت وحدك .. كل ما أحس وكل ما أرى . ما شرد الفكر الا فيك .. وما فتحت العين الا على صورتك ، أتوهمها فى السقف وعلى الجدران، وفى النوافذ وفى الابواب ؛ وفى كل طيف وكل شبح . ما وعت الذاكرة الا ذكراك.. فهى تحفظ عنك كل شىء ، كل كلمة ، وكل حركة .. كأنها مرآة تعكس لى عنك كل ما أبصرته منك

انى أمد يدى تحت الوسادة ، فتلمس رسائلك ، ويسرى منها فى جسدى برودة تندى على وتبل حرارتى . وأحس انها فضلة متاع الحياة وبقية نعيم بائد ومتعة منصرمة. انى لأتعلق بها تعلق غريق فى كسر من حطام السفين . انى لاراها ملجئى فى العاصفة الهوجاء ، وملاذى وسط الامواج الطاغية

انى أتعلق بالحياة .. لمجرد وجودك فيها . وما دمنا كلانا أحياء ، فقد نلتقى يوما ، ويشدنا الهوى الغابر .. فيجرى فى النفس الذابلة ماء الحياة، ويحييها بعد طول موات

الهوى الغابر! ! أهكذا ياحبيبى أضحى هوانا غابرا ، نتحدث عنه كأنه شىء من التاريخ ؟

هذى رسائلك قد أخرجتها يدى لتنشرها أمام عينى

دعنى أنثر لك منها أحاديث الهوى الغابر .. الهوى الذى ثوى ، فاتخذت له من الصدر قبرا ، أسقيه دمع العين ودمع القلب.. حتى نمت ورود الذكرى على جوانبه ، فجعلت منه زينة القبور .. كما كان حبنا زينة الحب

آه يا حبيبى .. هل تسمع آهتى . ما بالك اذا لا تجيب . انى أبصرك .. وانى أتحسس وجهك. اجل والله هذا وجهك. لم لا تبتسم ؟ لم لا تقبلنى ؟ هل نسيت شفتاك القبل ؟ ما بالك لا تذكر ليالينا معا .. ليال أبعد فيها الهوى عنا الكرى .. فنعمنا بيقظة الحب النقى الطاهر

بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وتقى
يلفنا الشوق من فرع الى قدم
ثم انثنينا وقد رابت ظواهرنا
وفي بواطننا برء من التهم

أتذكر يا حبيبي ليلة ضمتنا كرمة الحديقة .. ليلة تسللنا من الدار خفية فاتخذنا من أوراق الكرم ستارا يحجبنا عن ضوء القمر حتى لا يكشف أمرنا . أتذكر كيف كان الشعاع الماكر يتسرب من بين الاوراق فيمسنا فى لين ورفق ، وكأن القمر يمسح بكفه الندى على وجوهنا

كان أول ما عرفته فى الحياة هو أننى أحبك ، فقد نشأت وحبك فى دمي . كنت أشبه بشجيرة صغيرة تروى بماء حبك، فلما نمت وترعرعت كان حبك يسرى فى عصارتها ويتغلغل فى عروقها وأوراقها .. وكنت لها الروح وكنت الحياة ، فكل ذرة فى جسدى تعلقت بها ذرة منك. فلست أرانى الا خليطا منى ومنك.. كيف يمكن اذا أن تنتزع منى ، وأن أعيش بدونك ؟

منذ عشر سنين وأنا أحبك.. كنت وقتذاك طفلة فى الثانية عشرة. ومع ذلك فقد كنت أحبك كما لم تحب امرأة من قبل . كنت أحبك كما أحبك الآن ، وكما سأحبك حتى نهاية العمر

كانت دورنا متجاورة ، وكانت تجمع بين عائلتينا صلة ود قديم وصداقة متينة ، فكنا أشبه بالاقرباء . وكنت صديقة أختك الصغرى وزميلتها فى المدرسة.. وأتاح لى كل ذلك أن اكون قريبة اليك كنفسك ، وأن أعرف كل شيء عنك كما أعرفه عن نفسي

هل تعرف أول يوم طرق فيه حبك باب قلبى ؟. هل تذكر ذلك اليوم الذى كنت أعدو فيه على سلم الدار ، فسقطت على ركبتى وسالت منها الدماء ؟ بالطبع لا تذكره .. فلا اظنه يعنيك شيئا أما أنا فانى أذكر كل ما حدث فيه بالضبط .. كان يوم خميس وكنت آتية لزيارة أختك . وأخذت أقفز على الدرج ، كما تعودت أن اقفز دائما . ولكن قدمى زلت، فهويت على ركبتى، وسالت منى الدماء .وكنت أنت تطل من النافذة ، فنزلت تعدو الى ، وحملتنى بين يديك فغسلت ركبتى وربطتها بمنديلك .. وحنوت على فى عطف وحنان ، ثم قبلتنى

ماذا كان أثر ذلك اليوم فى نفسك ؟ لا شيء .. فما كنت عندك أكثر من طفلة سقطت على الدرج ، فجرحت ركبتها ، وما كنت تحس نحوى أكثر مما تحسه نحو أختك الصغيرة

وماذا كان أثره فى نفسى ؟ أما عن القبلة .. فما زلت أحس حلاوتها حتى الآن . وأما عن المنديل .. فقد انتقل من ركبتى الى صدرى . لقد ضمدت به جرح ركبتى فيما مضى ، أما الآن فانى أضعه على صدرى .. على أضمد به جراح قلبى . لقد كان ذلك اليوم بداية حياة جديدة..

2251 1 Dec

أو قل انه كان بداية حياتى ، فما أذكر اننى كنت أحيا قبل ذلك .. لم أكن خلال تلك الفترة السابقة أكثر من جنين لم ير ضوء الحياة بعد

هل الحياة هى أن نأكل ونشرب ونام ونستيقظ . ما الفرق اذا بين الانسان والحيوان ؟ .. ان الانسان يحيا بقلبه، وغذاء القلب وهواؤه هو الحب . فاذا لم يحب الانسان ، فقد هواء الروح وغذاء القلب، وأضحى هو والعدم سواء

منذ ذلك اليوم — وقد اضحت رؤيتك غذاء نفسى — لا احتمل أن يمر بى يوم دون أن أراك . ولم تكن رؤيتك بالامر الشاق ، اذ كنت أقضى عند أختك جل وقتى

كم تسللت الى غرفتك فى غفلة منهم ، فجلست الى مكتبك وضممت كتبك الى صدرى ومسستها بشفتى .. لأنى كنت أعلم أن يدك قد مست صفحاتها وكنت أشم بين أوراقها عبق أنفاسك ، وأسمع من بين سطورها همس شفتيك .. كم اختلست اللحظات لأتحسس فراشك ، وأدفن وجهى فى وسادتك ، وأقبل كل ما تمسه يدى من أمتعتك .. كأننى عابدة فى هيكل مقدس

ومرت بى الايام وأنت لا تحس بى ، أو تحس بى كأخت لك . وأنا راضية قانعة أرقبك من بعد ، لا يزور الكرى عينى الا اذا نمت أنت . كنت أرقب حجرتك من نافذتى ، أتطلع اليها كما يتطلع المؤمن الى السماء .. لايرى ربه ، ولكن ملء نفسه الايمان به

وفى الليالى التى كانت غيبتك تطول ، والتى كنت لا أبصر فيها ضوءا فى حجرتك .. كنت أجلس فى انتظارك ، وكأننى من فرط القلق على جمر اللظى أو شوك القتاد . وكلما سمعت وقع أقدام فى الطريق مددت رأسى من النافذة ، فاذا لم أتبينك تملكنى الخذلان وعدت الى الانتظار . وهكذا أظل حتى تحضر وأطمئن فأذهب الى النوم

وأخيرا يا حبيبى .. بدأت أسمع لحبى صدى فى نفسك

كيف ؟ .. لست أدرى . وما حاولت قط أن أدرى . لقد كان حسبى منك ومن الحياة مجرد الاحساس بأنى قد أضحيت عندك ذات موضوع ، وانك بدأت تهتم بى ، وتختلس الى النظرات ، وتترقب المواعيد ، وتطيل من أوقات بقائك فى الدار

انى لم أدع قط الذكاء ، ولا قوة الملاحظة .. ولكنى كنت فى اكتشاف حبك لى من أشد الناس ذكاء ، وأقواهم ملاحظة . كنت تحاول أن تجعل لقاءنا صدفة ، ولكنى كنت أعلم انه كان وليد تدبير، وكنت أحس انك ترقبنى دون حاجة الى أن أنظر اليك

أية سعادة تلك التى كانت تغمرنى وقتذاك ؟ لقد بدأت تتطوع لمساعدتنا أنا وأختك فى الاستذكار وفى عمل الواجبات ، وأخذت تقضى الساعات الطوال

معنا فى الحجرة . ترسم لى رسما او تكتب لى واجبا ، وأنا أنظر اليك صامتة اللسان صخابة الحشا ، يكاد ينوء كاهلي بما حمل من صنوف السعادة وألوان الهناء . وهكذا بدأ بيننا دور الحب الصامت .. تثب الضلوع للضلوع ، ويخفق القلب للقلب ، وتهفو الروح للروح ، وتنبض المهجة للمهجة ، وتشتعل العين من العين . أما الشفاه فلا تنطق حتى كان ذلك اليوم الخالد ، يوم لقائنا تحت الكرمة . قلت لى هامسا انك تريد أن تسر الى شيئا ، وطلبت منى أن ألقاك فى كرمة الحديقة عند ما يسقط الظلام ، وأحسست أن قلبى يكاد يقفز من بين أضلعى ، وعرتنى اذ ذاك هزة وتملكنى الارتباك .. ولم أستطع أن أنبس ببنت شفة ، وانطلقت هاربة لا ألوى على شيء وعند ما سقط الظلام ، كنت أسترق الخطى الى هناك

آه ...

آه ياحبيبى من حلاوة الذكرى ومرارتها .. آه من جرح يدمى ومن قرح ينكأ . آه من ليلة لم تنسها النفس ، ولم يسلها القلب ليلة تساقينا فيها الغرام ، ومزجنا الروح بالروح .. ليلة لم تبق لى منها الا حسرات وآهات

لكأنى بالقدر وهبنا اياها خلسة فلشد ماكانت متعتنا فيها سريعة المسترد ، اذ عرفت فى اليوم التالى لها انك ستسافر فى بعثة الى الخارج

ولقد أصابنى هم شديد ، برغم انى كنت أعرف أن فى السفر تقديرا لك وازدهارا لمستقبلك . ولكنى كنت أخشى الفرقة ، وأوجس منها خيفة .. ولقد صدق حدسى . فحدث ما حدث

بعد بضعة أشهر من سفرك أنبأتنى أمى ان ابن خالتى تقدم لخطبتى . ووقع على النبأ وقوع الصاعقة ، وأجبتها بأنى لا أريد الزواج . ولكن المسألة لم تكن من السهولة بحيث يكفى أن أرفض الزواج فينتهى الامر

لقد ظنوا قولى بادىء الامر تدللا وخجلا .. ولكن عند ما اتضح لهم اصرارى ، تملكهم الدهش فلقد كانوا يرون فى ابن خالتى نموذجا للزوج الكامل ، من كل ناحية .. وزاد الحاحهم على ، وأخذوا يضيقون على الخناق .. حتى اضطررت فى النهاية الى أن أنبىء والدتى انى لن أتزوج أحدا سواك

وهنا بدأ دور النصح ، وأفهمونى أن من العبث أن أحاول انتظار الغد المجهول .. وان عصفورا فى اليد خير من ألف على الشجرة

اجل يا حبيبى .. لقد أخذوا يذمون لى فيك ، ويوازنون بينك وبين ابن خالتى .. رافعينه الى الذرى خافضينك الى الحضيض . ولكنهم كانوا كناطحى الصخر .. فما وهنت قط أمام أقوالهم ، وأصررت الا أتزوج سواك .. حتى كان ذات يوم ، وهنت فجأة وتهاويت وتخاذلت .. بل خررت

2251

امامهم صريعة ، عندما أخبرونى انك تزوجت ! !

آه . . .

آه منك ومن طعنتك الدامية ، كنت أستطيع أن انتظرك حتى آخر العمر . . ما دامت لى فيك بارقة أمل تعيننى على الانتظار . أما الآن . . فماذا أفعل وسط تلك الدياجير الحالكة من اليأس المميت ؟ !

مضت فترة وأنا لا أكلم أحدا ولا أسمع لأحد . . عافت نفسى الاكل وهجر عينى الكرى ، حتى بدأت أتمالك وأتماسك وأتجلد على هجرك وأتصبر ، وأخذوا هم يلحون على فى قبول ابن خالتى ، حتى تمت الخطبة . ماذا يضيرنى أن أتزوجه هو أو سواه ، ان كل الناس عندى سواء ، بعد أن فقدتك . ولم تمض بضعة أيام على الخطبة حتى رقدت طريحة الفراش . . ارزح تحت أعباء المرض

انى أحس بالداء ينخر فى جسدى . . وينتابنى أحيانا شعور بأن أيامى فى الحياة قد أضحت معدودات ، برغم انهم يحاولون أن يبعثوا الطمأنينة فى نفسى ويخففوا أمامى من خطورة حالتى

ان أكثر ما يثقل على فى محنتى ويوجع نفسى . . هو أننى مخطوبة لغيرك . كم تتملكنى رغبة شديدة فى ان ألقى بالخاتم من النافذة . . لأنى أحس انه يحز فى أصبعى وفى قلبى . اجل . . كان يجب على الا أقبل غيرك ، اما أنت أو لا أحد سواك . كان يجب على ان أنتظر . . أنتظر حتى نهاية العمر . . من يدرى ؟ . . اننى أحس بالندم يحز فى نفسى . انى لا أحتمل هذا الخاتم الثقيل ، سأقذف به من النافذة وسآمرهم ان يفكوا الخطوبة . . وليفعلوا بى ما يشاءون

●

وطويت المفكرة بعد أن انتهيت من قراءتها ومددت يدى بها الى صاحبى فى صمت وسألته هامسا :

ــ وهل فكت الخطبة ؟

فأجابنى صاحبى ، وقد شرد ذهنه وتاه بصره :

ــ اجل . . لأنها ماتت . لقد عدت من الخارج فوجدتها قد ذهبت . وأعطتنى أمها المفكرة وهى تنشج باكية ، وقالت لى : « انها لك . . كما كانت صاحبتها لك » غفر الله لها . . ولهم . لقد اتهمونى كذبا بالزواج ، وعلم الله انى ما نسيتها لحظة واحدة ، وانى كنت أعد الدقائق واللحظات لأعود اليها

وأطرق صاحبى برأسه ولمحت فى عينيه عبرة تترقرق . . وخرجت من صدره ــ حارة ملتهبة عميقة مريرة ــ كلمة « آه »

يوسف السباعى

نتيجة

مسابقة الاقصوصة

كنا أعلنا عن هذه المسابقة بين قراء الهلال فى الاعداد الماضية . وقد تضمنت شروطها أن تكون أقصوصة شرقية عربية تدور حول الوطنية ، والبسالة ، ولا يزيد عدد كلماتها عن ١٥٠٠ كلمة . وبلغ عدد القصص التى وصلتنا مستوفاة للشروط فى الموعد المحدد للمسابقة ٢٧٥ أقصوصة

وقد اجتمعت لجنة التحكيم المؤلفةمن الأساتذة : عباس محمود العقاد ، والدكتور طه حسين بك ، والسيدة أمينة السعيد ، ومحمود تيمور بك ، والسيدة بنت الشاطىء ، والدكتور أحمد زكى بك ، والاستاذ طاهر الطناحى

وبعد اجتماعات عدة ، بحثت فيها هذه الأقاصيص ، قررت اللجنة منح الجوائز لأصحاب الاسماء الآتية :

الجائزة الاولى وقدرها ٥٠ جنيها

للأديب محمد عبد الحليم صاحب أقصوصة « ابن العمدة »

الجائزة الثانية وقدرها ٣٠ جنيها

للأيب سليم اللوزى صاحب أقصوصة « البطل »

السيدة أمينة السعيد بجوار الدكتور طه حسين بك ، تسجل الأحكام التى اتفق عليها أعضاء اللجنة

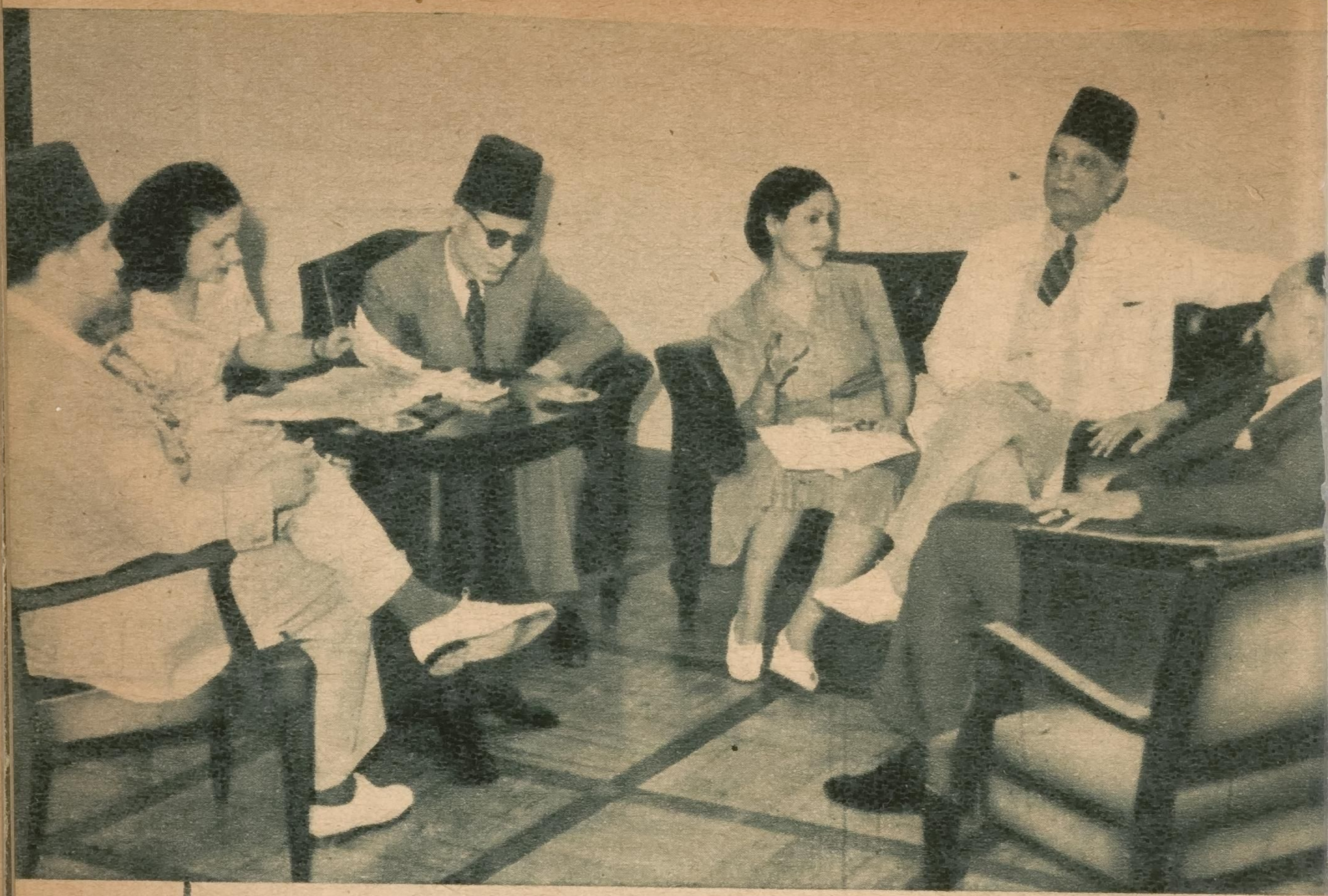

أعضاء لجنة المسابقة وهم من اليمين : الدكتور احمد زكى بك ، والأستاذ عباس العقاد ، والسيدة بنت الشاطىء ، والدكتور طه حسين بك ، والسيدة أمينة السعيد ، والأستاذ طاهر الطناحى

الجوائز الثلاث التالية ــ وقدر كل منها عشرة جنيهات

لكل من الأدباء : محمد أديب نحوى ، صاحب أقصوصة « الفجر » وعبد العزيز جاد الرب ، صاحب أقصوصة « هجرة » ومحمود محمد حسن ، صاحب أقصوصة « أمانى الوحدة »

وسترسل ادارة الهلال الجوائز للفائزين بالبريد

ومما يلاحظ فى هذه المسابقة :

أولا ــ أن عدد المشتركين قد تضاعف عن عددهم فى مثلها من مسابقات القصة التى أجرتها مجلة الهلال فى السنوات الماضية . وهذا يدل على اتجاه الجيل الجديد إلى العناية بكتابة القصة والاهتمام بها

ثانيا ــ ان الأدباء الذين اشتركوا فى هذه المسابقة قد حرصوا على أن يبرزوا المعانى السامية للبطولة والوطنية . . وهو ما يكشف اللثام عما يجيش فى نفوس أبناء العروبة قاطبة من حمية وحماس واستعداد للتضحية فى سبيل الدفاع عن حرية بلادهم واستعادة مجد آبائهم وأجدادهم

2251
1
Dec

الأقصوصة الفائزة بالجائزة الاولى فى مسابقة الهلال

بقلم

الأديب محمد عبد الحليم

ابن العمدة

ملت عليه بصفحة وجهى ، وقلت وعلى شفتى ابتسامة ملؤها تأثر واعظام : « وهكذا سيكتب التاريخ اسمك ياصديقى — بعد عمر طويل — فى سجل الخالدين ! »

فقطب فى سريره وهو راقد، وقرأت فى أسارير وجهه آيات من الألم المكبوت ، ثم واجهنى بعينين فيهما رضا وشجاعة واستسلام ، ووضع يده على جبهته فوارت شيئا من الضمائد التى لف بها رأسه ، ثم أسبل جفنيه وقطب وجهه ، كأنما يذكر شيئا بعيدا . وأخيرا اتجه الى باهتمام ، وقد انفرجت شفتاه عن ابتسامة فاضت بكثير من السخرية ، وقال : « التاريخ ؟ ! » قلت : « نعم .. التاريخ . ماذا فى هذا ؟ ! » فقال : « لا شىء فيه. الا أنه صنم نصنعه بأيدينا ثم نعبده ، وتكتبه الأهواء ثم تسجد له العقول . المجد الحقيقى يا صديقى فى صفحات أهملها التاريخ .. هى المناظر التى تخاطب العواطف على مرالدهور، وقد حذفها المضللون من شريط الزمن »

قلت : « ماذا تعنى ؟ » قال : « أعنى ما سأقصه عليك .. »

●

« كان ذلك فى أواخر يونيو سنة ١٩٠٦ حين بدأ الجلادون فى تنفيذ ما قضت به المحكمة المخصوصة — من جلدواعدام — على عدد من رجال «دنشواى» لانهم تعرضوا لضباط الانجليز وهم يصيدون الحمام، وكان اليوم قائظا ، والشمس قد توسطت السماء ، لأن المنتقمين أرادوا أن تكون ساعة تنفيذ الحكم هى نفس الساعة التى وقع فيها الاعتداء المزعوم على « الكابتن بول » ، حين أطلق رصاص بندقيته على حمامتين سقطتا على أكداس القمح . وكانت هناك امرأة على النورج تسوق بقرتها فى فتور وكسل واطمئنان ، فارتاعت لما رأت انجليزيا وبندقيته .. ثم نارا تشتعل فى قمحها وقوت

.. قال : « ما التاريخ إلا صنم نصنعه بأيدينا ثم نعبده »

عامها. فصرخت مولولة.. وأطلق الكابتن النار عليها من جديد ، فأصيبت وسقطت فاقدة الوعى.

وتجمهر الاهلون رجالا ، ونساء ، وأطفالا كانوا يلعبون تحت ظلال الشجر ، ليحولوا بين الضابط وبين بندقيته ، حتى لا يقتل أحدا . وانتهى المشهد بأن ذعر الكابتن ، وأخذ يعدو فى هذا القيظ حتى بعد عن القرية ثلاثة عشر كيلومترا ، وكان برأسه جرح غير بالغ .. لكن الجرى والحر أفسداه حتى جعلا منه سببا لموته

« وفى الجرن حيث سقطت الحمامتان اللتان قصدهما الكابتن بالصيد، نصبت مشانق، وضربت خيام ، ودعى كثير من أعيان القطر ليشهدوا درسا فى الانتقام لا تنساه الاجيال. ووقف الحرس الانجليزى بخيله وسلاحه، والتف أهل القرية حول الجرن يودعون الأحباب على عتبات الاستشهاد بدموع حرى واشارة خرساء

« ونفخ أحد الجنود فى البوق ايذانا بابتداء التنفيذ.. فارتجفت آلاف من القلوب والأجساد ، وصعد أربعة رجال سلم المشنقة حيث أسلموا رقابهم للحبال ونفوسهم لله . ونقلت جثثهم الى الخيام للغسل والتكفين ، ثم

تعالت أصوات عشرات من الرجال يصرخون من سوط الجلاد. وسجل المستعمر الغاشم لنفسه بطشا جديدا على نفوس الابرياء

« وقبل أن ينفض الجمع ويفارق الشرود الألباب ، حوم سرب من حمام دنشواى فى سماء الجرن ينخفض تارة ، ويرتفع تارة ، ثم سقطت حمامتان منه على ذروة احدى المشانق ، فأطلق رئيس الحرس عليهما النار من بندقيته فقهقه الجنود وفزع الناس .. »

ثم سكت الجريح عن الحديث قليلا ، ريثما يرتشف جرعة من الماء .. وتحسس بيده الضمادات التى على بطنه ، وقال يكمل الحديث :

« كان فى القرية فى ذلك الحين فتى فى السابعة عشرة من عمره ، قوى البنيان ، سمهرى العود. وكان ذاهبا لبعض شأنه يوم وقعت هذه الحادثة المشئومة . ولما رأى ما يبدو على وجه الكابتن بول من شر أكيد ضربه بحجر فى مؤخر رأسه ليستطيع استخلاص البندقية من يده . ولم يكن هذا الشاب الا ابن العمدة ووحيده ووارث ثروته ، وكان طالبا يقضى اجازة الصيف ، وقد أتم دراسته الثانوية فى ذلك العام

« وعم القرية هرج ومرج بعد اصابة الكابتن واهتمام أولى الامر بالامر . ولم يدرك العمدة البطاش عظم الكارثة .. فقد القى التهمة على عميد أسرة معادية له منازعة اياه فى السلطان ، وعلى بعض أفرادها كذلك . وكانت الفتنة عظيمة أفقدت كل حليم لبه ، فلم يستطع أحد للشر دفعا

« وسجى الليل ، ونامت عيون على ذعر ، وسهرت عيون تفكر فيما عسى أن يحمله الصباح .. لأن دنشواى سادها فى ذلك الحين ما كان قد ساد فرنسا أيام عهد الارهاب حين جرى على الألسن مثل يقول : « سق عدوك الى المقصلة قبل أن يسوقك اليها ». فكانت أقل الوشايات عند العمدة تدخل أى رجل فى عداد المتهمين الذين جعل مسجد القرية لهم معتقلا

« نعم .. سجى الليل ، وخلا الولد بأبيه ، وكان الخفراء قد جروه جرا الى بيته بعد الحادث ، فقال لأبيه :

— لعلك تعلم يا أبى اننى أنا الذى ضربت الضابط الصياد

فقال العمدة متجاهلا :

— لا علم لى بذلك .. احذر يا بنى أن يعلم أحد بهذا النبأ

— اذن فسينال العقاب غير مرتكب الجريرة ، وهذا ما لايحتمله ضميرى

— وماذا تريد أن تفعل أيها المجنون ، هل يخوض النار أحد بمحض ارادته ؟ !

— اصغ الى يا أبى .. هذا شىء لا مجال للنقاش فيه ، ولك الآن أن تختار أحد أمرين .. فاما أن تسلمنى للعقاب بوصفك ممثل الحكومة فى هذه القرية ، واما أن أسلم نفسى بنفسى

وهنا ثار العمدة ثورة الجنون. فأخذ يضرب صدر ولده بقبضة يده تارة ، ويلطم وجهه تارة أخرى ، ثم يميل عليه يقبله مرة ويحتضنه مرة ، ويدفعه عنه فى قسوة وعنف مرة أخرى ، ودموعه تسيل على لحيته .. ولما أفاق قليلا ، قال له :

ـ أنت وحيدى ووارث اسمى وثروتى .. فكيف أسلمك للموت ، ألا ترحم الأبوة والشيخوخة والدموع ؟ !

فقال الولد بصوت خافت كأنه صادر من أعماق قبر :

ـ وأنت يا أبى .. ألا ترحم دموعا فى غد ستسيل ، ولو تجمعت لجرت جدولا ، ثم ألا ترحم دماء فى غد ستسفك ، ولو تجمعت لملأت غديرا ؟ !

●

«مضى على هذا الحديث شهر ، ونفذت أحكام « محكمة التفتيش » فى القرن العشرين ، وفتحت قبور وسجون ، وأغلقت أبواب بيوت ، ولم يظهر ابن العمدة فى القرية . وقال أبوه :

ـ انه مريض فى احدى المدن ويحتاج الى علاج طويل ..

« وانقسم أهل دنشواى فى موقفهم من ابن العمدة عقب الحادث ، ثلاث فرق : فرقة الامعات الذين لا خطر عندهم ، وفرقة الأحباب المتملقين ، وهؤلاء لاخطر عندهم كذلك ، أما الأعداء ، فقد وسعتهم حيلة العمدة .. وسرعان ما اشعلت فى قمحه النار ثم اتهموا فيها ، وقوى الاتهام انهم انما يريدون أن ينتقموا لاتهام ذويهم فى حادث الحمام

قال صديقى : « يبدو عليك انك تتلهف الى معرفة حلقة مفقودة فى حديثى ، وهى : «الى أين ذهب ابن العمدة ؟ »

« وأقول : انه لم يذهب ... ولكنه ذهب به ... حمل بالليل مكتوفا الى حيث أخفاه أبوه فى عزبة بعيدة حتى لا يخوض النار بقدميه . ولم يكن الحكم فى قضية الحمام حكما منطقيا عادلا يقصد به تقديم المذنب بنفسه لينال الجزاء كما هى سنة العقاب ، وانما كانت فكرة الارهاب والانتقام تسيطر على عقول الحاكمين ، كأنهم أرادوا أن يخوفوا الناس ببشاعة الدم ، فأراقوا دم من صادفوه »

ثم شحب لون محدثى قليلا حتى خيل الى أن عينيه غارتا أكثر من قبل ، وتلوى فى فراشه وقال :

ـ وقد عاش هذا الشاب يئن تحت عبء الضمير ثلاثة عشر عاما ، ثم أتم دراسته فى الحقوق واحترف المحاماة . ولعل لحادث الحمام دخلا كبيرا فى اختياره المهنة

●

ونحن الآن فى سنة ١٩١٩ ، ومصر تغلى كلها فى أتون من الثورة .. ثم سكت واندفع يقول كأنه خطيب :

ـ وقد قاد ابن العمدة الجماهير بروح قوية ، وحمل رأسه على

كفيه ، وهو معتقد أنه سيموت. ولكن موته كالصلاة التى تقضى ، على حين أنه كان يجب أن تؤدى فى وقتها المحدود

لم يرهبه رصاص الانجليز فى شوارع المدينة . وكم من سلاح استولى عليه منهم بيده العزلاء وقلبه المسلح باليقين والغيرة ، ثم أطلقه على عدوه،وأكب عليه ليقول له فى أذنه والدم ينزف منه : « قتلتك حمامة من دنشواى »

وهو لا يعلم — وقد لا تعلم أنت كذلك — كم كانت هذه الكلمة تشفى غلة صدره ؟!

قلت له مبهوتا :

— يخيل الى انك تقص على قصتك !

فقال وقد هدأت ريحه وانبسطت أساريره : « نعم هو كذلك »

قلت : « وكيف تخفى عنى الآن اسم موطنك ؟ ! »

قال : « كان ذلك عورة من عوراتى التى سترتها عن الاصدقاء .. وأنا اليوم على عتبة الآخرة بعد أن أصابنى رصاص الانجليز، أعترف لك بكل ما يؤلم كما يعترف المسيحى أمام القسيس . أما ابى فسيذيقه الله الثكل »

ومضت أيام قلائل سرنا بعدها شوطا قصيرا الى حيث وارينا البطل التراب وهو فى مقتبل الحياة ، وعدت وأنا أذكر قوله الساخر :

— التاريخ ؟ !.. ما التاريخ الا صنم نصنعه بايدينا ثم نعبده ..

محمد عبد الحليم

فضولى !

شرع رجل يكتب خطابا خاصا فى احدى السيارات العامة ، وكان بجانبه شاب يتابع النظر فى الورقة التى يكتب فيها .. فتضايق الرجل وكتب « ان شابا جاهلا خسيسا ينظر فى خطابى ويضطرنى الا أواصل الكتابة » . فغضب الشاب ، وقال : « انى لم أنظر فى خطابك » . فقال الرجل : « وأنا لم أكتب عنك شيئا ! »

جواب صفحة ١١٨

جواب صفحة ١١٨

حينما أسقط الرجل الدرهم فى الجرة ، صعدت على سطح الماء بقع من زيت استدل منها القاضى على انه درهم ملوث بزيت الفطير الذى احتوته سلة الصبى

قصة سينمائية
مغامرات كازانوفا

من قصص الكفاح ضد المستعمر المحتل

حدثت هذه القصة فى جزيرة «صقلية» بايطاليا .. فى ذلك العهد الذى غزا فيه النمسويون الجزيرة ، وأذاقوا أهلها ألوانا من العسف والاستبداد ، وقطعوا عنهم المؤونة والزاد

فلا عجب اذا ألف كازانوفا عصابة من الثوار وجعل منهم سلاحا رهيبا للانتقام ، يشهره فى وجوه الغزاة وكل من يعمل تحت امرتهم .. وبخاصة دالبرنسى ، حاكم الجزيرة ، الذى أسلم قياده لهم فى سبيل احتفاظه بمركزه

●

وتبدأ حوادث القصة فى احدى الغابات المنتشرة فى الجزيرة ، حيث كمن أفراد العصابة فى الغابة يحيط بهم الظلام من كل ناحية فى انتظار اللحظة التى يخطون فيها أول خطوة فى سبيل تحرير وطنهم وتخليص قومهم مما يقاسونه من هول وشظف وجوع

وعاد كازانوفا بخواطره الى الماضى القريب ، عندما قتل الغزاة والده وأخته ، وأحرقوا أملاك أسرته ، وشتتوا من فيها بمعاونة الحاكم الظالم . فوقف من أجل ذلك مع عصابته موقف التربص ليطلق أول سهم من سهام الانتقام

ولم يكن هدفه سوى شقيق الحاكم ، الذى كان سيمر بالغابة فى طريقه الى قصر أخيه للاشتراك فى حفلة زواج ابنته من النبيل دى بريساك ، شريك الحاكم فى ظلمه واجرامه

ولو أن كازانوفا كان فى موقف غير موقفه هذا ، لما أقر مثل هذا الزواج ، فهو يعرف أن الفتاة تكره هذا الزوج الذى يريد والدها أن يزفها اليه قسرا ، وانها بعد حضورها من مدرسة الراهبات التى قضت فيها سنى طفولتها وبعض أيام شبابها تعيش حبيسة فى قصر والدها حتى تحين لحظة زفافها

كان يعرف كل هذا .. ولكنه لم يحرك ساكنا وهو الذى اعتاد أن يهب لنجدة كل فتاة ، وبخاصة اذا كانت تتمتع بقسط وافر من الجمال ، مثل اللادى بيانكا ابنة الحاكم !

ولكنه كان حينذاك فى شغل شاغل عن الجمال وصاحبات الجمال ، انه يريد أن ينتقم لوطنه وقومه

وقطع عليه أفكاره صدى ضربات حوافر خيل قادمة من بعيد .. فانتفض فوق جواده وأرهف سمعه حتى اذا ما زاد الصوت وضوحا صاح فى رجاله :

— استعدوا

ولم تكد العربة التى تقل شقيق الحاكم تقبل عليهم حتى أطبقوا عليها من كل ناحية .. وما هى الا لحظات حتى أسروا شقيق الحاكم . وصارحه كازانوفا فى

سخرية بأنه يسره أن ينزله فى ضيافته سواء رضى أم كره ، وأمر رجاله بأن يأخذوا ضيفهم معهم الى قصره الجبلى القديم ويشددوا عليه الرقابة حتى يعود اليهم

واستدار بجواده بعد أن طلب من زميليه «لورنزو» و«دانتشى» أن يتبعاه ، وتوجه نحو قصر الحاكم !

وفتح بابه على مصراعيه للثوار الثلاثة بعد أن لوح للموجودين فيه براية بيضاء اشارة للتسليم ، واهتز القصر بمن فيه لأن الثائر الرهيب حضر بنفسه اليهم ، ودخل فى جرأة واعتزاز ، هو وزميلاه ، مارين بصفين من الجنود فى طريقهم الى غرفة الحاكم

ولمح كازانوفا فى الغرفة غادة رائعة الجمال هى اللادى أدريا محظية الحاكم ، ولكنه ألقى عليها نظرة عابرة على غير عهده عندما ترى عيناه مثل هذا الجمال . وما أن رأى الحاكم أمامه ــ والى جانبه دى بريساك ــ حتى انحنى فى خضوع مصطنع ، وقال له :

ــ اننى يا سيدى جئت أحتج على ما تقاسيه النساء والاطفال من جوع وحرمان

فرد عليه الحاكم فى برود قائلا :

ــ وأنا أمرت بأن تعدموا ثلاثتكم رميا بالرصاص

وكان كازانوفا يتوقع مثل هذا القول ، فابتسم وقال :

ــ أخشى أن يفقد سيدى شقيقه اذا نفذ هذا الامر .. انه أسير لدى .. فاذا لم أعد الى رجالى حتى منتصف الليل كان الموت مصيره .. سيدى .. أريد أن تأمر حالا باطعام الجائعين

واجتاحت الحاكم موجة غضب .. ولكنه كظم غيظه وغادر الغرفة تتبعه اللادى أدريا التى التفتت خلفها قبل خروجها فالتقت عيناها بعينى كازانوفا ، ووجد الثائر نفسه عاجزا عن مقاومة جمالها الصارخ ، فابتسم لها قبل أن يتجه الى النافذة ليشاهد قومه الجائعين وهم يتلقون نصيبهم من الطعام فى حوش القصر

●

وبادر كازانوفا الى الخروج من القصر ، وفيما هو فى طريقه اقترب منه أحد الحراس ووضع فى يده ورقة لم يكد يرفعها الى عينيه حتى نفذ منها عطر ساحر . وقرأ ما فيها فاذا اللادى أدريا تستدعيه الى مخدعها !

ولم يكن كازانوفا بالذى تفوته مثل هذه الفرصة ، فنظر الى لورنزو ودانتشى ، وأمرهما باستحضار عربة وانتظاره فيها بجانب سور القصر الشمالى

ولم تحل اعتراضات لورنزو بينه وبين رغبته ، وهكذا لم تمض لحظات حتى كان فى مخدع اللادى أدريا .. ولم يجد أشهى من شفتيها القرمزيتين وهو يقطف منهما أحلى القبلات ، وفجأة انفلتت من ذراعيه ، وقالت له فى فزع :

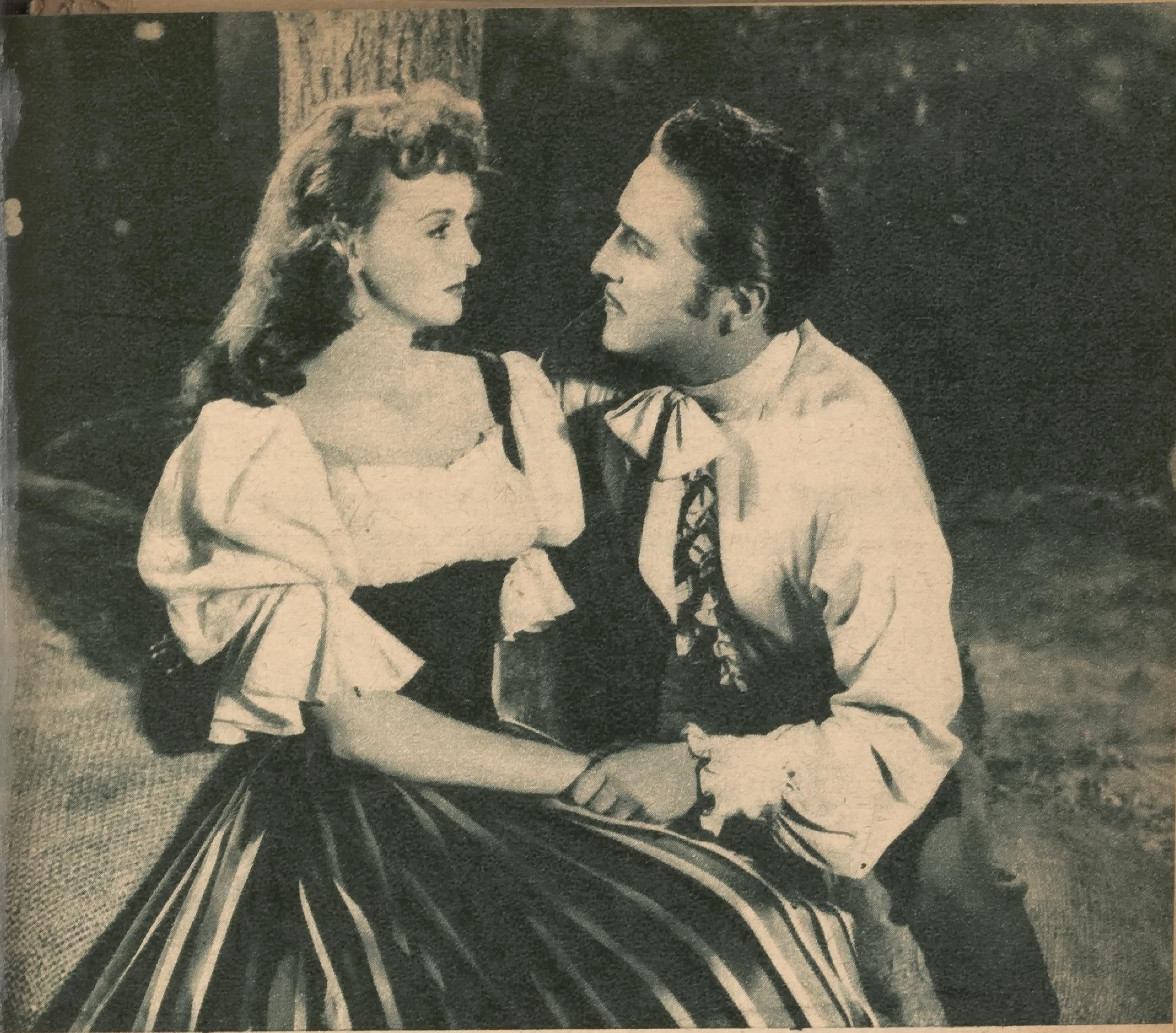

.. وسمعها تقول : « خذنى معك .. لاتتركنى »

ـ اذهب حالا .. ان ضميرى يوبخنى .. لا يمكننى أن أشترك فى هذه الجريمة .. ان دى بريساك يحتال على تأخيرك الى ما بعد منتصف الليل

فقهقه كازانوفا ضاحكا ، ثم ودعها بقبلة وهو يقول :

ـ قولى له ان حراسه عكروا على صفو خلوتى بك فوليت منهم فرارا !

وفيما هو يتحسس طريقه فى الظلام أمسكت به يد ، واذا هو أمام خادم نحيف قال له فى صوت مرتعش :

ـ مولاى .. سيدتى تستنجد بك .. انها فى حديقة القصر !

وسأل كازانوفا نفسه : « هل هو فخ آخر يريد ايقاعه فيه ؟ » ولكن ماذا يهم ما دام فى الامر سيدة ..؟ ولم يشعر الا وهو يقفز من مكانه الى الحديقة ليرى نفسه بجوار التى تستنجد به .. ويحس بذراعيها البضتين تحيطان به وشفتيها تلتصقان بشفتيه فى قبلة حارة تعبر له بعدها عن شكرها له ، ولم يكد يملأ عينيه من جمالها النادر حتى سمعها تقول :

ـ خذنى معك .. لا تتركنى
ـ ولكننى من الثوار ياسيدتى !
ـ أعرف .. بالله عجل .. لقد اكتشفوا هروبى

وتردد أول الامر .. ولكنه رأى فى جمالها براءة وطهرا فزايله تردده وانتزع سيفه من غمده وأمسك بيدها متجها فى سرعة الى سور القصر الشمالي . وأمام باب السور وجد العربة وبجانبها لورنزو ودانتشى

وما هى الا لحظة حتى كان هو والفتاة بداخل العربة التى لم تكد تتحرك حتى تعلق بها الخادم النحيف وألقى بنفسه تحت قدمى سيدته

واندفعت العربة مسرعة ، وأحاط كازانوفا الفتاة بذراعه وهم بتقبيلها فأبعدت وجهها عنه وهى تقول :

ـ أرجوك .. ان كنت قد قبلتك فى الحديقة فلفرحى بحضورك لنجدتى .. اننى أحب شخصا آخر .. وهو يحبنى أيضا

ثم استطردت بعد لحظة :

ـ اننى يا سيدى السنيوريتا بيانكا دالبرناسى

فصاح كازانوفا مندهشا :

ـ يا الهى ..! ابنة الحاكم ؟ !

وازدادت دهشته عندما وصلت العربة الى قلعة الثائرين فى الجبل .. فلم يكد يساعد بيانكا على النزول وهو يحاول مغازلتها من جديد ، حتى رآها تنفلت من يديه وتجرى نحو زميله لورنزو وتلقى بنفسها فى أحضانه .. انه حبيبها الذى حدثته عنه !

وفيما هو فى دهشته سمع صراخا، فالتفت ليرى الثائرين وقد هجموا على الخادم الذى رافق سيدته يريدون التنكيل به . فصاح فيهم كازانوفا :

ـ أتركوه .. لقد ساعدنى على الفرار

وأحاط كازانوفا الخادم بذراعه مهدئا روعه بابتسامة ، وعندما رأى الخادم سيدته تبتعد مع حبيبها نظر الى كازانوفا نظرة خضوع ، وقال :

ـ كم يسعدنى يا مولاى أن أكون خادمك المطيع

فربت كازانوفا على كتف الخادم بكفه وقال :

ـ لقد قضيت يوما متعبا .. فلنذهب الآن الى النوم

وعندما دخلا الغرفة لاحظ علامات الارتباك على وجه الخادم فناداه :

ـ تعال يا حبيبى واخلع لى حذائى !

وشد الخادم الحذاء عاجزا ، فقال له :

ـ كأنك امرأة فى ضعفك .. سأجعل منك رجلا !

وسمع كازانوفا فى هذه اللحظة صوت لورنزو يتكلم واللادى بيانكا تبكى ، فأسرع الى النزول ليرى معهما الأب جاكوبو وهو يقول :

ـ ولكنك مرتبطة الآن

بالشفاليـيـه دى بريسـاك .. ولا يمكننى عقد زواجكما

فصاح لورنزو :

- اذا كان هو العقبة.. فلابد أن أزيله من طريقى .. سأبارزه وأقتله ..

ورآه كازانوفا يكتب كلمـة يتحداه فيها ، ثم سمعه يرجو الأب جاكوبو أن يوصلها اليه

وعاد كازانوفا الى غرفتـه مهموما .. فهـو يعرف أن دى بريساك من أبرع رجال السيف ، ولا بد أنه سيقبـل التحدى ويصرع لورنزو كما يصرع دجاجة عاجزة عن الدفاع عن نفسها

●

وفى الصباح عاد الأب جاكوبو لينبىء لورنزو بقبول التحدى ، وشغل هـذا الامر بال كازانوفا طوال اليوم وانتهى به تفكيره فى المساء الى أن يقرر أن يحل محل لورنزو فى هذه المبارزة . وسمعه الخادم وهو يحدث نفسه قائلا :

- حرام أن تحرم منه بيانكا. أما أنا فليست هناك امرأة يهمها أمرى

فتقدم منه الخادم وقال :

- سـيدى .. حان وقت العشاء .. ولن يطيب لك الطعام وحدك بقدر ما تشاركك فيـه واحدة .. لقد رأيت هنا فتـاة أظنها تعجب سيدى

وابتسم كازانوفا لاقتراح الخادم ولطمه على ظهره بكفه وقال :

- فكرة مدهشة .. احضرها يا غلام !

وبعد لحظات سمع طرقا على الباب ، فأمر الطارق بالدخول.. وما كاد يفتح البـاب حتى رأى أمامه أجمـل فتـاة وقع عليهـا نظره . وقبـل أن ينطق بكلمـة سمعها تقول فى ابتسامة ساحرة وهى تتقدم اليه :

- يسرنى أن أقضى بعض الوقت معك كما طلبت. .اسمى زانيتا. . ونظر الى وجهها مدققا ثم قال :

- كأنى رأيتك من قبل

وأمسك بيدها واتجه بها الى المائدة ، حيث تنـاول معهـا ألذ عشاء ذاقه فى حياته . وسألها بعد انتهاء الطعام عما اذا كانت تعرف اللعب بالورق .. فلمـا أجابته بالنفى قال لها :

- اذن سأعلمـك .. فاذا تغلبت على أعطيتك نقودا. .واذا تغلبت عليك أعطيتنى قبلات !

ومضت ساعتان .. واذا به يجد نفسه وقد خسر آخر قطعة من النقـود ! ولـكن هل يخسر قبلاتها أيضا ؟ ونهض من مكانه واقترب منها قائلا :

- أريد أجرى يا سيدتى .. ألم أعلمك لعب الورق ؟

وهم بتقبيلها ليتقاضى أجره ، فأبعدته عنهـا فى رفق ، وقامت لتتجه الى الباب قائلة فى ابتسام :

- لم يحن بعـد وقت السداد يا سـيدى ..! أتمنى لك أحلاما سعيدة !

وفيما هى تخرج من البـاب ربت بيده على ظهرها كعـادته وقال :

ـ سأستيقظ قبل الفجر « يا صبى » فليكن طعام الافطار معدا

والتفتت اليه الفتاة فى دهشة وقالت :

ـ اذن فقد كنت تعرف أننى فتاة لا صبى !

ـ منذ رأيتك عندما جئت تطلبين النجدة لسيدتك .. لا شىء يخفى على عينى خبير بالنساء يا آنستى !

وتبعها بنظره وهى تبتعد عنه فى خفر وحياء .. ولأول مرة يجد صورة جميلة تلازم خياله وهو الذى لم يفكر طوال حياته فى امرأة معينة. ولكن ها هى ذى صورتها ماثلة أمامه حتى فى اللحظة التى خرج فيها لمبارزة دى بريساك . ووجده منتظرا بالغابة فما كاد يراه حتى قال :

ـ جئت وحدك يا كازانوفا .. حسنا .. سيكون لى منك صيد أثمن من صديقك الجبان

ودفع اللعين سيفه بسرعة نحو كازانوفا ولكنه تفادى الضربة التى وجهها اليه خصمه .. ثم اشتبكا فى مبارزة حامية .. وفجأة سمع الاثنان ضربات حوافر جواد تختلط برنين السيوف، ثم تقدم الفارس بسرعة من المتبارزين فاذا هو .. زانيتا

ونظر اليها كازانوفا متسائلا فسمعها تقول :

ـ أسرع بالهرب .. ان جنود دى بريساك يحيطون بالمكان . واستحثت زانيتا الجواد وابتعدت

وقبل أن يتبعها كازانوفا صاح دى بريساك طالبا جنوده ، فاذا بهم بعد لحظة يطبقون على كازانوفا ويسدون فى وجهه طريق الفرار !

وذهب معهم مقيد اليدين الى قصر الحاكم .. وما كاد يدخل حتى غاص قلبه فى قدميه ..! فقد رأى أمامه زميليه لورنزو ودانتشى فى حراسة بعض الجنود. واذن فقد أصبح الثائرون بدون زعماء يقودونهم !

دخل دى بريساك بعد لحظة وقال فى ضحكة ساخرة :

ـ ان اللادى بيانكا ترتدى ثوب الزفاف .. كما أن جواسيسنا جاءوا الينا بأخبار عن جيش الثائرين فى سالونيتو. ولكن لا رجاء فيهم بدون زعمائهم. سنفنيهم عن آخرهم اذا ما حاولوا اللحاق بكم

ورفع كازانوفا قبضته فى وجه خصمه ، فأمسك به الحراس فصاح وهو يشغلهم بمقاومته لهم :

ـ اهرب يا لورنزو .. الى سالونيتو

وبسرعة البرق قفز لورنزو من النافذة، بينما استمر كازانوفا فى المقاومة حتى تغلبت عليه كثرتهم .. وأصدر الحاكم أمره باعدامه هو ومن قبض عليهم من الثوار بعد انتهاء الايام الثلاثة التى يحتفلون فيها بعيد القديسة روزالى

واقترح دى بريساك وضع كازانوفا فى برج الكاتدرائية

اللادى بيانكا ترتدى ثوب الزفاف

بالغرفة الواقعة تحت الاجراس. فسرت القشعريرة فى بدن كازانوفا وتملكه الرعب ، فهو يعرف أن لهذه الاجراس رنينا مفزعا ينتزع الروح من الجسد .. وما من أحد زج به فى هذه الغرفة وخرج منها بعقله

وما هى الا لحظات حتى وجد كازانوفا نفسه بين جدران هذه الغرفة الرهيبة . ونظر حوله فى يأس ، فرأى نافذة بالباب ذات قضبان حديدية ، ونافذة أخرى مثلها فى أعلى الغرفة

●

وفى محنته اتجه فكره الى زانيتا .. ترى ماذا هى فاعلة بعد أن تعرف ما حدث ؟ ويقطع عليه تفكيره رنين الأجراس المفزع. وحاول أن يصم أذنيه بيديه عن سماع هذا الرنين بلا جدوى .. ولبث هكذا يتلوى من فرط الألم حتى صمتت الأجراس .. فاذا هو شبه مجنون

وهكذا كان يتكرر عذابه كلما دقت الأجراس . وانقضى عليه يومان .. وفى مساء اليوم الثالث استند الى الحائط البارد مجهدا شارد النظرات وهو ينصت الى أصوات الجماهير فى احتفالها بالعيد.. ذلك اليوم الذى سيلقى حتفه بانتهائه فى فجر اليوم التالى

وفجأة رأى شيئا يمر بقوة من خلال نافذة الغرفة العليا .. فتناوله فاذا هو سهم ، كسره فوجد فى تجويفه مبردا صغيرا . اذن فرجاله لم ينسوه ، ولمعت عيناه وهو ينظر الى المبرد ، لانه وسيلته الى النجاة

وما كاد ينتهى من تحطيم آخر قضيب بنافذة الباب، حتى سمع صوت الحارس مقبلا فانتظر حتى أطل عليه من خلال القضبان المتداعية . ثم مد يديه بسرعة وأطبق بهما على عنقه وأمره بفتح الباب والا فمصيره الموت

وما هى الا لحظة حتى خرج كازانوفا من باب الغرفة الرهيبة بعد أن قيد الحارس الذى صارحه بأن باب السلم الذى يؤدى الى أسفل مغلق ، ولن يحضر أحد لفتحه الا بعد ساعة

وبدلا من أن ينتظر أسرع الى قمة البرج وألقى نظرة على الأجراس فى صمتها ، ثم ربط دقات الاجراس

وبعد لحظات اهتزت الاجراس ولكن لم يسمع لها رنين ، وفجأة انقطعت أصوات الجماهير والكل يتساءل عن سبب صمت الاجراس

وأسرع كازانوفا بالنزول واختفى بجوار الباب المقفل حتى يصعد أحدهم ليكشف أمر الأجراس الصامتة

وفتح الباب .. ونفذ منه رئيس الحراس ، ولم يكد يصعد الى قمة البرج حتى انفلت كازانوفا ونزل مسرعا حتى وصل الى أسفل البرج ، فوجد وسط الجمهور المتلهف الى سماع رنين الأجراس أشخاصا مقنعين بينهم زانيتا

ودفعوا به الى عربة منتظرة ،

ولم تكد تتحرك حتى جرى وراءها الحراس الذين شعروا بهروب كازانوفا ، وألهب السائق ظهور الجياد بسوطه فأسرعت بالعربة وطلقات الرصاص تدوى خلفها

ورأى كازانوفا وهو جالس فى العربة الأب جاكوبو ينزل اليه من فتحة العربة العليا . . ثم رأى زانيتا تسقط من فوق العربة الى الارض وقد أصابتها رصاصة ، وقبل أن يفعل شيئا كان الجنود قد أحاطوا بالمسكينة من كل جانب !

●

فزع كازانوفا لعجزه عن انقاذ الفتاة التى يحبها فى الوقت الذى ضحت فيه بنفسها لانقاذه . فهى التى دبرت له خطة الفرار كما أخبره الأب جاكوبو

وفى حدود المدينة وجد كازانوفا شرذمة من أقوى رجاله فى انتظاره ، فأخبرهم أن دانتشى وبعض زملائه سيشنقون فى الفجر ولابد من انقاذهم ، وما هى الا لحظة حتى قفل راجعا الى قصر الحاكم مع رجاله ، وهاجموا القصر ، وقامت معركة كبيرة بينهم وبين الحراس . وفى أثناء ذلك اتجه كازانوفا الى حديقة القصر فرأى نافذة مضاءة ، وصعد اليها ونفذ منها الى الداخل واذا به يرى زانيتا مرتكنة الى أحد المقاعد فى حالة شحوب وبجانبها اللادى بيانكا . فأسرع اليها شاكرا ربه على أن وجدها حية ، وطلب الى الفتاتين أن تعجلا بالنزول حيث تنتظرهما عربة بجوار السور

وتركهما واتجه الى غرفة الحاكم ، وفيما هو فى طريقه اليها طرق سمعه صوت يقول له :

— لقد جئتنا بنفسك مرة أخرى !

والتفت ليرى دى بريساك وهو يبتسم فى خبث ويقول :

— ان الحاكم موجود فى باليرمو ليشرف بنفسه على تنفيذ حكم الاعدام فى زملائك . . وعندما تسمع الاجراس تدق دقات منتصف الليل يكونون قد انتقلوا الى العالم الآخر

●

وقبل أن يدفع دى بريساك بسيفه نحو كازانوفا ، كان هذا أسرع منه فى تفادى الضربة التى وجهها اليه . . وبضربة أخرى دفن كازانوفا سيفه فى قلب خصمه فسقط مضرجا بدمه

وأسرع الى رجاله يستحثهم فى الذهاب الى باليرمو لانقاذ زملائهم . وهناك فى الميدان العام كانت الجماهير الحاشدة قد ملأت المكان فى انتظار تنفيذ الحكم . وفجأة رأى كازانوفا بجانبه الأب جاكوبو الذى أخبره أن لورنزو قادم على رأس الثوار من سالونيتو وكالعاصفة تجتاح كل شىء أمامها اندفع الثائرون الى الميدان . ورأى كازانوفا الحاكم الظالم وهو يولى الأدبار مع رجاله ، فقفز من فوق جواده الى المشنقة ورفع الحبل عن عنق دانتشى

وصاحت الجماهير هاتفة للثوار

.. رأى كازانوفا الحاكم الظالم وهو يولى الأدبار مع رجاله

وزعيمهم كازانوفا الذى سار وبجانبه لورنزو ودانتتشى ليحتفلوا بأول نصر أحرزوه

وفى جانب من الميدان كانت اللادى بيانكا واقفة بجوار عربة فى انتظار لورنزو .. فلم تكد تراه حتى ألقت بنفسها فى أحضانه ، ثم استدارت الى كازانوفا وقالت :

ـ الفضل لك وحدك فى جمع شملنا .. أشكرك من كل قلبى

واستقل لورنزو وبيانكا العربة وكازانوفا يتبعهما بنظره ، وكأنه يغبط لورنزو على فوزه بهذه الغادة الجميلة ..

وفيما هو فى موقفه سمع صوت زانيتا يناديه من خلفه ، فاستدار اليها بسرعة وأخذها بين أحضانه ، وهمس فى أذنيها قائلا :

ـ لقد تمت سعادتى أنا أيضا .. ستكونين الى جانبى الى الأبد

فدفنت رأسها فى صدره فى تأثر وفرح ، فهى الآن فى حماية فارسها الشجاع

[قصة سينمائية]

عند ما تسيطر على النفس رهبة الموت ..

حياتنا لها بقية ..

بقلم الاستاذ ابراهيم الوردانى

انها أرض طيبة عذراء تلك التى أعيش فيها ..

لن تفتننى عنها رقصة « السامبا » فى فراديس « كاليفورنيا » ، أو متعة البشر الاحرار فى حدائق « هايدبارك » بلندن .. لا ولن يسلبنى من مروجها العفيفة فجر الذرة فى بلاد الغربيين المتمدينين عباقرة الأحياء ، حتى ولو لونوا الهواء وزرعوا السماء ..!

أنا مفتون ببلادى ولن أستبدل حقل قمح صغيرا بساحة « فورد » الصناعية الفخمة ..!

أنا مفتون بتلك النفحات القدسية ينفخها القدر فى بلاد الشرق الخضراء ، فنحن مع الطبيعة عشاق أمناء .. روحانيون عاطفيون .. توقظنا حرارة الشمس ، ويخدرنا للنوم اشعاع القمر ..!

أنا مفتون بها ولن يسلبنى منها حدث مهما عظم ، حتى ولو أنتجت بطون أمهات الغربيين كل يوم عبقريا مثل شكسبير أو خالقا صغيرا مثل برنارد شو !

نعم .. أنا لها وهى لى ولن أنفر منها أبدا ، حتى ولو كان من نتاجها بطل هذه الأقصوصة ، هذا المخلوق البطين المتعجرف الغليظ البخيل ، صاحب العزة محمد حسن السعداوى بك ..!

*

ان « السعداوى بك » لم يحاول فى خمسين عاما عاشها أن يتذوق تلك اللذة الفائقة التى تغمرنى حين أنفح متسولا بائسا قطعة فضية من ذات الخمسة القروش .. ولم يحاول يوما أن يفكر فى أن هذه الحياة التى يحياها قد تتوقف فجأة وبلا تمهيد ، لو لدغته بعوضة الجامبيا أو لمسته رعشة حمى أو لفحته نسمة ريح ، وأن ألوفه المكدسة فى الخزائن والبنوك لن يحدث أن يجن مشيعو جنازته فيسجوها معه فى قبره ..!

ان السعداوى بك لم يتناول القاموس يوما ما ليحاول أن يتحرى عن حقيقة تلك الصفة التى أصبحت عنوانا له .. صفة العصامى .. فانه حقا أنشأ

نفسه .. كان مفلسا فأثرى ، وكان عاريا فاكتسى، وكان مشردا فأصبح مالك قصور وضياع .. ولكن كانت يده اليمنى فى عصاميته تلك شيطانا مريدا ، نفث فيه غلظة قلب فائقة ، وبخلا بالغ النمو ، واستغلالا مثاليا لأجرائه وعماله وأولاده وموظفيه ..!

انه مخرب بيوت ، ومشتت عائلات، والقرش فى نظره يساوى حياة أنفس عدة .. ان السعداوى بك لوحة دميمة شاذة فى بلاد جميلة طيبة مثل بلادى ، كل أهلها كرماء بسطاء، يجددون حظوظهم مع الايام ضاحكين ..

*

ذات غروب ..

سوف أتسلمه كما هو بدينا ، مبغددا ، متهدل الأصداغ، لاهث الأنفاس ، يضم كرشه الضخم بصعوبة، تفوح منه أبخرة طازجة للجشع والطمع والنهم ، فهو عائد فى عربته الخاصة من الاسكندرية الى القاهرة فى الطريق الزراعى ، بعد معركة وحشية فى البورصة وسوق المال ، خرج منها كوحش أتخمه الشبع

ان العربة تسير متهادية فى الطريق ، والسائق يقودها فى حذر واناة ، والطاغوت منزو فى ركن منها يلوك فى حلقه قطعة كبيرة من الدخان المضوغ ..

وفجأة يحس بأنفاسه كما لو كانت قد توقفت ، ويشعر بمغص مفاجىء يكاد يفرى أمعاءه، ويحاول أن يتنفس فتخرج منه حشرجة دب ذبيح ، ويحاول أن يبسط قامته ولكنه يتلوى كالملدوغ ، ويحبس صرخة جاهدة كاد الالم يطلقها كالزئير .. والرجل على استعداد لأن يعارك فى كل شىء الا فى المرض فهو جبان جبن الارنب البرى .. وهكذا اصفر وجهه ، وتصبب العرق غزيرا على جبينه ، وخيل له ان هذا الألم القاسى الذى انتابه فجأة ، انما هو نذير مفجع بانصرام عقد حياته.. وقد روع لمجرد التفكير فى الموت وفزع الى درجة الاغماء، ولهث بأنفاسه فى صوت مضطرب واهن يأمر السائق بالوقوف والبحث عن أى طبيب فى تلك الناحية ..

وقد حار السائق ماذا يفعل ، ونظر الى سيده المتأوه فى ذلة وضراعة وخوف ، فانه نال اليوم عشرة انذارات بالفصل منذ الصباح لأسباب تافهة . والآن، كيف يقنع سيده بأن ايجاد الطبيب فى تلك الأمكنة أمر عسير ، فالأحياء فى تلك البقاع قانعون بأن تطببهم الطبيعة ..!

وتقدم السائق بالعربة فى سرعة وارتباك يسأل أهل القرية الهاجعة : « هل من طبيب ؟ » ويزداد ارتباكه كلما وصل الى أذنه هذا الصياح الأليم ، وهو يسمع سيده يزوم به فى صوت مخيف كمن يتقطع بدنه قطعا صغيرة بفعل سكين مرهفة .. ويهتف السائق فى حماس كمن وجد كنزا حينما يرى منزلا منزويا علقت

173

على احدى نوافذه المضيئة لافتة باهتة سوداء كتب عليها « الدكتور سليمان الكومى »..!

وعندما دخل السعداوى بك حجرة الطبيب مستندا على ذراع السائق ، رأى أمامه رجلا هرما نبيل الملامح ، شعره الابيض فى لون الفضة ، وعيناه الصافيتان تعلوهما نظارة لامعة ، وقد علق سماعته الطبية فى عنقه ، وجلس بجوار المصباح وحوله أكداس من الكتب والآلات الطبية ، وقد راح منهمكا فى تأمل أنبوبة بيضاء بها ماء ملون

وقد نظر الطبيب الى السعداوى بك ، وأطال فيه النظر بغير أن يتحرك ، ثم رفع عويناته صامتا كمن يتأمل مخلوقا غريبا عليه ، ثم أشار اليه أن يجلس .. وجلس السعداوى بك فى اعياء ، وكان وجهه الاصفر المتقع ينطق بألم مرير مدمر يفتك بأعصابه.. ثم صاح بصوت متحشرج ضارعا الى الطبيب أن ينقذه من الموت !

وظلت نظرات الطبيب هادئة، ولم تتبدل تعبيرات وجهه النبيلة، ولا نظراته الصافية الوادعة ، كمن اعتاد مثل تلك الحالات .. وتحرك فى اتئاد وبطء ، ثم ربت على كتف السعداوى بك وهو يبتسم فى وجهه ابتسامة عالم شفوق رحيم

وبدأ الطبيب يفحص مريضه، وكان فى فحصه دقيقا ، ولمسات يده تنم عن خبرة طويلة وثقة بالنفس .. وقد طال الفحص حتى بات السعداوى بك من قلقه على وشك الجنون.. وأخيرا رفع الطبيب رأسه عنه ، ونهض المريض من الفحص معرقا لاهث الأنفاس ..

أذاب قرصين من الدواء فى الماء ثم سأله أن يجرعهما .. وقد جرع السعداوى بك الكوب فى سرعة آملة ، وشعر فجأة بالهدوء والراحة ، وكادت تنفرج شفتاه عن ابتسامة هدوء وامتنان حينما جلس الطبيب أمامه ينظر اليه فى اهتمام كمن يستعد واياه لحديث طويل ..

وأعطاه سيجارة وقال له انه لا ضير عليه أن يدخنها ، وابتسم ابتسامة عذبة وديعة ، وكان هذا الهدوء البالغ اللطف، والاتزان الواثق الذى يعامله به الطبيب ، قد شككاه فى خطورة مرضه ، فبدت منه حركة كمن يطلب من الطبيب أن يتكلم .. وهكذا رفع الدكتور « الكومى » رأسه وفى صوت حلو كالنغم بدأ يحدثه :

— الست أنت السعداوى بك المالى المعروف ؟.. اننى أعرف صورك من الصحف والمجلات..

— نعم .. أنا هو ..

— يسرنى أن أقدم اليك نفسى. فأنت طبعا لا تعرفنى ولم تسمع عنى من قبل ، مثلك مثل ثمانية عشر مليونا من المصريين ..!

وأومأ السعداوى بك برأسه فى فضول كمن يريد أن ينهى الحديث. ولكن الطبيب قام واقفا حيث أحد الأدراج، وأخرج منه دوسيها

راح يدور بين الجدران الأربعة ، كوحش جريح مجنون . !

كبيرا وضعه تحت أنظار السعداوى بك ، وقال :

– ان اسمى الدكتور سليمان الكومى .. ولعله يهمك أن تعرف أن الذى أجرى فحصك الليلة زميل بكلية الجراحين بلندن ، وأول المتخرجين بكلية الطب ببرلين فى الجراحة، وأول المتخرجين فى جامعة فينا قسم الامراض الباطنية ، ولى اجازة امتياز من جامعة وشنطن فى طب النساء.. ولعله يلذ لك يا سيدى أن تقرأ بعض قصاصات من جرائد لندن وفينا وبرلين ونيويورك فيما كتبته عنى .. فانهم يعتبروننى احدى فلتات الطب فى العالم ، وأنا مؤلف لاثنى عشر كتابا طبيا ، والعلماء يعتبروننى أحد عمدائهم، فالجسم البشرى أمامى شىء شفاف يمكن أن التقط الخلل فيه بلمسة من يدى .. واذا سألتنى لماذا أقبع هنا فى تلك البقعة المهجورة البعيدة عن العمران والشهرة ، لقلت لك آننى أجاهد لأخلف ثروة علمية لأبناء بلادى لن يواتينى اتمامها الا فى هذا الركن المنعزل الهادىء .. كل هذا أقوله لك يا سيدى لا لأفخر به وأزهو ، ولكن لأطلب منك ثقة مطلقة فى كل كلمة سوف أقولها لك بخصوص مرضك ..!

كان الطبيب يتحدث فى ثقة وصراحة ، وكانت كلماته الحلوة تخرج هادئة قوية ، وكانت برنة صوته عذوبة نزلت بردا على حرارة السعداوى بك ، فبات ينصت اليه مؤمنا ايمانا كاملا بأن كل كلمة ينطق بها الطبيب انما هى أشبه بالتنزيل .. واستمر الطبيب يتكلم :

– هناك خبر يا سعداوى بك لا أظن أنه من الخير أن أضيع الوقت فى ازجائه اليك .. انت رجل مثقف وقوى وذكى ومختبر للحياة ومجرب للصدمات، ويجب ألا أسهب وأضيع الوقت الثمين فى المواربة الناعمة حينما اقول لك ببساطة انه لم يبق من عمرك على الارض الا عشر ساعات ..!

ولم يتمكن السعداوى بك من أن يمنع عن نفسه رجفة شديدة قوية لمفاجأته بالخبر ، وان كان قد عاد واستكن فى مقعده كمن ينصت الى حكم صادم لا بد منه ..!

« ان مرضك يا سيدى هو مرض ما قبل الموت .. هناك شريان فى جسمك قد تآكل، وسوف ينفجر بعد عشر ساعات بالضبط، وفى الدقيقة التى ينفجر فيها سوف يتوقف قلبك وتموت .. ان الطب يعجز فى حالتك تلك .. ولو جئت بعباقرته فى جميع أنحاء العالم ، فمن المؤكد أنهم لن يفعلوا أكثر من مداهنتك حتى تحين ساعتك ، وهم يتأملونك صامتين مستسلمين .. نعم من المستحيل اعادتك للحياة من جديد أو حتى اطالة عمرك دقيقة واحدة عن الموعد المقرر »

كان حديث الطبيب المهيب ودودا عميقا نفاذا ، وكان يسرده فى ايمان ومنطق وثقة ، وكل كلمة

2351
176

منه كان السعداوى بك يتلقاها مذعورا،ولكن ذعر انسان لا حيلة له فى الامر ..!

«كان يمكننى أن أقول لك غير هذا .. ولكننى رجل منطقى وشريف ، ومبدئى الصراحة مع المريض .. وقد أعطيتك دواء سوف لا تشعر معه بالألم حتى تحين ساعتك ..نعم انك سوف تموت بلا ألم وأنت جالس على مقعدك .. لا تحاول أن تسألنى أى سؤال آخر ، وعبثا تحاول أن تخرج من عندى لتبحث عن طبيب غيرى ، فأنت بهذا سوف تضيع وقتا ثمينا من عمرك القصير المتبقى ..

« يا سعداوى بك .. باق لك من الزمن عشر ساعات ..! »

*

المال .. الجاه .. الحياة ..؟!

كيف يمكن أن تنتهى هكذا فى بساطة ، وفى مثل هذا التحديد الصارم .. تلك هى الصرخة المكبوتة الباكية التى يريد السعداوى بك أن يطلقها الآن فى هذا الفضاء الذى تسير فيه العربة تحمله الى قصره بالقاهرة ..

كيف يمكن أن ينتهى هذا العالم فى نظره .. كيف يمكن ألا يستيقظ فى الصباح كعادته .. كيف يمكن ألا يرى ضياعه وشركاته ومكاتبه وأولاده ..؟ .. نعم .. كيف يمكن أن يحدث هذا ..؟!

*

وراح ينظر الى ساعته الذهبية مذعورا ، ولم يملك نفسه عندما سمع دقاتها ، فقد هشمها بقوة لانها فى حركتها تلك كانت تمتص المتبقى من عمره فى قسوة بالغة .. ثم عاد ينظر الى شظاياها وقد بقيت فيها حركة بطيئة فسحقها بقدمه ، وشعر بأنه يبكى .. ينشج فى ضراعة واستسلام ..!

وصعد درجات قصره فى وهن ، وارتمى على مخدعه فى حجرة مغلقة ، يمزق الفراش بأسنانه حائرا حانقا . وراح يدور بين الجدران الاربعة كوحش جريح مجنون ، يحطم المرايات ، وساعة الحائط ، وكل ما يصل الى يده مما يذكره بنفسه أو بالزمن .. وتلفت حواليه مذعورا فى الحجرة المغلقة ، وأحس بأنفاسه تحتبس فى حلقه ، فخرج من الحجرة صارخا يطلب عربته .. انه يريد أن يستنشق الهواء .. يريد أن يعيش فى الضوء .. يريد أن يرى البشر .. يريد أن يحيا فى الضجيج ..!

وذعر السائق من حالة سيده وهو يأمره بأن يسرع به ناحية البحر ، ثم يطلب منه أن يعود الى الطرقات الممتلئة بالناس .. وأخيرا واتته نوبة يأس ، ووجد أنه يتمزق فى هذا الجو الصاخب فأمر سائقه بأن يعود الى بيته ..!

وحينما صعد الدرجات فى تلك المرة ، كان هناك هبوط روحانى يشتد عليه .. اعياء نفسانى يتملك قواه .. وهكذا راح يجر أقدامه فى ضعف يقصد حجرة مكتبه ، وجلس على المقعد يتأمل

صوره وصور أولاده وحوادث حياته ، ثم هذه الاوراق وتلك الدوسيهات ، وكل هذا التاريخ الحافل النشيط .. وانكفأ برأسه على المكتب ، وبدأ يبكي فى صوت ضعيف ضارع وهو يقول :

— غفرانك يا الهى ..!

وراح يكرر هذه العبارة فى شرود ، ولمسته روحانية صافية تطالبه بأن يستيقظ ضميره ..!

*

ولكن هذا الضمير يتيقظ ليجر فى أذياله لوحات من ماضيه الخاسر . فى كل لوحة مسخ ودمامة وتشويه .. طفولته .. شبابه .. هرمه .. هذا العالم الذى كان يظنه لعبة فى يده منذ ساعات .. هذا العالم الفائر النشيط الذى يلوك الأحياء كما كان يلوك مضغة الدخان فى فمه قبل أن يواتيه النذير ..!

وأخذ ضميره يوقظ الماضى حيا أمامه .. فبالأمس فقط قصده لفيف من الفتيان الصغار ، يسألونه أن يتبرع للترفيه عن الجنود المحاربين فطردهم فى قحة. وهو يقول : « مالى وللحرب » ولكن ماله الآن والماضى القريب ؟ هناك الذكرى الساحقة لضميره منذ بدأ يطل على هذا العالم جشعا متنمرا مفترسا فى سوق البيع والشراء !

تذكر أول شريك له « محمد الدعوقى » هذا الرجل التقى الكامل الذى سرق رأس ماله ، وابتزه وشتت أعماله ، وألقى به فى عرض الطريق مفلسا لا يملك الدانق .. انه يتذكر الآن كل حيله الطاغية فى انزال الكوارث بمزاحميه. انه لن ينسى انه تسبب فى افلاس « حسن كارم » وتشريد أولاده وضياع أملاكه .. انه تسبب فى انتحار « على بدوى » بعد أن ضربه ضربة قاصمة فى احدى الصفقات .. انه تسبب فى سجن « محمود سرحان » بعد أن لفق له تهمة احراز المخدرات ، كى يخلو له الجو فى شركة التصدير .. انه .. انه أمن على حياة امرأته الاولى وقتلها كى ينال ارثها .. انه طرد أشقاءه وشرد أولاده ، وكان يغتنم كل فرصة ليكتسح الأحياء أمامه .. نعم .. هذه كلها مخلوقات يستعرضها الآن فى سكون ليجد أنه كان أداة فتاكة لتدمير حياتهم .. انه يتذكر الآن كيف مات شقيقه الكبير مريضا جائعا ورفض أن يعطيه قرشا يداوى به نفسه ويرد به مسغبته .. انه يتذكر الآن طريقة معاملته لموظفيه وعماله ، والغلظة والطغيان والاستعباد التى كان يؤاخذهم بها .. بل وهذا القصر الذى يعيش فيه .. انه كان آخر الصفقات القذرة التى نالها ، من أحد شركائه .. ناله بلا ثمن تسديدا لدين مفتعل ..

أخذ يفكر ويستعرض ويتألم. وتملكته لمسة من روحانية حانية مفاجئة تطالبه بأن يفعل شيئا ليرد به هذا الماضى البشع الذميم

المقيت .. آه لو ملك الزمن قليلا ليقابل ربه نظيفا .. نعم .. انه على استعداد لأن يرد لكل ذى حق حقه .. ولكن كيف ..؟!

*

وواتته الفكرة .. أخرج دفتر شيكاته ، ثم دس يده فى درج المكتب ، ررتب أمامه مجموعة من الخطابات والمظاريف،وأمسك القلم وبدأ يكتب

بدأ بشريكه محمد الدعوقى ، وكتب اليه رسالة يطلب منه الغفران ، ويصارحه بأنه نال منه ماله بلا وجه حق ، ولهذا فهو يعطيه نصف ثروته بلا تردد .. وكتب شيكا بالمبلغ الضخم ، وأغلق المظروف ووضع عليه طابع البريد ونحاه جانبا .. ثم حسن كارم .. كتب اليه ليستغفره ، ويعترف له كيف ابتزه وسرقه ، ثم كتب شيكا بالمبلغ الجسيم الذى قدره .. ثم عائلة « على بدوى » هذا المنتحر المسكين .. ثم محمود سرحان الذى سجن بريئا بتهمة هو الذى لفقها له .. كتب اعترافا كاملا ومنح تعويضا ماليا كبيرا فرضه على نفسه .. ثم أقربائه وأولاده ، وراح يتذكر كل انسان ناله منه الهوان ، ليكتب له ويورثه شيئا من ماله . وهذا القصر،كيف لايرده الى صاحبه.. وكان هذا هوالخطاب الاخير،حيث وضع حجة البيع والتنازل وغلفها فى المظروف وأغلقه .. !

الآن يمكنه أن يتنفس مستريحا. يمكنه أن يستروح نسمة قدسية رائعة شعر بها تنفحه بعطر روحانى مهدىء .. وهو الآن يأمل فى أنه لو أتيحت له الفرصة ـ وهذا مستحيل ـ لعاش من جديد ، وأثبت للقدر والبشر انه نظيف طيب .. !

ودق الجرس يطلب الخادم ، وابتسم فى وجهه ابتسامة رحيمة وسلمه الخطابات، وسأله أن يسرع بها ويلقيها فى صندوق البريد !

وجلس على المقعد ينتظر الموت باسما .. !!!

*

تبقى من الزمن ساعة ونصف. وها هوذا السعداوى بك ينهى آخر ركعة للصلاة يتوجه بها الى ربه فى اخلاص غامر .. وها هى ذى تباشير الفجر تنفذ من النافذة لتقدم نهارا جديدا للاحياء .. وها هى ذى دلائل الحياة تدب فى الطريق ، يشير اليها صوت بائع الصحف .. ولذ للسعداوى بك أن يقرأ الجريدة للمرة الاخيرة فى حياته .. وسأل الخادم أن يحضرها له .. وعند ما بدأ يتصفحها كان يبتسم فى اشفاق ضعيف .. لماذا تعارض روسيا أمريكا .. لماذا يجاهد الانكليز لأخذ السودان من المصريين .. لماذا يحارب الصهيونيون حربا خاسرة .. لماذا تترقب أمريكا انتخابات الرئاسة .. لماذا تموج اليونان بالاضطرابات .. هؤلاء بشر مساكين..ما أشد ما يشفق عليهم ..!

وراح يقلب صفحات الجريدة وهو يهز رأسه فى سكون ، ورأى خبرا صغيرا فى زاوية من حوادث الاقاليم .. قرأه مرة ومرتين ثم ثلاث مرات .. وتقع الجريدة من يده ، ثم يقع مغشيا عليه كالجثة

أما الخبر .. ماذا فيه ؟ ! !

« فر أول أمس من مستشفى الامراض العقلية الطبيب المعروف الدكتور سليمان الكومى ، وضبط فى عيادته القريبة من بنها ، ومما يعرف عن هذا الدكتور العالمى الذى جن لغزارة علمه ، ان المريض الذى يأتيه يقنعه بأنه سوف يموت بعد عشر ساعات وان عليه أن يعيش الساعات العشر سعيدا .. وقد قبض عليه بعد منتصف الليل ، وأدخل مستشفى العباسية ! »

*

والآن .. !

أمامك بقية من حياة طويلة يا سعداوى بك .. ! !

أنت اليوم مفلس لا تملك شيئا .. وعندك فرصة ما أطولها لتثبت للقدر والبشر أنك نظيف طيب .. كن مليونيرا اذا قدرت .. كن مالك ضياع وقصور اذا تمكنت .. كن طاغوت السوق وجبار المال اذا عرفت .. !

*

ولكن السعداوى أفاق من اغمائه ليدور بنظراته الحمراء يمينا انه أفاق من اغمائه مذهولا ليدور بنظراته الحمراء يمينا وشمالا ، وأخذ يلهث بأنفاسه فى رعب صارم .. وهو يدور حول نفسه كمن تحركه آلة ميكانيكية سريعة .. ثم هرول نحو النافذة يفتحها على مصراعيها وكاد يصرخ فى صوت مستغيث ملتاع لولا ان بح صوته وجف حلقه .. هذا الفضاء .. هذا العالم .. هذا النور .. هذا الضجيج .. هؤلاء البشر جميعا ، هو الآن غريب عنهم .. هم الآن أعداؤه .. كل الكائنات الصماء تنظر اليه فى سخرية مريرة لاذعة .. ترمقه كما ترمق وحشا مسعورا يهرول فارا بعد أن أصابته طلقة نارية .. ! !

ويفتح الباب ليدخل عليه الخادم يخبره انه قد ألقى بالخطابات التى كتبها فى صندوق البريد ، ويسأله اذا كانت هناك خدمة أخرى يمكن أن يؤديها . !

نظر السعداوى بك اليه طويلا ، وتأمله من قدمه الى رأسه فى نظرات فاحصة .. ثم فعل شيئا لم يكن أحد يتوقعه .. لقد أطلق الرصاص على الخادم .. ولم يفكر طويلا قبل أن يطلقه على نفسه ! ! !

ابراهيم الوردانى

جولة فى أشهر متاحف روما

لكل تمثال قصة ..

نحن فى متحف « بورجيزه » بروما ، ومكانه « فيلا بورجيزه » وقد بنيت بأمر الكردينال تشبيو بورجيزه ، فى أوائل القرن السابع عشر للميلاد ، واتسع نطاقها بعد ذلك ، بما أضيف اليها من المبانى، وما أدخل عليها من التعديلات والزخارف من ذلك الحين الى أوائل القرن العشرين . ويغلب على طرازها المعمارى وزخارفها وتماثيلها الفن المعروف باسم « باروك » . وأصل هذه الكلمة لا يعرف على وجه التحقيق . فيحتمل أنها مشتقة من كلمة برتغالية ، معناها لؤلؤة غير منتظمة الشكل، أوعن كلمة يونانية، وفيها معنى الثقل . وقد اقتبس الآباء اليسوعيون الفن الباروكى بعد عصر الاصلاح ، فزينوا به الاديرة والكنائس . وسرعان ما غزا أسبانيا ، وانتشر فى بفاريا ، والتيرول ، وألمانيا ، وأسوج ، وسويسرا ، والنمسا ، وعلى الاخص سلزبرج ، حيث تباهى المدينة بآثارها . وقد امتد الى روسيا شرقا ، والمكسيك وأمريكا الجنوبية غربا . وحسبه ان الجناح الغربى لمتحف « اللوفر » بباريس مزين به . والفن الباروكى نراه فى قصور الملوك والامراء والاشراف، ودور الاوبرا والموسيقى ، وقد كان النوابغ فيه يستدعون من ايطاليا الى أقاصى البلدان، لاقامة التماثيل ، وتزيين الحدائق ، والقصور ، والصالونات

وفى مقدمة هؤلاء النوابغ العالميين لورنزو برنينى (١٥٩٨ — ١٦٨٠) المثال الايطالى الذى نقدم له على هذه الصفحات بعض تماثيله .

وفن برنينى ، كما يترجمه لنا البرونز والرخام ، ينبىء عن الحركة والوثوب ، واندلاع اللهب ، ولكنه على جماله ينقصه ذلك السكون الذى نراه فى فن النحت ، وذلك الاستجمام والارتياح اللذين نراهما فى التماثيل . فلا عجب اذا ماتت صناعة التماثيل بعد برنينى ، وظلت نسيا منسيا مائتى عام . ولما كان الفن الباروكى يميل بطبيعته الى عدم التعمق ... فقد تأثر رجاله بذاك الشعور ، فاستبدلوا الحجر بالخزف ، الى أن جاء القرن العشرون ، فرجعوا الى صوابهم واستبدلوا المادة المرنة بالمعادن والاحجار الصلبة

وتمثال « ابولو ودافنى » يتوسط القاعة الثالثة فى متحف بورجيزه . وتزين هذه القاعة عمد مربعة رشيقة من الجرانيت الاحمر. وكان برنينى حينما أنجز هذا التمثال فى الرابعة والعشرين

2251

داود يلوح بمقلاعه [للمثال برنيني]

أبولو ودفني .. [للمثال برنيني]

من عمره ، وقد حاول فيه أن يقص علينا تلك القصة الغرامية الجميلة ، قصة الفتاة الحسناء دافني ، بنت اله النهر « بنيوس » . لقد كان عشيقها « ليسبوس » يتتبع آثارها ويطاردها متنكرا فى ثياب امرأة ، فقتلته عرائس البحر ، بتحريض من مزاحمه الاله ابولو. واشتد غرام ابولو بها ، فأخذ يقتفى أثرها ويطاردها ، فناشدته أن يحولها الى شجرة ، وقد استجاب لها ونزل على رغبتها فعلا كما نرى فى التمثال

●

ولننتقل الآن الى القاعة الثانية من متحف بورجيزه ، لنجد التمثال الثانى للفنان برنينى .. فى سنة ١٦١٩ ، استدعى الامير « بورجيز » الشاب « لورنزو برنينى » ، وكان عمره حينئذ ٢١

عاما ، وطلب اليه أن ينحت تمثالا يمثل داود « النبى » يلوح بمقلاعه. وبرغم صغر سنه ، فقد جاء التمثال تحفة تنبىء بمستقبل صانعها وعبقريته . وقصة النبى داود كما روتها التوراة ويشير اليها هذا التمثال ، ترجع الى الحادثة التى وقعت له مع الجبار « جليات » وهى قصة طلية شائقة .. تتلخص فى أن جمعا غفيرا من الفتيان اختاروا داود ليكون نبيا لبنى اسرائيل ، وقد كان غلاما رشيقا ، أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر . وكان لبنى قومه عمالقة جبابرة من الاعداء ، خصوصا من يدعى جليات ، وقد كان طوله ثلاث أذرع وشبرا ، فلم يجرؤ أحد على أن يتقدم لمحاربته سوى الغلام داود ، وقد هاله أن يرى جليات يعير قومه ويتحداه . ولم يرق للملك « شاول » تطوع داود لصغر سنه ، ولكن داود ألح على شاول ، واستشهد على كفايته بأنه قتل أسدا ودبا . فألبسه شاول ثيابه وجعل على رأسه خوذة ، وقلده سيفا . ولكن داود لم يستطع حمل هذه كلها ، فنزعها ، وأخذ عصاه بيده ، وانتخب خمسة أحجار ملس من الوادى ، ووضعها فى جرابه .. ومقلاعه بيده . ثم تقدم نحو جليات الجبار . فاقترب جليات من الغلام داود ، حاملا ترسه وسيفه . وما وقع نظره على داود حتى احتقره ، فقال له : « هل أنا كلب حتى تأتى الى بعصا ؟ » ولعن داود وآلهته ، وقال له : « تعال فأعطى لحمك

باولين بونابارت . . اخت نابليون [للمثال كانوفا]

لطيور السماء ووحوش البرية »
فقال داود : « انت تأتى الى بسيف ورمح وترس ، وأنا آتى اليك باسم رب الجنود . هذا اليوم يحبسك الرب فى يدى فأقتلك وأقطع راسك » . ثم مد داود يده الى الجراب ، وأخذ منه حجرا ورماه بالمقلاع ، فأصاب جليات فى جبهته فسقط على وجهه الى الارض ، فتمكن منه داود بالمقلاع والحجر وقتله ، ثم ركض وأخذ سيف جليات وقطع به راسه

•

ولنعد بالقارىء أخيرا الى القاعة الاولى من متحف بورجيزه ، لنلقى نظرة على تمثالى بولين بورجيزه ، أو بولين بونابرت ، شقيقة نابوليون . والتمثال من صنع انطونيو كانوفا (١٧٥٧ ــ ١٨٢٢) ، الفنان الايطالى المشهور ، مؤسس المدرسة الجديدة لنحت التماثيل فى ذلك الحين . ويمتاز فنه بالنعومة ، والترف ، والتيه ، والدلال ، والرقة ، والرشاقة ، وهو من أسرة اشتهر أفرادها بقطع الاحجار وصناعة التماثيل الصغيرة . وقد ظهر نبوغه منذ الثالثة عشرة من عمره ، فأرسلوه الى روما عاصمة الفن ، فمنح اعانة مالية سنوية مقدارها ٧٥ جنيها لمواصلة الدراسة . وهو مبلغ كان يعد ضخما فى ذلك الحين . وهناك تعرف على سفير

←

هروب إينيا بأبيه محمولا على كتفيه
من حريق طروادة [للمثال برنيني]

البندقية ، فدعاه الى تأسيس مدرسة فى قصره ، يتلقى فيها ناشئو مدينة البندقية فن النحت. ولما كان كانوفا معاصرا لرجال الفن الباروكى ، فانه كان متأثرا به بطبيعة الحال ، ولكنه عمل على تحسينه ، فتفوق فيه على لورنزو برنينى السالف الذكر . وقد بلغت به الغيرة على الفن انه كان يعين الناشئين فيه من جيبه الخاص

●

وفى سنة ١٨٠٢ دعاه نابليون بونابرت الى باريس لصنع نموذج لتمثاله النصفى، ثم تمثاله الكامل. وله تماثيل عدة فى واشنطون والبندقية . ومن روائع فنه « ايطاليا الباكية » و « الحسناء الراقصة »

ويلاحظ فى تماثيل كانوفا انه كان يصور رجاله كآلهة الاغريق القدماء ، ونساءه كآلهاتهم ، كما انه كان يخلع على بعضهم وبعضهن أوشحة العشاق . ويجمع بين الجمود الكلاسيكى والتصوير الشمسى الحديث . ويخيل للمتأمل فى الصورة المنشورة هنا ، انها منقولة عن صورة زيتية أو شمسية لا عن تمثال . بيد أن كانوفا فى الواقع سما بفنه وتعالى ، فلم نعد نرى فيه ذلك الفتور أو البرود الذى يلاحظ فى الفن الذى يطلقون عليه اسم النيوكلاسيكى

●

وأخيرا لنذهب بالقارىء الى قاعة « هرمفروديت » حيث نجد التمثال الثالث للمثال برنينى المدعو « هرب اينيا من طرواده » وهو أول قطعة فنية فريدة فى بابها نحتها أزميل برنينى بمساعدة والده ، وقد كان الفنان الناشىء فى ذلك الحين (١٦١٣) فى الخامسة عشرة من عمره . وللتمثال قصة خرافية فريده ، أبدع فرجيل فى وصفها فى مؤلفه المشهور «الانيدا» وقد أراد بهذه القصة أن يتغنى بمجد الاسرة التى ينتمى اليها اغسطس قيصر امبراطور روما . وتتلخص فى ان « انكيزه » أمير طرواده تزوج سرا الالهة فينوس، وأنجب منها ابنا اسمه « اينيا » وحدث بعد ذلك بسنوات عدة ان نارا شبت فى طرواده فالتهمتها التهاما . وكان انكيزه فى ذلك الحين شيخا طاعنا فى السن ، متعبا ، فأبى أن يغادر طرواده ، وقد التفت بها النيران . فما كان من ابنه اينيا الا أن حمله على كتفيه، وابنه الصغير معه متعلقا بساقه ، وقد ماتت أم الصبى قبل ذلك. وأقلتهم سفينة قاصدة بيريه ، ولكن عاصفة قذفت بهم الى شواطىء صقلية ، حيث مات انكيزه ، وجرت حوادث عدة بعد ذلك لا مجال لذكرها

وتبين لنا هذه الرسوم حقائق عدة ، منها أثر الميتولوجيا الاغريقية فى الفن الايطالى، ونزعة المثالين الى التعبير عن الحركة ، ونفخ روح الحياة والنشاط فى الرخام والحجر، واتخاذ القصص الدينية أساسا روحيا يستلهمون منه الفكرة ، ثم يترجمونها بلغة الاحجار الصامتة

2251

من قصص الطيران

مغامرة فوق السحب ..

شاء القدر أن أتزوج شابا مولعا بالطيران .. وبالرغم من أنه يشتغل فى احدى شركات الطيران، فانه لم يكن يقنع بساعات العمل التى يقضيها طائرا .. فيحاول دائما أن نقضى معا أوقات الفراغ محلقين فى الجو .. وذات مساء قال لى انه تقرر قيامه باجازته السنوية فى نهاية الشهر ، وانه لو وجد طائرة خاصة فى خلال الايام المقبلة لاشتراها ، كى نطير بها فى أيام العطلة ...

وبعد عدة أيام ، اتصل بى زوجى « بل » تليفونيا ، وقال بصوت بدا السرور فى نبراته : « أرجو أن أراك سريعا .. سأنتظرك هنا لأريك شيئا هاما » .

وذهبت الى حيث اتفق معى على لقائه .. فأرانى طائرة صغيرة تسع أربعة ركاب ، وسألنى رأيى فى شرائها . ولما كنت أعلم أن اعتراضى على فكرة الشراء ، يؤلمه ويضايقه .. هذا الى أنه لن يعيره اهتماما، أظهرت اعجابى بها وسرورى بهذه الصفقة ..

وما أن حل اليوم الاول من اجازته السنوية ، حتى كنا قد أعددنا العدة لرحلة طويلة ...

فركبنا الطائرة ، وسرنا بها نحو ست ساعات ، كنا نتبادل فيها القيادة معا ، ونهبط بها الى مستوى قريب من الارض، كلما استرعى أنظارنا منظر طبيعى جميل . وعندئذ بلغنا مطارا يقع قريبا من شاطىء بحر اعتزمنا عبوره لنبلغ مصيفا جميلا فى الشاطىء الآخر . فنزلنا فى المطار بعض الوقت ، ثم استأنفنا رحلتنا فى حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر . وكانت السماء صافية والشمس ساطعة ، والريح تهب فى اتجاهنا بسرعة ٥٥ ميلا فى الساعة. وكانت رقعة الماء تحتنا، تمتد الى مسافات شاسعة تعجز أنظارنا عن تحديدها . وبعد أن أدار زوجى محرك الطائرة وصعد بها الى طبقات الجو العليا ، نظر الى ساعته ، ثم قال فى لهجة الواثق من نفسه :

– سوف نصل الى المطار بعد ٤٥ دقيقة

ومضت الخمس والاربعون دقيقة ، التى قدرها « بل » لرحلتنا ، فرحت أحدق وأحلق فى الطبقات السفلى ، فلم أر شيئا سوى الماء والضباب ..

« أليس من الخير أن نهبط بطائرتنا بجوار السفينة ؟ »

وكانت تقديرات « بل » فى جميع الرحلات السابقة دقيقة جدا .. فتمتمت محدثة نفسي : « ها قد أخطأ « بل » فى التقدير للمرة الاولى .. سوف أذكره بذلك بعد أن ننتهى من رحلتنا »

ولكن مضت ساعة ، ومضت خمس وعشرون دقيقة أخرى ، ولم نر الارض بعد .. فسألته فزعة : « هل ضللنا الطريق ؟ » . فأجاب وهو يشير الى مكان قصي : « هل ترين تلك السحابة المنعقدة الى اليسار .. ان المصيف يقع تحتها . وبعد أن طرنا نصف ساعة فى طريقنا نحو السحابة ، تحققنا أن ما رأينا تحتها لم يكن أرضا ، وانما ظل قاتم ألقته السحب على صفحة الماء . وراح « بل » يحول الطائرة مرة نحو اليمين وأخرى نحو الشمال ، ثم تلفت الى وهو يتصنع الابتسام ، وقال : « هل أنت خائفة ؟ » فغمغمت : « نعم .. خائفة جدا » . فقال : « هل نعود الى حيث أتينا ؟ » . قلت فى صوت راعش : « نعم .. عجل بالعودة اذا استطعت .. لقد ابتعدنا عن شاطىء البحر بمسيرة ساعتين ، ولم يبق معنا سوى صفيحة من البنزين تكفينا للطيران لمدة نصف ساعة .. » فقاطعنى « بل » بعد أن أدار الطائرة وهو لا يدرى جيدا فى أى اتجاه أدارها : « حسنا ..

سنعود الآن وغدا نستأنف رحلتنا » . فافتر ثغرى عن ابتسامة آلية ساخرة ، فقد بدأ شبح الموت يتراقص أمام عينى ، وأحسست أن شمس الغد قد لا تشرق علينا ونحن أحياء . فقد نفد جانب كبير من الوقود ، وطريق العودة لم يكن واضحا . .

●

وفجأة بدت على بعد منا كتلة سوداء ، خيل الى انها سفينة ، فأمسكت بذراع زوجى ، وأشرت له اليهـا . . فانبسطت أسارير وجهه ، وراح يرسل الاشارات اللاسلكية ، الواحدة تلو الأخرى . يستفسر فيها من قائد السفينة عن مكانه ومدى استعداده لمعاونتنا اذا هبطنا بالطائرة بجواره ، ولكننا لم نتلق على استفساراتنا جوابا . وكررنا محاولاتنا عبثا المرة بعد الاخرى . وأخيرا قلت لزوجى فى عصبية ظاهرة : « أليس من الخير أن نهبط بطائرتنا بجوار السفينة ، بدلا من أن نحلق فى الجو على غير هدى ، ثم نضطر أخيرا الى الهبوط فى مكان لا يرانا فيه أحد ؟ » وسكت برهة ، ثم أردفت يائسة : « هذه هى فرصتنا الاخيرة يا « بل » فان ولت فلا سبيل الى النجاة » . فقال : « لن نسلم حتى تنفد آخر قطرة من الوقود . . ويحسن الا نضيع الوقت ، فقد أشرفت الشمس على المغيب » . .

أحسست اذ ذاك احساسا طاغيا بالرغبة فى البكاء والصراخ والشجار مع زوجى لمغامرته بأرواحنا . . ولكننى أدركت اثر ذلك فى نفسه ، ونحن فى وسط البحر . . فأمسكت نفسى مجاهدة ، وتركز بصرى فى عقرب خزانة البنزين الذى كان ينذر بساعة حلول « عزرائيل » . وكلما رجع المؤشر درجة ، نظرت الى زوجى خلسة فقرأت فى عينيه الرعب والفزع ، وهالنى ما كان يعلو وجهه من شحوب وما يتفصد من جبينه وحول فمه من عرق . .

وفى ساعة الشفق ، تسكن الريح عادة ويسود الكون صمت مطبق . . ولكن الطبيعة فى ذلك اليوم ، تعمدت أن تودعنا الى دار البقاء بما يليق بالمقام ، فأخذت الريح تصفر ، وأمواج البحر ترغى وتزبد ، وبدا الكون رهيبا مرعبا . وعندما ضاقت بنا السبل ، أغمضت عينى ، وتوجهت بقلبى الى المولى ، وغمغمت بصوت تخنقه العبرات :

ـ يا الهى . . تراف بنا وانقذنا ، دبر لنا وسيلة تخلصنا بها . لقد وضعنا رجاءنا فيك فلا تخيب رجاءنا

●

وأحسست بشىء من العزاء ، وأنا أتلو هذه الصلاة مرات عدة ، ولما فتحت عينى . . قلت لزوجى ، وقد رأيت مؤشر البنزين يقترب من الصفر : « بل . . هل اذا هبطنا هنا ، لا يكتشف مكاننا أحد ؟ »

فأجاب يائسا : « لا » . . وعندئذ

رمز
الانتعاش
اشرب
كوكا كولا
DRINK
Coca-Cola
معبأة في القطر المصري

بدأت أفكر فى وقع اختفائنا فى نفوس والدينا .. انهم سوف يقضون وقتا طويلا يبحثون عنا، ثم ييأسون . ثم يعاودهم الرجاء فيبحثون وييأسون ، وهكذا حتى يعصف بهم الحزن والأسى ، نتيجة لنزقنا ورغبتنا فى ارضاء نزواتنا . يا لنا من طائشين !

وشعرت أن أطراف جسمى تتخشب .. فقد حرصت وقتا طويلا على ألا أتحرك من مكانى . فقد كانت كل حركة فى هذه الطائرة المشئومة تسبب اهتزاز « بوصلتها » . وسمعت « بل » يلعن الآلات التى لا تسعفه ، فقد

اضطر الى قيادة الطائرة فى الظلام، توفيرا للكهرباء . ولما لم يعد يرى الآلات .. أخرجت مصباحا للجيب كان معى ، ورحت أنيره من حين الى حين . وفى كل مرة كنت أحدق فى مؤشر البنزين .. فأحس أن قلبى يكاد يقف

وودت لو استطعت أن أعترف لزوجى بأخطائى ، وأن أسأله الصفح والغفران عما بدر منى نحوه من اساءات .. ولكننى لم أجد فرصة للحديث ، فقد قال فجأة :

— ضعى معطفك على كتفيك . وشددى حزام المقعد على وسطك

●

وما أن قال ذلك ، حتى غامت عينى وتنفست تنفسا طويلا ، أقاوم به الغيبوبة المفاجئة التى انتابتنى ، ولكننى بالرغم من ذلك أذعنت لرغبته فى حركة آلية . ورحت أفكر فى الساعات المريرة القادمة التى سنصارع فيها أمواج البحر حتى يبتلعنا اليم . وخطر لى خاطر ، مزق قلبى .. هب أن « بل » مات ، وبقيت وحدى أعانى قسوة القدر . وحدقت فى وجهه ، كمن يريد أن يتملى من رؤية حبيب له قبل أن يوارى جثمانه المقر الاخير . وقلت فى نفسى ، وقد عجزت عن حبس دموعى : « ما أقساك أيها الموت ! أتقطف هذه الزهرة اليانعة، وهى ما تزال فى أوج نضرتها .. ان « بل » لا يزال صغيرا ، ومجال التقدم ما يزال أمامه فسيحا . ومواهبه العديدة وكفاياته لم يستغلها بعد .. » وتتابعت هذه الخواطر فى ذهنى .. وكأننى ألقى مرثية حارة على قبره ..

●

ولما ثبت مؤشر البنزين عند الصفر ، كنا على ارتفاع ألفى قدم من سطح البحر .. لم نكن نرى شيئا ، ولكننا كنا نسمع هدير الامواج الصاخبة فنحسبها وحوشا ضارية تتأهب للفتك بنا . وشعرت بما تملك نفس « بل » من يأس مرير . وحاولت أن أجد كلمة أهدىء بها من روعه ، فأخفقت .. ولكننى تمالكت نفسى بعد اجهاد ، وقلت : « لماذا لا تستغيث بالجهاز الخاص بالاستغاثة مرة أخرى .. فمن

يدرى ؟ ! » . فقال وهو يطلق زفرة حارة : « لا فائدة .. لعن الله هذا الجهاز . انه لا يحمل الكلام بعيدا » . ولكنه أمسك بالميكروفون ، وقال : « اذعانا لرغبتك .. هأنذا أستنجد .. » وصرخ فى الميكروفون : « لقد ضللت الطريق وفرغ منى الوقود . اننى أهبط الآن فى وسط البحر بطائرتى .. النجدة ، النجدة » . وكرر هذا النداء مرتين .. وفجأة ، رأينا عدة أنوار كاشفة ، وسمعنا بوساطة السماعات المثبتة على آذاننا صوتا خيل الينا أنه هابط من السماء : « نحن نجيب الاستغاثة .. حدد مكانك .. هل تستطيع رؤيتنا ؟ »

●

وغمرنى فرح لا يعدله فرح الأصم الذى سمع صوتا لأول مرة فى حياته . وأجاب « بل » على الفور : « طائرة صغيرة ، ماركة ستنسون ، على بعد نحو ٥٠ ميلا من مصدر الضوء وفى اتجاه الشعاع الأيسر الكاشف » . وسمعنا الصوت مرة أخرى : « انطلقت زوارق النجدة للبحث عنكم .. واصل تحديد مكانك بالنسبة للانوار الكاشفة .. بعد قليل ستحلق فى الجو أربع طائرات للاشتراك فى مهمة البحث عنكم وانقاذكم » . ولما هبطنا الى البحر ، أضأنا الانوار وظللنا ننتظر الانقاذ . وكانت الامواج تتقاذف الطائرة فتعلو حينا وتهبط حينا آخر ، ورذاذ الماء يكاد يخنقنى . وبقينا على هذه الحال ثلاثين دقيقة ، خلتها ثلاثين سنة . وعندئذ اقترب منا زوق — أدركنا عند رؤيته انه تابع للبحرية الامريكية — وتقدم بحارته منا ، وهنأونا بسلامتنا . ولما تأكدوا من سلامة الطائرة اعطونا قدرا من البنزين يكفى لوصولنا الى المطار — ولما صعدنا بالطائرة الى فوق .. كانت طائرات الانقاذ الاربع متأهبة لارشادنا الى المطار . ولما بلغنا هدفنا وهبطنا بالطائرة ، وفتح بابها ، عجزت عن الحركة من مكانى ، وأحسست احساس المريض عندما يغادر فراش المرض ، بعد أن ظل طريحا به زمنا طويلا . فحملنى زوجى الى مقعد قريب . وقام طبيب المطار باسعافى .. وأشار ببقائى فى الفراش بعض الوقت ..

●

وبعد ساعتين ، نهضت من مكانى أريد العودة مع زوجى الى البيت . وما أن لمست قدماى الارض حتى فاضت نفسى غبطة وسرورا . وتوجهت ببصرى نحو السماء ، وقلت :

— أشكرك يا الهى .. لانك استجبت صلاتى

وعدنا الى المنزل لنرى والدينا وأهلينا مرة أخرى ، بعد أن كنا قد قطعنا كل أمل فى رؤيتهم

[عن مجلة « ومنز دايجست »]

فى هذا العدد

صفحة

٣ قصة القصة : الأستاذ عباس محمود العقاد
٦ زهرة المرقص : محمود تيمور بك
١٦ القميص الأسود : الدكتور محمد عوض محمد بك
٢٣ لهيب : الأستاذ محمود عماد
٢٦ من قصص المروءة فى ميادين القتال
٣٠ شهر زاد : الدكتورة سهير القلماوى
٣٧ ماذا تحب المرأة فى القصة وماذا يحب الرجل ؟ : الدكتور أمير بقطر
٤٢ قلامة ظفر : الأستاذ ميخائيل نعيمه
٤٨ صفقة خاسرة : الدكتور احمد زكى بك
٥٦ جنون الحب
٦٥ نجوم لها قصص
٧٢ على شط النيل : السيدة بنت الشاطىء
٧٨ صراع الروح والجسد : الأستاذ عباس علام
٨٨ من أطرف ما يحكى
٩٠ خطبة موفقة : الأستاذ زكى طليمات
١٠٠ السارق الذى لم يسرق : الأستاذ حسن جلال
١٠٨ ندوة الهلال : الفكاهة
١١٦ رأيى فى القصة العربية : الدكتور محمد حسين هيكل باشا
١١٨ حجر يسرق
١٢٠ غرام فى قصر معاوية : الأستاذ وهبى اسماعيل حقى
١٣٨ جحا فى الشرق والغرب : الأستاذ كامل كيلانى
١٤٨ آه .. ! : الأستاذ يوسف السباعى
١٥٤ نتيجة مسابقة الأقصوصة
١٥٦ ابن العمدة : القصة الفائزة فى المسابقة
١٦١ مغامرات كازانوفا
١٧٢ حياتنا لها بقية : الأستاذ ابراهيم الوردانى
١٨١ لكل تمثال قصة
١٨٦ مغامرة فوق السحب

2251